جمهورية مصر العربية
معهد التخطيط القومى

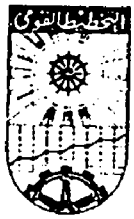

التخطيط الاجتماعى والانتاجية

اكتوبر ١٩٩٠

فريق البحث

- أ.د. وفاء احمد عبد الله
- د. خضر عبد العظيم أبو قورة
- د. محمد عبد العزيز عيد
- د. نادرة وهدان
- د. شنودة سمعان شنودة

فهرست المحتويات

الصفحة

- مقدمة عامة ..... أ - د

الفصل الاول : الانتاجية والقيم الاجتماعية ..... ١ - ٢٢

د . خضر عبدالعظيم أبوقورة

أولا : القيم والانتاجية فى مجتمع متغير ١

- سسيولوجية التغير ٢
- منهجية التغير الاجتماعى ٣
- القضية بين الازمة والاشكالية ٥
- البناء التحليلى للقيم والانتاجية وازمة التغير فى المجتمع المصرى ٧

ثانيا : نسق القيم والانتاجية فى ضوء بعض الدراسات السابقة ٢٢

الفصل الثانى : الحاجات المعيشية وعلاقتها بالانتاجية ..... ٢٣ - ٦٩

د . شنودة سمعان شنوده

اولا : ماهية الانتاجية وأهميتها ٢٣

١) الانتاجية والكفاءة ٢٣

٢) الانتاجية وعناصر ودالة الانتاج ٢٩

ثانيا : الحاجات المعيشية ٥٠

- قائمة الحاجات المختلفة ٥٤
- قضايا تؤثر فى مستوى المعيشة ٥٨

ثالثا : الحاجات المعيشية ودورها فى التأثير على الانتاجية ٦١

أ) الحاجات المعيشية والانتاجية : علاقات متبادلة ٦١

ب) تكلفة سلة السلع ٦٧

الصفحـــة

الفصل الثالث : تقويم البيئة التعليمية لزيادة انتاجيتها ..... ٦٩ - ١١٣

د . محمد عبد العزيز عيد

- مدخل لاهمية التقويم البيئى فى التعليم ٧٠

أولا : تقويم نمو الطالب ٧٥

ثانيا : تقـــويم البيئة الفيزيقية ٩٢

ثالثا : تقويم البيئة الاجتماعية ١٠١

الفصل الرابع : الرعاية البيئية المتكاملة وعلاقتها بالانتاجية

- دراسة حالة في صناعة السجاد - ..... ١١٤ - ١٧٥

أ.د . وفاء احمد عبد الله

- مقدمة حول موضوع الدراسة وأهميته ١١٤

المحور الاول : المفاهيم ، والاهداف ، والاساليب ١١٨

المحور الثاني : الرعاية البيئية المتكاملة بمدينة العاشر من رمضان ... ١٣٩

المحور الثالث : تحليل نتائج الاستطلاع الميدانى ١٥٩

- التوصيـات ١٦٨

الفصل الخامس : العوامل الاجتماعية المسببة للادمان وتعاطي المخدرات وتأثيرها

علي الانتاجية ..... ١٧٦ - ٢٢١

د . نادرة وهدان

- مقدمة ١٧٦

الجزء الاول : أثر المخدرات على الصحة العامة للفرد ١٨١

أولا : الادمان ومصطلحات أخرى ١٨٦

ثانيا : العقاقير التى تسبب الادمان وأثرها على صحة الفرد ...

الجزء الثانى : الدراسة الميدانية المتعمقة على عدد من الحـــــالات

(تسع حالات) ١٨٩

- تحليل ومناقشة ٢١٧

- دليل المقابلة المتعمقه ٢٢١

مقدمة عامة :

لعل موضوعا لم يطرح بشكل مكثف ومتصل مثلما طرح موضوع مثل " الانتاجية " Productivity سواء على المستوى النظرى ، أو النطاق التطبيقى . ويبدو أن ذلك يرجع بالدرجة الاولى الى أهمية هذا المصطلح وحيويته مثلما يعود الى فعاليته وتأثيره فى الابنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمعات : المتقدم منها ، والمتخلف وما بينهما من درجات ومستويات على حد سواء .

وبصرف النظر عن التعريفات العديدة والتى لا تقع تحت حصر للانتاجية ،فان مضمونها يظل دائما يعبر عن " قدرة المجتمع " فى الاستفادة من طاقاته المادية والبشرية بالصورة التى تسمح بتحويل هذه القدرة الى كم من " السلع " ومستوى من " الخدمات " .

ان الانتاجية وفق هذا النحو ترتبط بطبيعة الهيكل الاقتصادى ، وخصائص البناء الاجتماعى ، وتوجه النظام السياسى لأى مجتمع . بل انها تعد التعبير الحقيقى المجسد لهذه العناصر .

وتتطلب الانتاجية ـ كما ونوعا ومستوى ـ وجود أساليب متنوعة ومتعددة لزيادة فعاليتها بالمجتمع . ويمثل " التخطيط " أسلوبا معتمدا ومستخدما فى هذا الصدد . فبواسطته يتمكن المجتمع بصورة علمية من تحديد أهدافه ، ورصد موارده ، وصياغة المدى الزمنى الذى يحقق ـ فى أقصر مدة زمنية ممكنة ـ تعظيما لهذه الاهداف ، وبأفضل استخدام ممكن للموارد . واذا كانت العلاقة بين " الانتاجية " ، و " التخطيط " على ذات الدرجة من الوثوق والقوة فان تشكل طرفى هذه العلاقة واتخاذ احدهما أو كليهما طابعا اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا لا يفقدها قوتها ، كما لا يفرغها من مضمونها .

ان العلاقة بين الانتاجية ، و " التخطيط الاجتماعى " Social Planning

تنمو في ذات الاتجاه وتتطلب فى ذات الوقت اجراء مزيد من الدراسات حيث لم يزل بعد التخطيط الاجتماعي فى حاجة ماسة الى تعميقه وتأصيله من جانب ، وربطه بالجوانب الاخرى وثيقة الصلة به (مثل الانتاجية) من جانب آخر .

ولعلنا لا نجافي الحقيقة اذا ادعينا بأن الدراسات "القليلة" التى أجريت بشأن صلة التخطيط الاجتماعى بالجوانب المجتمعية الاخرى ستعطى دفعة قوية تسهم فى تعميق قضية التخطيط الاجتماعى ذاتها وتأصيلها .

ومن هنا برز اهتمام مركز التخطيط الاجتماعى والثقافى بمعهد التخطيط القومى بالتصدى لدراسة مسألة العلاقة القائمة بين التخطيط الاجتماعى والانتاجية فى ضوء بعض المحاور الاجتماعية ، والاقتصادية ، والبيئية وغير ذلك .

ان التحليل الاجتماعى - الاقتصادى لقضية الانتاجية يتطلب توافر رؤية شاملة لهذه القضية ذاتها فهى ليست مسألة تجزيئية - مفتتة تدرس وفق أطر مختلفة ومتعددة ومن ثم تصل دراساتها الى نتائج من ذات النوعية ، وانما هى قضية ينبغى أن يحكمها " تصور متكامل " واضح الاهداف ، محدد الوسائل . ولعل الادراك القاصر لقضايا أساسية ، والانتاجية من بينها ، يؤدى بالضرورة الى نتائج شديدة الخطورة سواء فى التشخيص أو ادارة الاهداف ، أو اقتراح الوسائل والسبل المؤدية الى علاجات للمشكلات التى تفرزها هذه القضايا .

فالتصور الذى شاع فترة ليست بالقصيرة من أن الانتاجية ذات طبيعة اقتصادية بحتة ولا ينبغى أن تدرس الا وفقا لهذا المنظور (الاقتصادى) قد أدى الى نتائج عكسية حيث أهملت الجوانب الاجتماعية - الثقافية ، وكذا السياسية وهى جوانب ذات تأثير فعال وحيوى ليس فقط فى موضوع كالانتاجية ، وانما فى الهيكل الاقتصادى المجتمعى ككل .

وكان اقتراح مثل هذه الدراسة ولاشك مستندا الى محاولة السعى لازالة هذا الفهم الخاطئ بحيث تبرز فى ثناياه (أى الدراسة) الابعاد الاجتماعية المتعددة المؤثرة فـــى الانتاجية والمتأثرة بها .

وتضم دراستنا هذه فصولا خمسة يعالج كل منها موضوعا يمثل بعدا من ابعـــــاد التخطيط الاجتماعى ، الا انها جميعا تنتهى الى توضيح تأثيراتها على الانتاجية ، ومردود كل موضوع أو بعد على مسارات هذه العملية المتكاملة .

فيناقش الفصل الاول قضية الانتاجية وعلاقتها بالقيم المجتمعية بينما يطرح الفصـــل الثانى مسألة الحاجات المعيشية وعلاقتها بالانتاجية . أما الفصل الثالث فيعالج موضـــوع تقويم البيئة التعليمية لزيادة انتاجيتها ، ويُخصص الفصل الرابع لتحليل قضية الرعاية البيئيـة المتكاملة وعلاقتها بالانتاجية وذلك من خلال دراسة حالة فى صناعة السجاد .أما الفصـــل الاخير فيدرس العوامل الاجتماعية المسببة للادمان على تعاطى المخدرات وتأثيرها علـــى الانتاجية فى ضوء دراسة بعض الحالات المتعمقة انثروبولوجيا .

أما العنصر الاول فيناقش موضوع الانتاجية والقيم المجتمعية فى ضوء نقطتين رئيسيتين تتعلق الاولى بالقيم والانتاجية فى مجتمع متغير ، أما الثانية فترتبط بنسق القيم والانتاجيـة فى ضوء بعض الدراسات السابقة .

بينما يناقش العنصر الثانى مسألة الحاجات المعيشية وعلاقتها بالانتاجية.وذلك مـــن خلال نقاط أساسية ثلاث : فأما الاولى فيتعرض فيها الباحث الى تحديد ماهية الانتاجيـة واهميتها . ويناقش فى النقطة الثانية الحاجات المعيشية . أما الثالثة فيعالج فيهـــــا الحاجات المعيشية ودورها فى التأثير على الانتاجية .

أما العنصر الثالث فيسعى الي تقويم البيئة التعليمية لزيادة انتاجيتها وذلك بأن حدد الباحث لهذا الموضوع مدخلا لاهمية التقويم البيئى فى التعليم ثم ناقش موضوعات رئيسية ثلاثة أولها : تقويم نمو الطالب ، وثانيها تقويم البيئة الفيزيقية ، وثالثها تقويم البيئة الاجتماعية .

ويتعرض العنصر الرابع الي قضية الرعاية البيئية المتكاملة وعلاقتها بالانتاجية فى ضوء تجربة مصنع " النساجون الشرقيون " بمدينة العاشر من رمضان (كدراسة حالة) .ويشتمل هذا العنصر على محاور ثلاثة : فيتعرف الاول على الرعاية البيئية المتكاملة من حيث: المفهوم والهدف ، والاسلوب من جانب ، ثم الاشارة الى بعض مشكلات البيئة بمنطقة القاهرة الكبرى من جانب آخر . أما المحور الثانى فتتعرض الباحثة فيه للرعاية البيئية المتكاملة بمدينة العاشر من رمضان مجسدين ذلك فى تجربة " النساجون الشرقيون " . بينما يخصص المحور الثالث لتحليل نتائج الاستطلاع الميدانى الذى أجرى بشأن التعرف على أوجه الرعاية البيئية المتكاملة وصلتها بالانتاجية .

أما العنصر الخامس والاخير من دراستنا هذه فيسعى الى التعرف على العوامل الاجتماعية المسببة للادمان علي تعاطي المخدرات وتأثيرها علي الانتاجية . فبعد عرض مقدمة موجزة للدراسة توضح أهميتها وهدفها ومنهجها وادواتها والصعوبات التى واجهتها تنقسم الدراسة الى جزئين رئيسيين يناقش الجزء الاول أثر المخدرات على الصحة العامة للفرد ويتم ذلك فى ضوء عرض الادمان ومصطلحات أخرى ، والعقاقير التي تسبب الادمان ، أما الجزء الثانى فيخصص للدراسة الميدانية المتعمقة فى ضوء تسع حالات تدرس بشكل متعمق واعتمادا على أداة " دليل المقابلة " المتعمقة .

وتناقش الفصول الخمسة التالية تباعا العناصر سالفة الذكر بشيء من التفصيل

أ.د . أحمد فرحات

مدير مركز التخطيط الاجتماعي والثقافى

الفصـــل الاول *

الانتاجيـــة والقيـــم الاجتماعيـــة

---

* قام باعداد هذا الفصل د. خضر أبو قورة الخبير الاول بمركز التخطيط الاجتماعي والثقافي

اولا : القيم والانتاجية فى مجتمع متغير

سوسيولوجية التغير :

يمكن تعريف التغير الاجتماعى بأنه عملية التحول التى تقع فى أى تنظيم اجتماعى سواء فى بنائه أو فى وظائفه خلال فترة زمنية معينة . وعلى هذا فان التغير الاجتماعى ينصب على كل تغير يحدث فى انماط العلاقات الاجتماعية ، أو فى البناء الطبقى للمجتمع ، أو فى القيم والمعايير التى تؤثر فى سلوك الافراد والجماعات والتى تحدد مكانتهم وادوارهم فى مختلف التنظيمات الاجتماعية . وحيث ان ظواهر المجتمع تتصف بالترابط ، فان اى تغير فى أى جانب من جوانب حياة المجتمع فانه بدوره يحدث تغييرات فى جوانب اخرى وبدرجات متفاوته .

فعلى سبيل المثال لا الحصر اذا تعرض القطاع الريفى فى المجتمع لتغييرات فى البنية الزراعية فان ذلك يتبعه تغيرا فى قوى الانتاج التى هى بمثابة خطوة انتقالية نحو تكوين هيكل زراعى جديد يؤدى فى النهاية الى تكوين جماعات طبقية جديدة وتحلل جماعات أخرى قديمه بما يؤدى الى احداث تغير فى البناء الطبقى الريفى . وحينما يحدث ذلك فالنتيجة هى حدوث تغيرات فى النظام الاقتصادى للمجتمع وخاصة فيما يتعلق بالانتاج والاستهلاك والاسعار والاجور وتقسيم العمل . . . الخ . ونتيجة لحدوث هذه التغيرات يحدث بالضرورة تغير فى النظام الاسرى ومعايير الضبط الاجتماعى والتربوى والقيمى والترويحى ونوعية المشكلات نتيجة تغير هذه المعايير .

ولا يتسع المجال لدراسة النظرية السوسيولوجية للتغير الاجتماعى وتصنيفها بين نظريات خطية Linear ونظريات دائرية Cyclical أو الخلافات بين النظرية التكنولوجية والاقتصادية ونظرية الصراع وعلاقة كل منها بتوجيه التغير كعملية اجتماعية نحو التنمية وعلاقة كل منها بالتغير البنائى Structural Change والتغير التنظيمى Organizational Change والحراك الاجتماعى الذى يحدث عن طريق انتقال الافراد من مركز اجتماعى الى مركز اجتماعى اخر دون أن يصحب هذا الانتقال تغير فى البناء الطبقى .

ويحدث التغير بسرعات متفاوته . فهو حينا يكون بطيئا يصعب رصده وملاحظته لا يثير قلق الناس او يشعرهم بمدى التحول الذى يطرأ على مجتمعهم .

بينما يكون فى بعض المجتمعات اسرع نسبيا من النوع السابق ، الا انه يحدث بطريقة طبيعية هادئه ، ويتم بصورة تدريجية فيها نوع من التوازن . وقد يحدث فى صورته الثالثة بسرعة مفاجئة تختل معها الموازين بين مختلف النظم الاجتماعية كما تختل العلاقات فيما بينها .

منهجية التغير الاجتماعي :

نقصد بالمنهجية فى التغير التحليل السوسيولوجى لتلك العملية الاجتماعية من حيث تحليل عواملها بما يسمح بصياغة القضايا وتحليل المشكلات وعرض النتائج عرضا منهجيا منظما من خلال ست قضايا رئيسية نوردها كما يلى :

١- ما هو الشيء الذى يتغير ؟ .
٢- كيف يتغير ..... ؟ .
٣- ما هو اتجاه التغير ؟ .
٤- ما هو معدل التغير ؟ .
٥- لماذا حدث التغير ولماذا كان ممكنا ؟ .
٦- ما هى العوامل الرئيسية فى التغير ؟ .

وبدون الدخول فى تفاصيل هذه القضايا حيث لا يتسع لذلك مجال هذه الدراسة فاننا يمكن أن نبنى نموذجا ينطوى على مجموعة مترابطة من العمليات :

أ - يدعم بعضها البعض فى جانب .
ب - يتعارض بعضها البعض من جانب اخر .

جـ - التأكيد على تعدد مسببات الظواهر الاجتماعية .

ومن خلال ذلك يتم الربط بين القيم الاجتماعية وظاهرة التغير والمشكلة الانتاجية من خلال الاعتماد والتساند المتبادل فيما بينها داخل النسق الاجتماعى .

د - هل يفتح التغير المنافذ والسبل نحو التقدم الاجتماعى Le Progres Social باعتباره المحصله الايجابية للتغير فالتغير فى صورته التقليدية لا يعنى اكثر من تغيرات فى بناء المجتمع ووظائفه خلال فترة زمنية معينة دون أن يكون لها اتجاه واضح يميزها عما كان وما سيكون . وهذا التغير قد يكون ارتقاء وتقدما وقد يكون نكوصا وتخلفا، ولانتاجية المجتمع كما وكيفا دورها الكبير فى مسار التغير ، ذلك لان المجتمعات تشهد التحسن والارتقاء فى بعض مظاهر حياتها ، والتأخر والتخلف فى البعض الاخر. فليس هناك تقدم مطرد ، أو تحسن مطلق . ولكن هناك تغير .

ووفق انتاجية المجتمع من حيث حجمها ونوعيتها ونمط توزيعها تتولد مجموعة قوى اجتماعية تسارع باحداث التقدم من حيث تأثير تراكم الانتاجية وتقديرها وفق الواقع الموضوعى من ناحيه ، وعلى مجموعة معايير واحكام وتصورات لما ينبغى ان يكون عليه الواقع من ناحية أخرى. ومن الصعوبة بمكان ان يطمئن الباحث الى هذه المعايير وقيم المجتمع لانها نسبيه وتختلف من جماعة لاخرى ، ومن وقت الى وقت آخر .

ومن هنا تأتى اهمية القيم الاجتماعية من المشكلة الانتاجية فى المجتمع المصرى وأهمية قياسها قياسا موضوعيا منهجيا من ناحية أخرى وتلك هى المهمة الصعبة والدقيقة التى آلينا على انفسنا القيام بها فى هذه المحاولة البحثيه المتواضعة مهما كانت الصعوبات التى تعترض الطريق ومن بينها ضيق الوقت واتساع الامل فى الوصول الى حقيقة علاقة القيم الاجتماعية بالمشكلة الانتاجية والبحث عن مدخل علمى لاجتياز تلك المشكلة . ولقد يكون ذلك صعبا بل وفى بعض الاوقات عسيرا لكنه ليس مستحيلا ولابد ان نحاول وبعون الله سنصل ولو الى بداية الطريق الصحيح . خاصة بعد ان صار التغير الاجتماعى المصرى مشكلة ،ووصلت المشكلة الانتاجية فيه الى حد الازمة .

القضية بيـن الازمة والاشكالية :

الازمة المعاصرة بين العالمية والمحلية :

نشر النرويجى (ريتشارد سيندنج Richard Sinding) استاذ الاجتماع بجامعة Trondheim بالنرويج كتابه الشهير Qu'est-Ce qu'une Criese (ما هى الازمة) فى عام ١٩٨١ ، جاء فيه (كلمة الازمه الان على كل لسان وفى كـل مكان واصبحت تؤثر فى كثير من الاساسيات:الحضارة والثقافة ، العلم والشخصية ، المجتمـع والدولة ، الصحة البدنية والنفسية ، الاقتصاد والاجتماع ، السياسة والادارة ، الازمة تمتـد الى قاع كل شئ حتى اعماق الاعماق .

ظهرت حالات من التناقض السياسى والاجتماعي والاقتصادى وعلى مستوى العالم كلـه. دفع بعض الباحثين للبحث عن صيغ مناسبة تقود الى حلول سليمة يتم بها تفادى الصدام بين الطبقات داخل المجتمع الواحد أو بين القوى الوطنية فى المجتمع والرغبة فى السيطرة عليـه من مجتمع آخر اكثر تقدما .

لكن هل انتهى الصراع ، وهل توقف عند حد معين ؟ وهل خفت حدة المنافسـه الشديدة التى كانت زيادة الانتاج ونوعيته حجر الزاوية فيها فى العالم كله أم وصلنا الـى مرتبة اعلى من التناقض الذى يقض مضاجع الجميع ؟ .

والتناقض هذه المرة عم الجميع حتى داخل مجتمعات الرخاء فى البلدان الصناعيـة المتقدمة حينما وصل التقدم بالانسان الى تلويث البيئة وافساد الجو والارض والهواء بمخلفات منتجات التكنولوجيا الحديثة .

ولكن هناك تناقضا اخطر بسبب قضية الانتاج وزيادة الانتاجية حيث المتقدمـون يزدادون تقدما ويندفعون الى ما يمكن أن يسمى عالم المخزون السلعى الفائض عن حاجـة

الاستهلاك ، نجد أن الجزء الاخر فى قطاع العالم الثالث عاجز عن اللحاق بهذا التقـــدم وعجز فى الوقت نفسه عن استيراد حاجاته من المخزون السلعى لانه يفتقد القدرة على دفع ثمن ما تحتاج اليه من هذه المنتجات .

خريطة مختلفه من خلال الانتاج باعتباره فضيه مجتمعيه فاضت الثروة فى بعض المجتمعات فى العالم الاول حتى لم تعد تجد طريقا لاستهلاك فائض المنتج .

وفى بعض البلدان فى العالم الثالث فاضت اعداد البشر وقل الانتاج حتى النـــدرة وزادت الاحتياطات الاقتصادية حتى مشارف الازمة الاجتماعية .

نعم خريطه مجتمعات العالم مختلفه بفعل الازمة ، حيث التقدم البيئة ملوثه ، وحيـث البيئه بكرا فان التخلف يضرب أطنابه . كما نجد رأس مال بلا خبره ، وخبرات بلا رأس مال .

وما هو الحـل ؟

الحل هو التخطيط ويرتبط التخطيط بالانتاج ويرتبط الانتاج بالتكنولوجيا التى ترتبـط بالبحث العلمى الذى يرتبط بالانسان وبلورة ورعاية قيم معينه فى داخله تحقق الحل المشـار اليه أو قدرا كبيرا منه . قيم جديدة تتضمن حكما تقويميا على التغير . ان نوعية معينة مـن قيم المجتمع هى التى تجعل التغير يسير فى خط مستقيم يميز المجتمع عما كان وما سيكـون . هذه القيم هى الموجه لان تكون المرحلة التى يحياها المجتمع خير من سابقتها والمرحلـة التالية ستكون اكثر خيرا واعظم نفعا .

البناء التحليلي للقيم والانتاجية وأزمة التغير في المجتمع المصرى :

* المشكلة المنهجية التي تطرحها الازمة :

للازمة دلاله خاصة فى أدبيات علم الاجتماع وفروعه المتخصصه مثل الاجتماع السياسى Sociologie Politique وهى فترة تحول حاسمة يتعرض لها كيان اجتماعى معين قد يكون فردا او اسرة أو جماعة أو مجتمع . تكون هذه الفترة مليئة بالقلق والمخاطر والتوتر . ويتباين رد فعل الكيان ازاء الازمة بين الاستجابات والتحديات مما يترتب عليه مرض أو موت ذلك الكائن أو شفاؤه . واذا ما استمر الكائن المتأزم فى الوجود فانه يخرج من الازمة بحياة جديدة مختلفة عما كان عليه قبلها بعد ان يكون قد استوعب كافة التغيرات التى اعترته قبيل الازمة واثناؤها وبعدها .

وازمة التغير فى المجتمع المصرى تنطوى على اشكاليه والاشكالية تعنى التناقض والتناقض يتمثل فى الفجوة السحيقه التى لازمت عملية التغير بسن ما هو كائن بالفعل فى البناء الاجتماعى وبين ما كان يتوقعه الناس فيما ينبغى أن يكون . وموقع كل من القيم والانتاجية داخل هذه العملية المجتمعيه . . ؟ وهذا ما ينبغى تحليله وتقييمه فى الجزء التالى من تلك الدراسة .

* التغير فى البنيه الاجتماعية فى مصر :

ان مفهوم البنيه الاجتماعية يعبر عن العلاقة المتبادله بين الاشخاص والاوضاع المؤسسية والادوار الاجتماعية وترتيبها فى علاقات تخضع لنظم معينه . فأفراد المجتمع هم وحدات البنيه التى من خلالها تتجدد نمط العلاقات الاجتماعية الحقيقية الداخله فى اقسام التركيب الوظيفى للمجتمع. وهذه العلاقات هى التى تحدد الشكل الاساسى للمجتمع وتبين الطريقة التى تنفذ بواسطتها الاعمال .

ومن خلال البنيه يتحدد الترتيب المنظم والمتناسق للاجزاء المختلفة التى يتكون منهـــا المجتمع من مؤسسات وهيئات .

ان نظرة متأنيه فى كتاب (ادوارد وليم لين) الذى زار مصر عام ١٨٢٠م وعاش بيـــن أهلها ، وصور حياتهم وعاداتهم لتوقفنا على عمق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى لحقت بالمجتمع المصرى خلال قرن ونصف من الزمان . وفى العقود الثلاث الاخيرة من القـــرن الحالى حدثت تحولات جديده فى بنيه المجتمع المصرى كانت انعكاسا لعلاقات الانتاج الجديدة فى المجتمع .

ومنذ منتصف الخمسينات وحتى أوائل السبعينيات شهدت مصر منهجا وطنيا للتنمية يرتكز على تكثيف الانتاج المحلى وتنويعه دون الاعتماد على الخارج . وترتب على ذلك نمو انتاجـــى سريع وبمعدلات تتراوح ما بين ٥ ، $\frac{1}{2}$ ٦٪ فى المتوسط سنويا مع استقرار نسبى فى الاجـــور والاسعار وتوزيع الدخول .

وابان هذه الحقبة أيضا انكمش القطاع الخاص واتسع القطاع العام الذى اتسمت بعـــض وحداته الانتاجية بضعف الكفاءة وسياسة احلال محل الواردات بدلا من المنافسه وزيـــــادة الانتاج من أجل التصدير . بالاضافة الى استخدام اساليب الحماية الجمركية العالية ومـــــا ادت اليه من انخفاض فى نوعية الانتاج وارتفاع تكلفته .

وخلال هذه الفترة فان عددا لا بأس به فى المشروعات العامة لم يحقق أهدافه ســواء فى زيادة الانتاج أو مستوى الجوده أو التوسع فى التصدير أو توفير النقد الاجنبى ، أو تكثيف العمالة وتنظيمها بما يحقق ميزات انتاجية تخفف من السلبيات السابقة . واذا كان هنـــــاك اتفاق على أن القطاع العام يمثل العمود الفقره للتنمية فى مصر .. الا انه فيما يتعلق بقضية الانتاج كما وكيفا فان العبره تقاس دائما بالنتائج على المستوى المجتمعى اقتصاديا واجتماعيا . الحصاد النهائى هو المعيار .

لقد تأثرت البنيه الاجتماعية بمشكلات متراكمه من عمليات التجريب التنموى خلال العقدين الاخيرين ظهرت فى اختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، بين الادخار والاستثمار ، بين الصادرات والواردات ، الى جانب الزيادة المستمره في اعداد السكان وهبوط مستوى خدمة مشروعات البيئة الاساسية ، الى زيادة اعباء الدين الخارجى ، وزيادة اعباء خدمة هذا الدين مشكلتان ونتيجة .

مشكلتان ونتيجة :

لقد افرخت مشكلات التجريب التنموى وتفاعلها مع بعضها البعض مشكلتين معقدتين أثرتا بالسلب على الانتاجية ونقصد بهما البطاله ، والتضخم وأدى ذلك بالتبعية الى تفاقم حدة التفاوت فى دخول الافراد ومن ثم فى النظام الطبقى بالاضافة الى بعض الاثار النوعية الاخرى كالهجره من الريف للحضر والهجرة الخارجية ، ترهل العماله فى القطاعين العام والحكومى ثم خلل نظام التعليم نتيجة ازدحام الجامعات بالطلاب وضعف مستوى التكوين والاداء. وزاد الامور تعقيدا بيروقراطية الدولة متعددة الادوار حيث كانت تقوم بدور المشرع والمخطط والمنتج ، وصاحب رأس المال ، والمدير والمنظم والمنفذ بل والموزع وكانت قرارتها تصل الى ادنى مستويات النشاط الانتاجى . والنتيجة خلل فى التوازن بين الانتاج والاستهلاك وتضخم الثانى على حساب الاول .

ومنذ النصف الثانى من السبعينيات سلكت الدولة فى مصر سياسة تنموية جديدة اطلقت عليها اسم (الانفتاح الاقتصادى) من أهدافها الاساسية زيادة الانتاج عن طريق الانفتاح لاستقبال الاستثمار الاجنبى وازالة القيود من على الاستيراد والنقد وتشجيع القطاع الخاص بمنحة تسهيلات عديده .

ولكن هل راعى الانفتاح الاقتصادى خصائص البنيه الاجتماعية التى يعمل فى داخلهـــا وأخذها فى الاعتبار لتحقيق اهدافه الاستراتيجية وهى زيادة الانتاج من خلال زيـــــادة الاستشعار ؟ .

وهل حقق نوعا من التوازن فى البنيه الاجتماعية ينعكس اثره على زيادة الانتاجيـــة أم الحق بها خللا أصاب معه الانتاجيه بهزال كبير ؟ .

ان الانفتاح الاقتصادى جاء دون دراسة علميه ومتأنيه للظروف التى يعمل فيها الاقتصاد المصرى حيث يتعرض القطاع العام لمنافسه قاسية . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصـــر أن المشروعات الاجنبيه أو المشتركة كانت تجتذب العمالة المصرية ذات الكفاءة العالية وعلـــى جميع المستويات . بالاضافة الى سلسلة القيود والرقابة التى تحاصر القطاع الحكومى والعـــام مقابل التسهيلات للمشروعات الاجنبية والمشتركة .

اسهم الانفتاح فى تفاقم التضخم ، وفى ظهور تفاوت كبير فى توزيع الدخول حيث اثرى الوسطاء ورجال المال والتجار والمستوردون بفضل التيسيرات التى اتاحها الانفتاح من خـــلال قانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ والمعدل بالقانون رقـــم٣٢ لسنة ١٩٧٧ .

اصبحت الاسرة المصرية من الحرفيين والمهنيين والعمال غير المهره فى الريف والحضـــر فى ظل ارتفاع مستويات اجورهم نتيجة سياسة الانفتاح احسن حالا من العامليـــن فـــى الادارة الحكومية ووحدات القطاع العام حيث اصاب هذه الفئه شعورا بالاحباط لان دخولهم لا تزيـــد بالسرعة التى تزيد بها معدلات التضخم ولا بالسرعة التى تزيد بها تطلعاتهم مما اوجد نوعـــا من القلق الاجتماعى يمكن أن يهدد الاستقرار السياسى . فان المعدلات المرتفعة فى التضخم اذا ما اقترنت بدرجة عالية من عدم المساواه فى الدخول فانها قد تؤدى الى ازمات اجتماعيـــة وسياسية تؤثر بدورها فى ضعف الانتاجيه وانخفاض معدلاتها وتغيرات هيكلية فى عدم التـــوازن

بين الانتاج والاستهلاك ويتضح ذلك من تحليل هذه الظواهر فى قطاعى الريف والحضر فى المجتمع المصرى .

اولا : قطاع الريف :

ان التحولات التى طرأت على البنيه الاجتماعية فى قطاع الريف المصرى كانت محصلة لعوامل بنائية تاريخية موغلة فى جذور المجتمع المصرى ويهمنا فى هذه الدراسة التركيز على طبيعة الواقع الخاص للبنيه الاجتماعية الريفيه من خلال تكويناتها الاجتماعية وعلاقتها بأسلوب الانتاج والتغيرات التى طرأت على علاقات الانتاج ووسائله وكذلك عمليات التوزيع والاستهلاك وآثار ذلك على مشكلتنا المحورية وهى قضية الانتاجيه وذلك من خلال رصد النتائج الاجتماعية للتغيرات التى اثرت فى البنيه الريفيه خلال العقود الثلاث الماضيه ومن أبرزها التغيرات التى لحقت بخريطة الملكيه الزراعية بدءا من قانون الاصلاح الزراعى الاول فى ١٩٥٢ والقوانين التالية حتى تطبيق سياسة انفتاح الاقتصادى فى منتصف السبعينيات واساليب الانتاج الزراعى وهجرة العماله الريفيه الداخليه والخارجيه تلك العوامل التى قلبت البنيه الريفيه رأسا على عقب ، فكانت ملامحها كالتالى :

- بقى نصيب الملكيات الزراعية الصغيره ثابتا نسبيا ٩٤,٤٪ ولكن نصيبها فى الارض الزراعية قد ازداد بصورة ملموسة من ٣٥,٤٪ الى ٤٦,٤٪ أى بزيادة قدرها ١١,٢٪ من المساحة الزراعية .

- ازداد عدد الملكيات المتوسطة فى الشريحه من ٢٠ - ٥٠ فدان من ٢٢ الف مالك الى ٣٠ الف بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى الاول ، كما ازدادت مساحة تلك الملكيات المتوسطه من ٦٥٠ الف الى ٨٠٠ الف فدان .

- بالنسبة للشرائح من ٥ الى اقل من عشرة افدنة ومن ١٠ الى اقل من ٢٠ بقيت دون تغير يذكر سواء فى عدد الملاك أو مساحة الاراضى ، وبعد تطبيق القانون الثانى فقد اقتصرت آثاره على اعادة توزيع الارض من الملكيات الكبيرة الى الصغيرة بينما اتسمت

الملكيات المتوسطة بالنبات . وبعد القانون الثالث تلاشت الملكيات الكبيره اكثر من خمسين فدانا .

ونتيجة لهذا فلقد ظهرت جماعات طبقية جديدة بعد اعادة توزيع الملكية عقب قوانين الاصلاح الزراعى الثلاث . وتحللت طبقة كبار الملاك بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعى الثالث فى سنة ١٩٦٩ فى الوقت الذى ظهرت فيه جماعات جديده من صغار الملاك الزراعيين وحلت جماعات الملكيات المتوسطة من (٢٠ - ٥٠) محل الطبقة الاولى.

كما انتعشت الطبقة الرأسمالية الزراعية العليا فى الريف فى حقبة الانفتاح الاقتصادى نتيجة القوانين والتشريعات الجديده التى سمحت لها بحرية اكثر من الاستثمار والانتاج .

- ولقد كان انشاء السد العالى آثاره المباشره على العملية الانتاجية فى الريف حيث ادى هذا المشروع الكبير الى تغييرات كثيرة فى طبيعة الانتاج الزراعى بالرغم من آثاره الجانبيه فى تقليل الطمى .
- اختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك ونشوء فجوة غذائية ابتداء من السبعينيات اخذت تزداد عاما بعد آخر . كان من اثارها عجز الانتاجية الزراعية عن الوفاء بمسئولياتها نحو المجتمع بالاضافة الى آثار ذلك المباشرة فى اضعاف الميزان التجارى ومن ثم حجم الاستثمارات الموجهة نحو خطة التنمية القومية .
- برزت كثير من المشكلات المعوقه لزيادة الانتاجية فى القطاع الريفى تمثلت فى ضيق واضح من الموارد الرأسمالية ، بالاضافة الى القصور فى تقدم البحوث العلميه الزراعية واساليب الارشاد الزراعى ، الى جانب التفتت فى الحيازه الزراعية والخلل فى العلاقات الخاصة بها . تراكمت هذه المشكلات الواحدة فوق الاخرى لتكون مؤثرات سالبه امام تحسين الانتاج ورفع كفاءته .

- حدث تغير كمى فى البنيه الريفيه دون ان يصاحبه تغير كيفى مماثل ، نتيجة الزيادة المفرطه فى عدد السكان ، ثم الهجره داخليه وخارجية ، ثم تغير كثير من العادات الاجتماعية المرتبطه بالاستهلاك وزيادة ظاقته ، ثم عمليات السطو على مصدر الانتاج الرئيسى وهى الارض الزراعية بالبناء فوقها أو تجريفها كل ذلك جمد الانتاج ثم اضعفه.

- هناك تغيرات ايجابيه بلاشك ـ دفعت بالطاقة الانتاجية الى الامام مثل التطور العلمى والتكنولوجى واثره فى استحداث سلالات نباتيه وحيوانيه جديده تتميز بالكفاءة الانتاجية.

- حظى التركيب المحصولى المصرى بميزة التكثيف الزراعى ابان العقد الاخير حيث وصل معدل التكثيف الى ١,٩ مره بالنسبة للمساحة المنزرعة بينما كان المعدل فى حدود ١,٥ فى العقد الثانى من الستينيات . مما له أثره المباشر على زيادة الانتاجية الزراعية وترشيد استخدام الموارد المائية .

وفيما يلى بيان تطور قيمة انتاج الزراعى بالمليون جنيه وفق الاسعار الجارية :

السنة	١٩٥٢	١٩٦٢	١٩٧٥
الانتاج النباتى	٣٢١	٤٧٧	١٣٥٥
الانتاج الحيوانى	٦٦	١١٦	٥١٥
جملة قيمة الانتاج الزراعى	٣٨٧	٥٩٣	١٨٧٠
قيمة عناصر التكلفة	١٣٥	١٥٦	٤٨٨
الدخل القومى الزراعى	٢٥٢	٥٣٧	١٣٨٢

المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ الكتاب السنوى للاحصاءات العامة ـ القاهرة ـ يونيو ١٩٨٧ .

وترجع تلك الزيادة أساسا الى اتساع المساحة المحصولية ، مع زيادة متوسط انتاجية الوحدة المساحية فلقد زادت المساحة المحصولية من ٢١,٣ مليون فدان ١٩٥٢ الى ١٠,٣٦ عام ١٩٦٢ الى ١١,١٦ عام ١٩٧٥ ثم جمدت تقريبا عند هذا الحد .

مشكلات التغير فى البنيه الريفية واثرها على الانتاجية :

ان شبكة العلاقات الاجتماعية فى الريف المصرى غزيره التنوع ، شديدة التعقيد اذ ان البنية الاجتماعية والتركيب الطبقى وعلاقات الانتاج وان كان صفاته العامة وخصائصه المشتركة فيما بين الشرائح الاجتماعية المختلفة بدءا من فئات العمال الزراعيين اللذين يعملون كأجراء أو عمال تراحيل حتى الشريحة العليا من الحائزين من (٢٠ - ٥٠ فدان) ، الا أن هناك فروقا كثيره فى التركيب الطبقى وعلاقات انتاج تختلف من قرية لاخرى بل ومن محافظة لاخرى واحيانا من اقليم لاخر . نظرا للتباين .

حقيقة ان القطاع الريفى المصرى تعرض لتغييرات جوهرية بفعل خطط التنمية القومية خلال العقود الثلاث الماضيه ، الا انه واجه ايضا بعض المشكلات عاقت نمو الانتاج الى المعدلات المرجوه حيث وصل الانتاج الزراعىّ الى حالةمن عدم التوازن مع حجم الطلب عليه سواء للاستهلاك المحلى او للتصدير للخارج . فى مستهل الخمسينيات فى هذا القرن كان هناك اكتفاء ذاتى فى المجتمع المصرى لمعظمه ان لم يكن كل احتياجاته فى الغذاء . وفى مستهل الثمانينات اصبح مجتمعنا يواجه فجوه غذائية كبيرة حيث نستورد اكثر من نصف احتياجاتنا فى الغذاء . وتتضح هذه الفجوه التى تدل على ضعف كبير فى معدلات الانتاج الزراعى المصرى فى خمس محاصيل رئيسية وهيه القمح ، الزيوت النباتيه ، السكر ، اللحوم والبقوليات . وهذه مشكلة كبرى تحتاج الى دراسة علمية عاجلة على المستوى القومى للوصول الى حل سريع لها .

- يواجه الانتاج الزراعى زيادة فى التكلفة نتيجة زيادة تكاليف الاجور وزيادة قيمة

مستلزمات الانتاج أو عدم كفايتها أو توافرها فى الوقت المناسب أو تعرضها للضياع فى احدى حلقات التوزيع وهذا له آثاره المعوقه على زيادة الانتاج .

- يتأثر الانتاج الزراعى بتآكل الرقعه الزراعية وتناقصها بصفة مستمرة نتيجة استقطاع مساحات كبيرة منها سنويا لاستغلالها فى عملية البناء ويقدر هذا الفاقد بخمسين الف فدان سنويا .

- تعثر تطوير استخدام الميكنه الزراعية وقصرها على المساحات الكبيرة بينما يجرى العمل فى امساحات الصغيرة بجهد الانسان والماشية ، وتلك مشكلة تنظيمية يمكن أن تحلها التعاونيات بقصد زيادة الانتاج .

- القصور فى عمليات التسويق التعاونى وتناول الحاصلات الزراعية وانعدام التكامل فى وسائل التغليف والتعبئة والنقل والتخزين بالاضافة الى قصور ملحوظ فى عمليات التوريد والائتمان والتسويق تلك العمليات التى تؤثر فى خدمة العملية الانتاجية وتساعد اما على رفع مستواها أو الحاق الاضرار بها .

- تتعرض الحيازات الزراعية لعمليات تفتت نتيجة ما يصيب الملكية الزراعية من تغيرات مشتته لها مع عدم التكامل فى تجميع هذه الحيازات المفتته فى دورات زراعية واسعة المساحة منتظمه المحاصيل .

- تضارب عوامل الطرد والجذب بين القطاعين الريفي والحضرى وتأثير ذلك على الهجرة من الريف الى الحضر حيث موقع توافر فرص العمالة فى المدن بما يؤدى الى حرمان العملية الانتاجية الزراعية من ابنائها من الشباب اليافع .

لقد حدث نوع من الخلل فى عملية التوازن الداخلى فى دورة اعادة الانتاج فى القطاع الريفى وبصفة خاصة لدى صغار الفلاحين الذين فرضت عليهم المتغيرات العديده التى شرحناها سلفا مشكلات جعلتهم غير قادرين فى استمرار وتحسين وجودهم كوحدات انتاجية متحدده ومكتفيه ذاتيا . واذا كان نمط الانتاج فى الوحدة الفرديه الصغيرة يستلزم

علاقات متوازنه بين دخل العمل ووسائل الاعاشه التى تدخل مرة اخرى فى عمليات الانتـــاج بوصفها عنصر استهلاكى ، فان خضوع هذا النمط لعلاقات خارجيه كنتيجه لسلسله من العوامل والتطورات التاريخيه . لم يتركه هكذا متوازنا بل ساهم فى تقليل كفاءته الانتاجية فىالتعامـل مع الدورة الانتاجية خارج نطاق المجتمع المحلى .

فى ريفنا المصرى ينبغى حل التناقض الناشئ فى التفرقه بين الفائض السلعـــــى الاختيارى والفائض السلعى الاجبارى . فاذا كانت السياسة الزراعية قد نجحت ولفترة زمنيـة محدده فى زيادة حجم الفائض السلعى الاجبارى وذلك عن طريق قيام الزراع بتوريد حصـص محدده للدولة وفق حجم كل حيازة فى بعض المحاصيل الرئيسية مثل الارز والقمح والفـــول والعدس بالاضافة الى التحكم فى السياسة التسويقية والسعرية لمحصول القطن الا ان ذلـك كان له آثاره السالبه على الانتاجيه فى القطاع الريفى نتيجة عزوف كثير من الفلاحين عن زراعة القطن وهروب جزء هام من المحاصيل خارج القنوات الرسميه مثلما حدث فى محصولـــى الارز وقصب السكر حيث يهرب الاول الى المضارب التى تدفع اكثر والثانى يهرب من مصانع السكـــر الى العصارات المملوكه لكبار زراع القصب ومصانع العسل الاسود .

ثانيا : قطاع الحضـر :

يرى كثير من الباحثين ان البناء الاجتماعى ذو تأثير كبير على حجم المجـــرات أو حجم المشكلات التى تواجه مجتمعا معينا فى مرحله زمنيه معينه . ان البناء الاجتماعى هـو المؤثر الفعال سواء بالايجاب أو السلب مع المتغيرات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية . بل ان هناك بعض من علماء الاجتماع مثل ذلك الباحث الجادجان كلود لوجان Jean-Claude Lugen استاذ علم الاجتماع بجامعة تولوز والذى أكد فى كتابه القيـــــم (عناصر التحليل للنسق الاجتماعى)
" Elements d'analyse des systemes Sociaux "

بأن البناء الاجتماعى يكتسب أهمية كبرى فى المجتمعات التى تتعرض لمتغيرات مجتمعيه سريعة الايقاع حيث يعتبر البناء الاجتماعى بمثابة مقياس الحرارة (الترمومتر) الذى يعكس بوضوح حجم ونوع ما يقع من احداث وتحولات فى المجتمع ، واذا ما حدث خلل فى داخل البناء الاجتماعى أو فى بعض عناصره أو بينه ككل وبين اى قطاع من القطاعات المجتمعيه حينئذ يمكن ان يختل الاداء المجتمعى ولابد حينئذ من توافر الوعى والادراك والادارة لتصحيح ذلك الخلل والا فان الاداء المجتمعى يتعثر فى قطاع أو اكثر ومن ثم يصل الخلل الى دولاب الانتاج الاجتماعى .

والقطاع الحضرى فى مجتمعنا المصرى ابان العقد الاول من الثمانينات يختلف اختلافا كبيرا بفعل متغيرات كثيرة عما كان عليه فى العقد الاول من الخمسينيات . لم يعد الحضر المصرى تلك الجزيرة الصغيرة المحاطة بمحيط من الريف بل امتد الحضر واتسع ليضم نصف السكان تقريبا . وبقدر ما كان يتصف به من تناسق فى بنائه الطبقى حتى نهاية الستينيات بقدر ما شهد من تنوع واختلاف فى نهاية الثمانينات نتيجة التغيرات السريعه فى خريطة علاقات الانتاج ونوع وحجم النشاطات الاقتصادية المتباينه للسكان الحضريين وبخاصة فى عواصم المحافظات فالفوارق بين اجزاء البناء الاجتماعى تظهر فى بعض الاحيان وكأن هناك عوالم مختلفة تعيش فى مجتمع واحد . وقد كانت هناك ظاهرة اجتماعية بدأت ملامحها الجنينية فى منتصف الستينيات كان لها أثرها غير المباشر والمباشر على قضية اجتماعية اكبر نعنى بها قضية الانتاج المجتمعى وآلياته المختلفة . والظاهره التى نعنيها هى (رأسمالية الدولة وآثارها المباشرة على انتاجية المجتمع كما وكيفا .

لقد حلت الدولة ممثله فى القطاع العام محل صاحب رأس المال ، والممول ، والمنفذ ، والمصدر ، والمستورد ، والمنتج ، والموزع . ونتيجة ذلك احتكار طبيعى لكل مصادر الثروة المجتمعية .

ولقد كان فى الامكان ترشيد ذلك الاحتكار وتوجيهه لكى يكون القطاع العام فى خدمة الصالح العام لو أحسن القائمون على اموره ادارته وتوجيهه حتى تعود فوائده ومزاياه للبنـاء الاجتماعى الكبير حضره وريفه أى الى المجتمع بشرائحه الاجتماعية المختلفة ، لكن الهدف شىء والواقع شىء آخر .

لقد افرزت تلك الظاهرة طبقة جديده استغلت الخلل فى اوضاع القطاع العام وكونـت ثروات ضخمة واصبحت تحارب القطاع العام من خلال مشروعاتها الخاصة من خلال ادارتهـا للقطاع العام وكانت النتيجة ازمة فى الانتاج بدأت شكل واضح فى منتصف السبعينيات .

ولقد كان لتبنى سياسة الانفتاح الاقتصادى آثارها على البناء الاجتماعى وما لحقه من تشوهات فى هيكله وفى جوهره . ولقد حدث ذلك من خلال تلك العملية الخاصة باعـادة توزيع الدخل بين شرائح المجتمع . واثر ذلك فى اختلال البنيه الاجتماعية نتيجة الهـوة السحيقة التى تفصل اعلى البنيه عن جوفها والفورق الشاسعة بين مستويات الدخول ومستويات الاسعار ثم الازدواجية الواضحة بين الاجور فى القطاع العام والحكومى وتلك فى القطـاع الخاص ، تلك الازدواجيه التى امتد أثرها الى مختلف مظاهر حياة المجتمع.فحسب أحـد تقارير البنك الدولى لعام ١٩٨٠ فقد ارتفع نصيب اعلى ٥٪ من السكان من ١٧٪ فـى اواخر الستينيات الى ٢٢٪ فى أواخر السبعينيات . بينما انخفض نصيب افقر ٢٠٪ مـن السكان من ٧٪ الى ٥٪ خلال نفس العقد الزمنى اى ان توزيع الثروة قد ازداد اختـلالا لصالح الفئات العليا . ولقد ضاعف من حدة التفاوت فى توزيع الدخل موجة التضخم التـى اجتاحت المجتمع خلال حقبة السبعينيات والتى تراوح معدلها بين ٢٠٪ الى ٣٠٪ سنويا . ولا يخفى ما يسبب ذلك من احباط ينعكس أثره على الانتاجية والانتاج .

ان التناسق الاجتماعى فى بنية المجتمع مطلب اساسى لتحقيق السلام الاجتماعـى بين الشرائح الاجتماعية المختلفة وتوفير مقومات انطلاق الانتاج الاجتماعى والذى من خلالـه

وبواسطته_نقصد الانتاج - يمكن تحديد الحجم الحقيقى للمشكلة الاجتماعية وتخفيف حدتهـا أولا بأول حتى ينطلق المجتمع الى تحقيق اهدافه فى التنمية المتكاملة ومن ثم تحقيق التقدم الاجتماعى وذلك من خلال التخطيط القومى وذلك من خلال مسئوليته عن تنظيم المجتمـع بأكمله .

ان التغيرات التى حدثت فى البنيه الاجتماعية الحضرية تبدو متسقه ومنطقيه مع مـا طرأ على المجتمع من تحولات فى السياسات التنموية خلال العقود الثلاث الماضية . فـاذا كانت حقبة الستينيات شهدت تحول في سيطرة القطاع العام والتدخل المركز لسلطة الدولـة وكانت فترة السبعينيات هى فترة انفتاح من خلال الاستثمار الاجنبى واطلاق حريـة رأس المال الاجنبى كما وكيفا ، رأسيا وافقيا وصدور قانون التوكيلات التجارية الذى يسمـح باعادة الوكالات التجارية الاجنبية الى الافراد والقطاع الخاص . وبعد عقد من تجربـة الانفتاح . فاننا نتساءل عن النتائج . اذ أن المسألة فى تقييم السياسات التنموية المؤثرة فى جوهر البنيه الاجتماعية من خلال النتائج التى تحققها عملية الانتاج المجتمعى الكلـى وحجم الحصاد ونوعه وتأثيره الاجتماعى والنفسى والثقافى والاقتصادى . وهنا نقول بعيـدا عن التفاصيل التى قد تخرج بنا عن موضوع تلك الدراسة بأنه برغم الانجازات الكبيره التـى حققتها خطة التنمية القومية السابقة والحالية واتجاهات بعض وحدات القطاع العام ، وكذلك بعض مشروعات القطاع الخاص . الا أنه على الضفه الاخرى لايزال الكثير من المستفيدين من سياسة الانفتاح الاقتصادى يأخذون السياسة التنموية التى نظمها قانون استثمار أس المـال العربى والاجنبى على أنه قنطرة للعبور الى النمو الرأسمالى السريع ولذلك انصب جـل اهتمامه على الانشطة الطفيلية وهى المقاولات وتجارة الاستيراد وتوكيلات التجارة الداخليـة وبعد ان كان الاستيراد مؤمما بالكامل سمح بالاستيراد بدون تحويل عمله وهو تهريب غير مشروع لثروات المجتمع ، ثم سمح بالاستيراد من حصيلة السوق الموازية للنقد الاجنبـى . واذا كانت هذه الواردات قد سمحت باستيراد بعض السلع فقد كان من أهداف المجتمـع ان يكون ذلك خدمات وادوات لزيادة الانتاج . لكن الذى حدث انها وجهت بصـورة

كبيرة نحو جلب سلع استهلاكية معمره أو غير معمره تحقق ارباحا عاليه ويتم معها تدخل سلسله طويلة من الوسطاء كونوا شريحة معوقة للنمو الانتاجي ولا تتبدى خطورة تلك الشريحة على الانتاج فيما تسبب فى الهيكل الاقتصادى فحسب ، وانما فيما تفرزه من قيم خطيره على عصب البناء الاجتماعى فى شريحة (الطبقة الوسطى) ذات الدخل المتواضع وتميل ذلك فى اهدار قيمة العمل الجاد الشاق ، الشريف المنتج ، وتدعيم قيمة الكسب الوفير والسهل والسريع ، بأدنى مجهود ، ودون الحاجة الى التعليم وانما اعتمادا على وسائل أخرى اكثر سهولة وأوفر ربحا وأقل عناء .

من اكثر معوقات الانتاجية ، بل وجمودها ، التغير الذى حدث للبنيه الاجتماعية الحضريه وبصفه خاصة فى الشريحه الاجتماعية المسماه (بالطبقة الوسطى) التى تعتبر عصب التنمية . برزت هذه الشريحة فى مصر ابان النصف الثانى من الخمسينيات وحتى النصف الثانى من الستينيات . حيث تحتل موقعها قبل ذلك العقد فى الشريحة عليا السفلى للطبقة الدنيا الممثله لاغلبية المواطنين .

افادت هذه الشريحه من الانجازات التنموية فى هذا العقد (١٩٥٦ - ١٩٦٦) وكانت التنشئه الاجتماعية من خلال قيم شرف العمل والعلم . ثم الرعاية الصحية بدنيا ونفسيا أتاح ذلك السبيل امام عملية حراك اجتماعى نحو الصعود لاعلى من خلال العمل والانتاج .

لقد كانت هذه الشريحة من اكثر الفئات التزاما وادراكا لواقع المجتمع المصرى ومستقبله كانت هذه الشريحه من الشباب فى الفئة العمرية (٢٠ - ٣٠ سنه) وكان وعيها بضرورة التقدم كثيرا وتخيل كل منهم دوره الهام والايجابى فى تحقيق ذلك من خلال مزيد من العمل والانتاج ومزيد من اثبات الذات فى ظل قيم شرف العمل والعلم وجاءت هزيمة ١٩٦٧ لتصيب هذه الشريحه باحباط وحيره حيث فوجئت بالتناقض والضعف واضحين فى كثير من جوانب المجتمع الى جانب عزلها عن تقويمه أو تغييره وعجزها أيضا ان تنعزل عن المجتمع .

وتعانى هذه الشريحه ربما اكثر من غيرها من الاثار الناجمه عن سياسة الانفتـــاح الاقتصادى حيث تسعى بكل الطرق والوسائل الى تحقيق وضع مجتمعى افضل نظرا لارتفاع مستويات الطموح لديها . الا ان المجتمع لا يوفر لها من الاسباب ما يساعدها علـــــى تحقيق ذلك الهدف الذى يصبها بحالة من الضعف والسلبيه ينعكس اثرها بالتالى علـــى الانتاجية .

اما عن الشريحة الدنيا فى البنيه الاجتماعية فى القطاع الحضرى وهى شريحـــة الاغلبية فى هذه البنيه فانه نتيجة المتغيرات السابقه مجتمعه ومتفاعله بعضها مع البعـــض الاخر الى جانب ارتفاع نسبة الامية . فلقد غاب وعيهم بالاوضاع الحقيقية لهذه المتغيرات ويؤدى ذلك الى تدنى مستويات الطموح وسيادة قيم السلبية والاتكالية . وينعكس تأثيـــر تلك الاطر سالبة القيمة على الانتاجية .

ثانيا : نسق القيم والانتاجية :

في ضوء بعض الدراسات السابقة

نسق القيم والانتاجية :

ان فكرة النسق Systeme ترتبط ارتباط وثيقا بمفهومات البناء الاجتماعى والنظم الاجتماعية فهناك تداخل بين هذه العناصر الجزئيه لتكوين (الكل) واستمرار تماسكه حيث يوجد حسبما يقول عالم الاجتماع الامريكى تالكوت بارسونز نوع من التساند والاعتماد المتبادل فيما بينها لتحقيق وظائف معينه وادوار مرسومه ومحدده . هذا ولن نحاول الدخول فى مناقشة اكاديميه حول تقسيم الانساق الاجتماعية واهميتها النسبية من وجهة النظر البنائيه الوظيفيه وتفاوت ذلك تفاوتا شديدا من مجتمع لاخر ومن عصر لاخر . ولكن الذى يعنينا للتركيز عليه وتأكيد اهميته هو ذلك الاجماع العلمى الذى ظهر واضحا فى ذلك المؤتمر الكبير الذى عقد بمدينة فينسيا بايطاليا (٢٠ - ٢٢ ابريل ١٩٧٢) وضم ثلاثمائة وخمس واربعين استاذا من المهتمين بقضايا التنمية ومشكلاتها فى مختلف انحاء العالم وبصفه خاصة (دول السوق الاوربية المشتركة) وكان موضوع ذلك المؤتمر (من أجل نموذج اوروبى للتنمية) . " Pour Un modele europeen de deve loppement "

كان هناك شبه اتفاق بين الباحثين على أن اهمال نسق القيم أو عدم اعطائه الاهمية الكبرى التى يستحقها كان وراء فشل كثير من التجارب التنمويه فى مختلف انحاء العالم وان تركيز المسئولين عن التنمية علىالبعد الاقتصادى متصورين أن ذلك يساعد على انجاز برامج التنميه وان الاهتمام بالابعاد الاخرى ومنها البعد الاجتماعى يؤدى الىاعاقة الوصول الى النتائج التنموية المرجوه . كان هذا التصور كما اجمع المؤتمرون وهم كبير . واكدت كثير من الابحاث والدراسات وبعضها اعتمد على منهج الاستقصاء المسحى المقارن ان نسق القيم اشد تأثيرا واخطر أثرا فى التنمية فى كثير من المجتمعات فى الانساق الاخرى الاقتصادية ، والسياسية والثقافية والايكولوجية(١) .

(1) Collectif, Pour un modele europeen de developement venise, 1972, Ed-La Libraive europeenne, S.A. Bruxelles, Belqique, 937 P.

ان نسق القيم قد يكون دافعا لانجاز التنمية وزيادة الانتاجية كما وكيفا وقد يكون معوقا رئيسيا لها وعامل احباط لافراد المجتمع المستفيدين منها .

ولقد عانى المجتمع المصرى خلال العقود الثلاثة الماضية من ظاهرة كان لها اثرها السالب على خطط التنمية وقضية الانتاجية ونعنى بتلك الظاهره اهمال نسق القيم حينا وتحييده حينا آخر . دون ان تزال كثير من المعوقات التى تعترض اداء لدوره أو السبل التى تحدد معالمه بوضوح امام الاجيال الصاعده . بما يؤدى فى النهاية الى عزلته وتقوقعه بعيدا عن مجريات التفاعل الاجتماعى ويظل حبيس شرائح اجتماعية محدوده .

ان مجتمعنا المصرى ينتمى الى نمط من المجتمعات ذات الخصوصية الحضارية المتميزه وذات الاصاله القيميه الفريده نمت وظهرت فى العصور الفرعونية على مدار سبعة آلاف عام قبيل الميلاد ثم تفاعلت مع ذخيرة العهود البطليميه ثم جاء الفتح العربى وتفاعلت مصر مع ما اذكاه وغذاه فيها الاسلام الحنيف ثم جاءت فترة الحكم العثمانى الى ان جاء عصر محمد على فى النصف الاول من القرن التاسع عشر حيث كانت تجربة التنمية بلا ديون . الى سعيد باشا حيث الديون بلا تنمية ، الى عصر اسماعيل حيث فترة الاستدانه فى عصر الرخاء ، الى وضع الاقتصاد المصرى فى خدمة الدائنين ابان عصر الاحتلال وخلال هذه الفترة وحتى نهاية الحرب العالميه الثانية كان نسق القيم المصرى هوالسياح الذى احتمى فى ظله البناء الاجتماعى لمقاومة مختلف الازمات التى مرت بها مصر بل ومساعدتها على اجتياز العديد من الصعوبات وتخطى الكثير من الازمات .

وخلال العقود الثلاثةالاخيرة تعرض نسق القيم الاجتماعية فى مصر للعديد من المؤثرات جعلته يتقلب من الايجابيه الى السلبيه حينا ، ومن التقليديه الى المعاصره حينا آخر .

ويهمنا فى هذه الاونه محاولة استبيان موقف نسق القيم فى مصر ريفا وحضرا نحـــو قضية الانتاجية . من خلال التعرف على سلم الاهمية فى ترتيب القيم فى المجتمع والطريقـــة التى يتعاملون بها افرادا وجماعات بتصنيفاتهم الطبقيه المتعدده لقيم بذاتها كما نحـــاول استبيان أى القيم كان اكثر ثباتا واستقرارا وايها كان سريع التبدل والتحول وكيف يمكـــن الوقوف على اى القيم كان دافعا لزيادة الانتاجيه ومعضده وحافزة لها وايها معوقا لهـــا . وتحديد الاوزان النسبيه ليس بالامر السهل أو اليسير ، فهو يحتاج الى وضوح التصور لدى الباحث من التعامل مع كثير من البحوث الامبيريقيه التى تتعامل من قريب أو من بعيد مـــع هذه القضيه كما تتطلب منه صبرا ومهارة بما يمكن من دقة القياس من جانب وتتبع تأثيـــر المتغيرات الرئيسية فى البناء الاجتماعى على نسق القيم وموقف الاثنان من قضية الانتاجية .

فى هذا الصدد يسجل الباحث انه قد استفاد من تحقيق هذه الغاية مـــن المصادر والدراسات التاليه والتى كان لها اثرها فى الاقتراب من تحقيق الهدف المنشود .

- Jean Claude Lugan

" elements d'analyse des Systemes Sociaux, Editions, Privat, Toulouse, 1983, 266 P. "

وهو بحث قيم عن عناصر تحليل الانساق الاجتماعية .

- الدراسة التى اجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن الترتيـــب القيمى لمشكلات المجتمع المصرى وهو عبارة عن دراسة مسحيه أجرتها وحدة بحـــوث الرأى العام والاعلام على عينة ممثله للجمهور العام والخاص .

وفى دراسة لتدرج القيم فى المجتمع المصرى بالعينه التى اجراها المراكز القومـــى للبحوث الاجتماعية والتى روعى فيها ان تكون ممثله لكل من المحافظات الحضرية والريفيـــة مع اعتمادها على تقسيم الجمهور واختيار مفرداته على اساس مجموعة من المتغيرات التـــى مرت بالمجتمع وكان لها تأثيرها فى انساق القيم فيه ، كما كان للقيم تأثيرها المتبادل أيضا

فى هذه المتغيرات ، وقد روعى فى تلك العينه تمثيلها لمستويات ثلاثة فى المجتمع وهى :

أ - درجات عاليه من التحضر فى كل من مدينتى القاهرة والاسكندرية .

ب - درجات وسطى من التحضر فى عواصم محافظات الوجهين البحرى والقبلى .

جـ - درجات أولية فى التحضر ممثله فى عينة الريف المصرى حيث تم اختيار فرصة واحدة فى كل محافظة من المحافظات التى تمت دراستها ولقد حرص القائمون على تلك الدراسة واعادة التنوع فى الخصائص الاجتماعية لتلك العينة بقدر الامكان من حيث النوع (ذكور - اناث) مستويات التعليم درجة تدرج الخدمات الصحيه وخدمات الرعاية الاجتماعية فى تلك القرى .

وقد روعى فى تلك الدراسة كثير من الخصائص المنهجية التى تضمن لها درجات عاليه فى الدقه فى القياس ضمانا للوصول الى نفس النتيجة فى الموضوعيه ومن هذه الخصائص التحقق من الحصول على اجابات افراد العينه المطلوب دراستها فعلا وليس غيرهم فمن قد يتطوع بالاجابه ، وأن يقوم باجراء المقابله من المبحوثين ، باحثون من نفس الجنس ثم ضمان تعاون المبحوثين على بذل الجهد الكافى لتقويم كل مشكلة وترتيب المشكلات المختلفة حسب اهميتها بالنسبه لسائر المشكلات ، من المهم فالاقل أهمية ، وعدم الاقتصار فى مجرد تجربة درجة أهمية كل مشكلة على حدة واخيرا ضمان الحصول على استجابات الافراد الاميين ممن لا يجيدون القراءة والكتابه وممن يتعذر استخدام الاستبيار لديهم وهم نسبة كبيرة فى مجتمعنا المصرى .

ولقد اجريت هذه الدراسة على فئتين :

الاولى : وهى عينة تمثل الجمهور العام ويبلغ عددها ٣٥١١ شخصا من بينهم ١٥٣٨ شخصا تم اختيارهم من محافظتى القاهرة والاسكندرية كممثلين لاقصى درجات الحضر المصرى بنسبة ٤٣,٨٪ من اجمالى العينة ، ١٣٤١ شخصا من عواصم المحافظات بنسبة ٣٥,٤٪ من اجمالى العينة ، ثم ٧٢٢ شخصا من قرى المحافظات بنسبة ٢٠,٨٪ من

اجمالى العينة ليصل بذلك اجمالى الاقاليم اى عواصم المحافظات والقرى الى ١٩٧٣ شخصا أى ٥٦,٢٪ من اجمالى العينه وكان توزيع العينه حسب مجموعة من المتغيرات الاساسيـــة ذات الدلاله الاجتماعية كالتالى :

حسب النوع ٥٥٪ من الذكور ٤٥٪ من الاناث

حسب التعليم ٤٦٪ من الاميين ٣١٪ يقرأ ويكتب أو شهادة أقل مـن المتوسط

٢٩,٥٪ شهادة متوسطة فأعلى

حسب الديانة ٩١٪ من المسلمين ٩٪ من المسيحين

حسب الحالة الاجتماعية ٥٧,٤٪متزوج ٣٤,٦ اعزب لم يتزوج ابدا

٣٤,٦٪ مطلق ٥,٨٪ ارمل

حسب المهنة ٣٦,٣٪ لا يعمل خارج المنزل

٣٣,١٪ مستوى عمل ادنى من المتوسط

٢٣,٥٪ مستوى عمل متوسط

٦,٨٪ مستوى عمل مرتفع

حسب المستوى الاجتماعى لرب الاسرة اى على اساس مجموع ما تتطلبه مهنـــة رب الاسرة من مستوى معين فى المهاره والتعليم والاعداد الفنى والتدريب بالاضافـة الى دخله الشهرى

عمال غير مهره	٢٥,١٪
عمال انصاف مهره	٢٩,٠٪
عمال مهره	١٩,٠٧٪
كتابيون واصحاب حرف مهنية صغيرة	١٣,٠٧٪
قائمون باعمال ادارية وشئون فنيه (درجات حكومية من السابعة وحتى الرابعة)	٧,٠٩٪
رجال اداريون ومهنيون (الدرجات الحكومية من ٣ حتى الاولى)	٢,٠١٪

الوظائف التنفيذية والمهنيه العليا	٠,٠٥ ٪
غير مبين	٢,٠٠ ٪
المجموع	١٠٠,٠٠ ٪

الثانية : اما الفئة الثانية وهى عينة الجمهور الخاص من قيادة الفكر والـــــرأى والتخطيط والتنفيذ فى مصر . وعلى الرغم من تحفظ عدد كبير منهم فى الحديث بصراحـــة عن مشكلات المجتمع المصرى وحجم التغيرات فيه ودلالتها . الا ان البحث قد نجح فـــى اكتساب ثقتها وتعاونها . ويبلغ حجم عينة هذه الفئة ٤٢٤ شخصا يمثلون قيادات الفكـــر والتخطيط والتشريع والتنفيذ والانتاج والاعلام والتعليم والتربية وتبرز خصائص تلك العينة فى العناصر التالية :

فئات العمر ونسبة توزيعها فى عينة الجمهور الخاص

فئـــات العمـــر	٪
٣٠ -	٧,٧
٤٠ -	٣٧,٧
٥٠ -	٥٢,٢
٦٠ فأكثر	٢,٤
المجموع	١٠٠ ٪

اما من حيث توزيع الجنسين ، فقد كانت نسبة الذكور غالبة فى هذه العينه ، اذ بلغوا ٩٦٪ .

وبالنسبة للحالة الاجتماعية : كان توزيعها كالتالى :

متزوج	٩٠٪
اعزب (لم يتزوج)	٧ ٪
مطلق	٢ ٪
أرمل	١ ٪
	١٠٠٪

وبالنسبة للتعليم ، كان طبيعيا ان يغلب التعليم العالى على هذه العينة ، وكان توزيع مستوى التعليم كالتالى :

شهادة متوسطة	٢ ٪
بكالوريوس أو ليسانس	٢٩٪
دبلوم عالى أو ماجستير	١٣٪
دكتوراه	٥٦٪

أما المستوى الوظيفى فقد كان توزيعه كما يلى :

٥ ٪	عمال ادارية وفنية عليا
١٣٪	مديرو ادارات
٨٢٪	اعمال قياديه وادارية عليا

توزيع عينة الحضر على المحافظات

المحافظة	النوع	أمى	يقرأ ويكتب أو مؤهل متوسط	المؤهل		جملة
				متوسط	جامعى	
١ - القاهرة	ذكر	١٢٧	٢٠٠	٩٦	٥٠	٤٧٣
	انثى	١٧٣	١٠٠	٤٨	٦	٣٢٧
	جملة	٣٠٠	٣٠٠	١٤٤	٥٦	٨٠٠
٢ - الاسكندرية	ذكر	٥٠	٨١	٣٧	٢٢	١٩٠
	انثى	٨٥	٥٤	١٨	٣	١٦٠
	جملة	١٣٥	١٣٥	٥٥	٢٥	٣٥٠
٣ - الشرقية	ذكر	٣٤	٣٠	١١	١٠	٨٥
	انثى	٥٠	١٠	٤	١	٦٥
	جملة	٨٤	٤١	١٥	١١	١٥٠
٤ - الدقهلية	ذكر	٢٧	٣٤	٢٢	١٠	٩٣
	انثى	٥٥	٢٣	٨	١	٨٧
	جملة	٨٢	٥٧	٣٠	١١	١٨٠
٥ - الغربية	ذكر	٣٤	٤٢	٣١	١٠	١١٧
	انثى	٦٨	٢١	١٣	١	١٠٣
	جملة	١٠٢	٦٣	٤٤	١١	٢٢٠
٦ - البحيرة	ذكر	٣٤	٤٢	٣١	١٠	١١٧
	انثى	٦٨	٢١	١٣	١	١٠٣
	جملة	١٠٢	٦٣	٤٤	١١	٢٢٠
٧ - بنى سويف	ذكر	٢٢	١٤	١١	٣	٥٠
	انثى	٣٧	٧	٥	١	٥٠
	جملة	٥٩	٢١	١٦	٤	١٠٠
٨ - أسيوط	ذكر	٣٤	٢٢	٢٢	٣	٨١
	انثى	٤٧	١١	١٠	١	٦٩
	جملة	٨١	٣٣	٣٢	٤	١٥٠
٩ - قنا	ذكر	٢١	١٨	١٠	٣	٥٢
	انثى	٣٤	١٠	٣	١	٤٨
	جملة	٥٥	٢٨	١٣	٤	١٠٠
١٠- أسوان	ذكر	١٣		٩	٣	٣٧
	انثى	١٩		٢	١	٢٣
	جملة	٣٢	١	١١	٤	٥٠
الاجمالى العام		١٠١٤	٧٢٠	٣٧٥	١٤١	٢٥٠

فى ظل الوظيفة الراهنة لحالة الانتاجية فى مصر فاننا فى ضوء ما سبق يمكن تشخيص بعض المؤشرات التى تحتاج فى التخطيط الاجتماعى أن يوليها مزيدا من العناية والاهتمام .

ان الازمة الراهنه للانتاجية فى مصر ترتبط بظاهرة مرضية هى التحول فى قيم العمل حيث أخذت القيم السالبة تطرد القيم الايجابية الحسنه . وأصبح المجتمع يواجه مشكلة فى الاحلال والتجديد فى قضية القوى العاملة ذات الكفاءة والخبرة عند المستويات العليا والوسطى وفى مختلف القطاعات .. الادارة الحكومية ، القطاع العام بمختلف مستوياته وكذلك القطاع الخاص . الاجيال اللاحقة فى مختلف المستويات أقل كثيرا من الاجيال السابقة فى الخبرة ومستويات الكفاءة والدقة وحينما يتم احالة جيل الاربعينات والخمسينات للتقاعد سوف يواجه المجتمع بمشكلة الاحلال والتجديد على مستويين البشر والقيم مما سينعكس على كفاءة الاداء وطبيعة عملية التغير الاجتماعى وبصفة خاصة فى مجال القيم حيث تسود قيم جديدة تتسم بالضعف والوهن وتتراجع امامها قيم ايجابية تتسم بالقوة والفعالية مما يخلق حالة من الاحباط ينعكس أثرها على التنمية ككل بصفة عامة وعلى العمل والانتاجية بصفة خاصة .

ان المجتمع يواجه بظاهرة يمكن أن نسميها بالانفصال الشبكى بين العمل المنتج المفيد اجتماعيا، وبين العائد المادى .

شهد المجتمع خلال حقبة العقدين الاخيرين انسحابا تدريجيا من القوى العاملة فى الانشطة الانتاجية الى الانشطة الطفيلية التى تدر دخلا دون جهد انتاجى يذكر مثل ايداع الاموال لدى ما عرف أو اطلق عليه شركات توظيف الاموال ، المضاربة على العقارات ، القيام بأعمال الوساطه والسمسرة ، مما أوجد اثارا سيئة على معنويات قوة العمل .

هناك أيضا الخلل فى معدلات دوران العماله فى كثير من الانشطة المهنية الذى أثر بدوره على استقرارها وكفاءتها لدرجة أننا نلاحظ بأن قطاعات وأنشطة بأكملها أخذت تنقرض فيها الخبرات دون أن يحل محلها كفاءات جديدة .

هناك ظاهرة المد والجذر ، حيث المحاكاة والتبعية فى الشق الاول ، والتجديد والابداع فى الشق الثانى .. مما يعوق بلورة مشروع انتاجى للنهضة مثلما فعلت مجتمعات أقل كثيرفى خصائصها الحضارية تاريخيا فى المجتمع المصرى وخاصة فى آسيا وامريكا اللاتينية . ان المد فى المحاكاة والتبعية والحذر فى التجديد والابداع يؤدى الى ظاهرة سلبية جديدة وهى غيبه المنافع المجتمعية وبروز المنافع الفرعية مما يؤدى بدوره الى سيادة قيم الاستهلاك والكسب السريع دون الاهتام بالجوده والاتقان .

هناك أيضا الخلل فى سلم القيم بين العمل المكتبى والعمل اليدوى نتيجة مؤثرات كثيرة ترتبط بأزمة تخطيط التعليم فى المجتمع وعلاقته بالعمل والانتاجية ولعنا نلاحظ فى الاونة الاخيرة تقلصا تدريجيا فى المكانه الاجتماعية لفئات الوظائف الادارية والكتابية وتدهور العائد المادى الذى تدره تلك المجموعات الوظيفية . بينما حدث تضخم فى ذلك العائد للوظائف اليدوية والحرفية والتطبيقية . كان له أثاره السلبية على الانتاج والانتاجية كما وكيفا .

الفصل الثانى*

الحاجات المعيشية وعلاقتها بالانتاجية

---

* قام باعداد هذا الفصل د. شنوده سمعان الخبير بمركز التخطيط الاجتماعى والثقافى

أولا : ماهية الانتاجية ، وأهميتها :

نتناول هنا مصطلح الانتاجية ، وكذلك بعض المصطلحات الاخرى اللصيقة بها ، والتى يلزم استخدامها ونحن بصدد التحدث عن مسألة الانتاجية . وعلى ذلك ، سنلقى الاضواء هنا على الاتى :

١- الانتاجية والكفاءة .

٢- الانتاج وعناصر الانتاج ودالة الانتاج .

١- الانتاجية والكفاءة :

يذكر البعض أن الانتاجية تعتبر بمثابة مقياس جزئى ، بينما الكفاءة تعتبر بمثابة مقياس كلى تقريبى . ونحاول هنا الوقوف على مدى صدق مثل هذا الزعم .

أ - الانتاجية :

فى وثيقة قام بتوزيعها الباحث الحالى على الزملاء أعضاء فريق البحث ، ذكر كاتب هذه السطور أن الانتاجية يمكن تعريفها - فى شئ من التبسيط - بأنها تلك " النسبة بين المنتج والمستخدم "(١) . وبعبارة أخرى ، فان الانتاجية هى خارج قسمة المنتج (البسط) على المستخدم (المقام) . ويمثل هذا التعريف المقترح للانتاجية - فى صيغته المبسطة - يمكن تطبيقه سواء بالنسبة للمشروع أو الصناعة أو الاقتصاد .

---

(١) راجع : د . شنوده سمعان : " فصول فى التخلف والتنمية واقتصاديات المعيشة " ، من مطبوعات معهد التخطيط القومى ، مايو١٩٨٣ ، ص٩٨ . وقد استعنا بأعمال منظمة العمل الدولية (التابعة للامم المتحدة) لتوضيح مفهوم الانتاجية . هذا وفى ندوة حديثه عقدت بين معهد التخطيط القومى ومؤسسة فردريش ايبرت (بمبنى المعهد فى ديسمبر ١٩٨٨) بتوضيح مشابه . راجع د . جمال محمد نواره : " تحسين الانتاجية ... " ، ص ٥٦٦ وما بعدها .

واذا كنا نتحدث عن انتاجية عناصر الانتاج عنصرا عنصرا ، فيمكننا القول بأن انتاجية عنصر العمل (مثلا) هى عبارة عن خارج قسمة الناتج الكلى على عدد العمال . وعلى ذلك اذا كنا بصدد مصنع نسيج ينتج أحد المنتجات النسجية ، فنقول أن :

$$\text{انتاجية العامل} = \frac{\text{عدد الامتار المنسوجة}}{\text{عدد العمال}} = \ldots \text{ (كذا) مترا .}$$

وهكذا الحال بالنسبة لانتاجية فدان الارض (كذا اردب قمح أو كذا ... شعير) أو ما الى ذلك . (١)

ووفقا لهذا التوضيح ، تكون الانتاجية بمثابة مقياس طبيعى ، ويعبر عنها تعبيرا طبيعيا (كميا) in physical terms ، (سواء بالنسبة لعنصر العمل ، أو لعنصر الارض) ، كما أوضحنا بعاليه بالنسبة لعنصر العمل .

وفى الامكان تحويلها الى نقود ، اذا ما قمنا بالاستعانة بالاسعار (اى بمعرفة سعر متر النسيج ، أو سعر أردب القمح ... وما الى ذلك) . (٢)

وهناك بعض الملاحظات بصدد قياس الانتاجية ، ترد فى بعض الكتابات ، من ذلك ما تذكره دراسة نيولاند (٣) حيث أشارت تلك الدراسة ان قياس الانتاجية بتدفيق ليس بالامر السهل ، وان كانت الدراسة توضح بعد ذلك أن تفسير الانتاجية والتعبير عنها

---

(١) راجع د . شنوده سمعان ، (فصول فى التخلف والتنمية . الخ) ، ص٤٦ .

(٢) انظر د . شنوده سمعان : أضواء على الرفاهية ، من مطبوعات معهد التخطيط القومى ، وراجع Scitowsky, T.; Welfdre and Competition, (1952), ch.8.

(٣) انظر : Newland, K.; " Productivity: The New Ec. Context," World Watch paper, Nr, 49, June 1982, pp. 6-7.

بقسمة قيمة السلع والخدمات (أى المنتج output) على عدد الساعات التى يقضيها العامل فى انتاج مثل هذه السلع (أى على عدد ساعات العمل) . وهكذا يتضح لنا من تلك الدراسة تفضيل الاستعانة بعدد الساعات التى يشتغلها العامل بالفعل Hours Worked وليس بعدد العمال . والحكمة فى ذلك الوقوف على وقت العمل بالفعل ، والوقت الضائع والذى يعتبر بمثابة بطالة . وحجة تلك الدراسة فى ذلك - أى فى الاستعانة بعدد ساعات العمل وليس عدد العمال فى مقام النسبة - هو الربط بين الكفاءة فى الانتاج - بالنسبة لكل ساعة عمل - ومساهمة العمالة المنتجة فعلا فى زيادة الانتاج . ومن هنا يسهل اقتفاء أثر أو تأثير انتاجية العمل المنتج على رفاهية ومستوى معيشته .

وبالنسبة للمدخلات ، فتذكر تلك الدراسة أن قياس قيمة كل المدخلات فى العملية الانتاجية (من رأسمال ومواد خام وطاقة وعمل ...) مهمة معقدة ولاشك . كما وأن تعريف الانتاجية بذلك التبسيط الشديد قد خلق مشاكل عديدة ، فقد يأخذ فى الحسبان قيمة مدخل واحد ، هو عنصر العمل . وهنا مثل هذا التعريف تكون له قيوده . ومن ناحية أخرى ، فقد تثور مشاكل بصدد الاستعانة بالنقود عند تقييم الانتاجية . وبالاضافة الى ما تقدم ، فقد تثور مشاكل أشد صعوبة ، خاصة بالنسبة للسلع التى لا تعرض فى السوق (١) . من ذلك مثلا العمل المنزلى للمرأة ، ونتاج عمل الوزير ، وعمل عضو مجلس الشعب أو عمل عضو مجلس الشورى ، ونتاج عمل نجم غنائى أو نجم كرة .

وهناك نوع آخر من المشاكل المتعلقة بالانتاجية ، وهى الخاصة بظروف العمل الصعبة التى تجابه العاملين سواء فى الريف أو الحضر . من ذلك مثلا فلاح يحزن بسبب انخفاض ما يحصل عليه من انتاج المساحة التى يزرعها ، عاما بعد عام ، بالرغم مما يبذله من جهد شاق وعدد ساعات عمل أكثر من المعتاد ، والسبب فى ذلك ليس تكاسله ، وانما تدهور التربة ذاتها ، وعدم قدرته على الاستعانة بما يقوى التربة ، مثال آخر ، هو المرأة السودانية فى الريف ، اذ بمجهود عمل ساعة واحدة كانت تستطيع أن تجمع الخشب وفروع

---

(١) نفس المرجع ، ص ص ٧ - ٨ .

الاشجار اللازمة لاستخدامها كوقود لها ولعائلتها . وكن بعد تقلص مساحات الغابات فى المناطق التى تقيم بها ـ أصبحت تعمل قرابة نصف يوم للحصول على مثل هذا النوع من الوقود وبنفس القدر ، (ان لم يكن أقل قليلا) (١) . ومثل هذه الاوضاع قد تسود فى الحضر . وبالرغم من أخلاص وتفانى عدد من العاملين فى وظائفهم ، يقال لهم" انتاجيتكم منخفضة ، أزيدوها ، أحسنوا العطاء واكثروا منه " . وحتى لو انخفض انتاجهم فلا يرجع الى تكاسلهم أو اهمالهم ، وانما الى المناخ الجديد الذى أصبح يسود عملهم الان .

وفى الامكان توضيح الانتاجية بيانيا . ولشرح ذلك ، نفترض ان الانتاج نحصل عليه من عنصر واحد وليكن س . ونعد رسما ذا بعدين : سينى وصادى ، حيث وحدات عنصر الانتاج على البعد السينى ، بينما وحدات الانتاج تكون على المحور الصاوى ، كما هو مبين بالشكل الاتى :

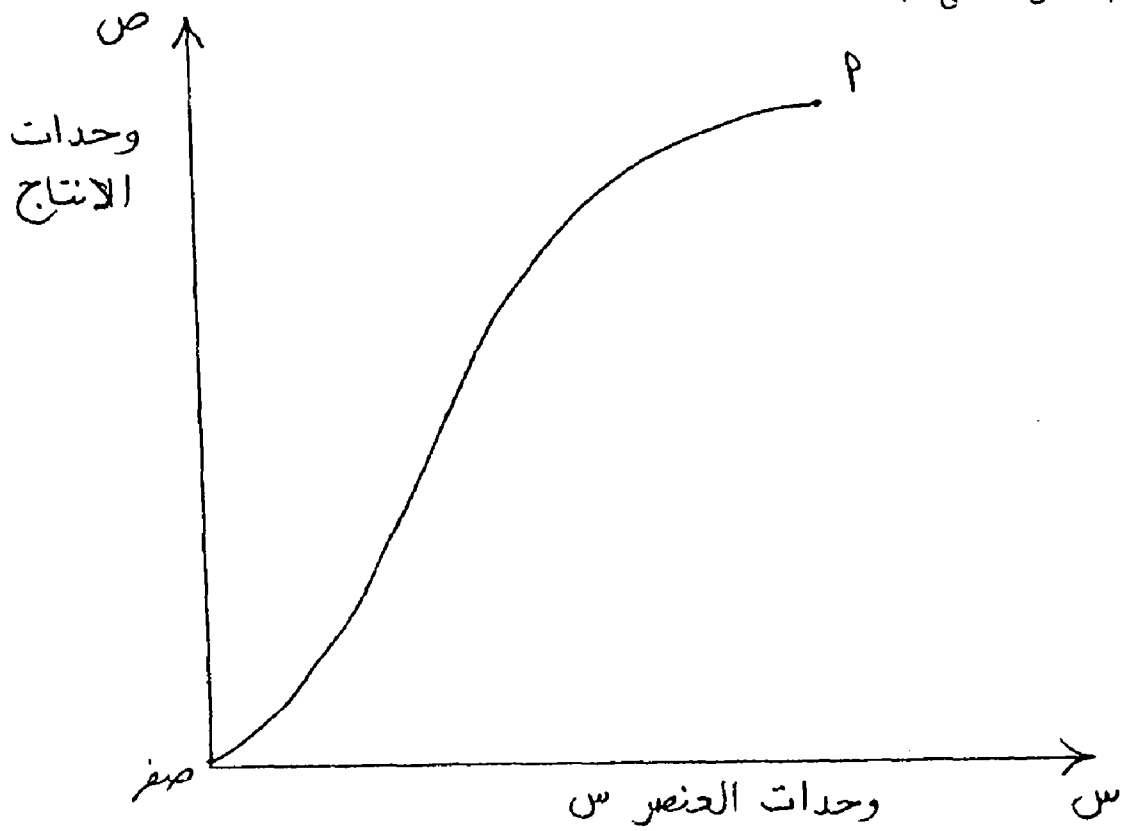

---

(١) نفس المرجع ، ص ص ٨ - ٩ .

ونجد أن العلاقة بين الانتاج والعنصر س تتمثل فى منحنى الانتاج الذى يبدأ من النقطة صفر . وتتمثل الانتاجية الحدية الطبيعية Physical Marginal Productivity عند أى نقطة على المنحنى وذلك بميل ذلك المنحنى عند تلك النقطة .

وهناك ثلاث صور للانتاجية يمكن التفرقة بينها وهى :

١- الانتاجية الفعلية Actual Productivity

٢- الانتاجية المحتملة Potenial Productivity

٣- الانتاجية المثلى Optimal Productivity

وهذا الاختلاف فى صور الانتاجية راجع الى أن بَسَط نسبة الانتاجية (ألا وهو المنتج) قد يأخذ أحد الصور الاتية : منتج فعلى ، أو منتج محتمل ، أو منتج أمثل ولاشك ان الانتاجية المحتملة تكون أكبر من الفعلية (طالما أن المنتج المحتمل أكبر من المنتج الفعلى) ، كما وأن الانتاجية المثلى أكبر من كل من الانتاجية المحتملة والفعلية (طالما أن المنتج الامثل اكبر من نظيريه المحتمل والفعلى) . وفى الامكان توضيح ذلك باعطاء أمثلة رقمية .

ب- الكفاءة :

قد يشير البعض الى أهمية انتاجية عنصر العمل فقط ، أو أهمية انتاجية عنصر الارض فقط . . . وما الى ذلك . وهنا تكون الانتاجية بمثابة مقياس جزئى لقياس انتاجية أى عنصر على حدة . غير أنه تنبغى الاشارة الى ضرورة الاهتمام بانتاجية جميع عناصر الانتاج ، بل نتجرأ ونقول ضرورة الاهتمام بجميع المدخلات فى العملية الانتاجية ، سواء كانت هذه المدخلات هى عناصر الانتاج أم أية مدخلات أخرى : اقتصادية كانت أم غير اقتصادية .

وبالنسبة للكفاءة ، فهى مقياس كلى أو " قل " أنها مقياس أشمل . فهى تعنى النسبة بين المنتج من ناحية ، والمستخدم من جميع المدخلات من ناحية اخرى (وليس من مدخل واحد أو عنصر واحد فقط) . ولكن المشكلة التى تثور بصدد الكفاءة ، تتلخص فى أنه من الصعب قياس كل هذه المدخلات (مقام النسبة) . ولذلك وان كانت الكفاءة مقياس كلى أو مقياس شامل ، الا أن البعض يعتبرها بمثابة مقياس تقريبى .

وكما أوردنا بالنسبة للانتاجية ، فان للكفاءة ثلاثة صور هى :

١- الكفاءة الفعلية

٢- الكفاءة المحتملة

٣- الكفاءة المثلى .

وفى الاوضاع العادية ، يمكن القول بأن الكفاءة المثلى أعلى من المحتملة ، وهذه بدورها أكبر من الكفاءة الفعلية .

وبالرغم من التفرقة الواضحة بين الانتاجية (وهى مقياس جزئى ويعنى نسبة المنتج الى عنصر واحد) ، والكفاءة (وهى مقياس كلى ويعنى النسبة بين المنتج وجميع المدخلات) ، الا أن هناك من لا يفرق بين الاثنين(١) . ولكننا نشير هنا من البداية الى ضرورة التفرقة بينهما .

وبمقارنة أوضاع الانتاجية والكفاءة فى كل من البلاد المتقدمة والاقل تقدما ، نجد أنهما أعلى فى البلاد الاولى ، كما أنهما تتحسنان بمعدلات ملحوظة من حقبة لاخرى وهذا يرجع الى عدة أسباب ، من بينها اهتمام البلاد الاولى المتقدمة بالتكنولوجيا فى عدة قطاعات سواء كانت انتاجية أو خدمية ... وذلك كما سيأتى الحديث فيما بعد عن

(١) راجع د. شنودة سمعان (أضواء على الرفاهية .. مرجع سلف ذكره) ، صفحات متفرقة .

عن الانتاجية والكفاءة .

وما من شك ، فى أنه ـ مع بقاء العوامل الاخرى على حالها ـ لاشك فى أن تحسن كل من الانتاجية والكفاءة سيؤدى الى زيادة الانتاج ، وهذا بدوره سيؤدى الى اتاحة سلع (بضائع وخدمات) أكثر للاستهلاك المحلى ، وتصريف جزء منها للخارج (صادرات) . وكل هذا سيعمل على تحسين الرفاهية ومستوى المعيشة للسكان .

٢- الانتاج وعناصر الانتاج ودالة الانتاج :

قد يكون من المفضل الحديث هنا بداءة عن عناصر الانتاج . فلقد تواضع الاقتصاديون فيما مضى على اعتبار ان عناصر الانتاج ثلاثة هى العمل ، والطبيعة (الارض) ، ورأس المال ، ثم أضافوا اليها ـ فيما بعد ـ عنصرا رابعا وهو التنظيم . وان كان من السهل نسبيا قياس العناصر الثلاث الاولى ، وهى العمل ، ممثلا فى عدد العمال (مع افتراض تساوى كل منهم فى المهارة) والارض ، متمثلة فى عدد الفدادين أو الهكتارات (على سبيل المثال) ... الخ ، الا أن الامر قد لا يبدو بتلك السهولةبالنسبة للعنصر الرابع ، ألا وهو التنظيم .

وتجدر الاشارة هنا الى مناداة البعض باضافة عنصر خامس الى عناصر الانتاج الاربع السابقة المألوفة ، ألا وهو عنصر التكنولوجيا ، غير عابئين بمسألة القياس (التى تثار بصدد عنصر التنظيم) . الا أن حجة هؤلاء تتلخص فى أن التكنولوجيا أضحت لها أهمية كبيرة فى عالمنا المعاصر ، وبالتالى لا يمكن تجاهلها . والى اليوم ، لم يتم حسم الامر على الصعيد العالمى فى الجدل الدائر بصدد مثل هذا الرأى .

ولكن أيا كان عدد عناصر الانتاج ، فلابد وأن نعلم أنه فى أية عملية انتاجية ينبغى تكوين توليفة Combination من كل أو بعض عناصر الانتاج الموضحة

سابقا وكذا بعض مستخدمات أخرى لا تدخل فى عداد عناصر الانتاج ... ومن هـــــذه التوليفة يتم انتاج سلعة (أو سلع) ما ، سواء كانت بضاعة (أو طيبة) من البضائـــع Goods أو خدمة من الخدمات Services .

أما عن الانتاج ، فيمكننا القول بأنه تلك العملية التى يتم فيها " خلق " أو"ايجاد" السلعة ، واظهارها الى الوجود ، ولها منفعة زمنية ومكانية . وبعبارة أخرى ، تـــؤدى عملية الانتاج الى خلق منفعة ، سواء كان الناتج احدى (السلع) أو احدى الخدمات .

وينبغى أن نلمح هنا الى ما أوردناه فى بعض اعمالنا من أننا أشرنا بصدد اقتـراح تعريف للتنمية(١) وايضا بصدد وضع اطار عام لتحليل التقدم (من تنمية ونمو) الاقتصادى الىأهمية أخذ تطور الانتاج القومى فى الحسبان وكذا نصيب الفرد منه . وقد ذكرنـــا ان هذا الامر على درجة كبيرة من الاهمية ، اذا أردنا ان نتفهم الاساس الذى تقوم عليـــه " نظريات التقدم الاقتصادى "(٢) . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لابد من الالمام بدالة الانتاج Production Function على أساس أنها تعتبر بمثابة حجـــــر الزاوية(٣) لاى اطار يختص بتحليل التقدم الاقتصادى(٤) .

---

(١) راجع د . شنودة سمعان : (فصول فى التخلف والتنمية .. الخ) ، ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحات .

(٣) نفس المرجع ، ونفس الصفحات . وهذا ما اتفق عليه ايضا بعض الكتاب ومنهم هانس وقايوم ، وهافلمو ، وارما أدلمان وغيرهم B. Hansen, Qayum, Haavelmo & Irma Adelman.

(٤) نفس المرجع (شنوده : فصول فى التخلف والتنمية .. الخ) ، ص ٢٧ .

ودالـــة الانتاج توضح العلاقة بين كل من المنتج والمستخدم . ويمكن التعبير عنهـــا رياضيا (١) كما هو واضح فيما يلى :

أ = د (س ، ص ، . . .)

حيث ترمز أ الى الانتاج

و س الى المستخدم من س

و ص الى المستخدم من ص

و د الى " دالة "

وكنتيجة منطقية لهذه العلاقة التى أوردتها دالة الانتاج بين الانتاج (والـــذى رمزنا اليه بالرمز أ) من ناحية ، والمستخدم (والذى رمزنا له بالرمز س ، ص) مـــن ناحية أخرى ، فقد نجابه بأحد المواقف الثلاثة الاتية :

١- قد نحصل على اقصى انتاج من مقادير بعينها من المدخلات.

٢- أو قد نحصل على نفس القدر من الانتاج ولكن باستخدام قدر أقل من المدخلات.

٣- أو قد نحصل على أقصى انتاج من أقل مقادير أقل من المدخلات .

ومثل هذه المواقف الثلاثة ايجابية ، ولكن فضلها جميعا هو الموقف الثالث . واذا استعنا باصطلاح الانتاجية ، فنقول ان الانتاجية في الموقف الثالث تفضل نظيرتيها فـــى الموقفين الثانى والثالث ، رغم ان الانتاجية ايجابية فى المواقف الثلاثة .

الا أننا من ناحية أخرى ـ قد نجابه ، لسوء الحظ ، بثلاثة مواقف اخرى تتلخص فى الاتى :

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٧ .

٤- الحصول على انتاج أقل من مقادير بعينها من المدخلات ،

٥- او الحصول على نفس القدرمن الانتاج باستخدام قدر أكبر من المدخلات ،

٦- أو الحصول على قدر أقل من الانتاج باستخدام مقادير أكبر من المدخلات .

وواضح أن المواقف الثلاثة الاخيرة (ارقام ٤ ، ٥ ، ٦) سيئة بالفعل ، وأسوأها بالطبع هو موقف رقم ٦ . واذا استعنا باصطلاح الانتاجية ، فيمكننا القول بأن الانتاجية - فى الموقف رقم ٦ - أسواها جميعا .

والسؤال الذى يرد الى الذهن هنا هو : كيف نناقش مسألتى الانتاج ودالة الانتاج ؟

ذكرنا من قبل أن دالة الانتاج تربط بين الانتاج القومى ومقدار عناصر الانتاج المستخدمة . وهذه هى دالة الانتاج العادية . ألا أنه فى بعض الاحيان ، قد يشير البعض الى أدخال عوامل اخرى - بخلاف عناصر الانتاج المألوفة - الى المدخلات . من ذلك مثلا التكنولوجيا والعوامل المرفقية (أو ما يطلق عليها العوامل غير الاقتصادية) . وعلى ذلك سنجد أن دالة الانتاج الجديدة هنا توضح ذلك القدر الاقصى من الانتاج الناشئ عن استخدام توليفة معينة من المدخلات المادية وغير المادية (أى تشتمل على المدخلات غير الاقتصادية التىأشرنا اليها حالا بعاليه) .

وفى الامكان شرح دالة الانتاج هنا كالاتى :

أ = د (ع ، ض ، ر ، ت ، م)

حيث ترمز أ الى الانتاج

و د الى دالة

و ع الى عنصر العمل

و ض الى عنصر الارض

و ر الى عنصر راس المال

و ت الى عنصر التكنولوجيا

و م الى العوامل المرفقية (اى غير الاقتصادية) .

ومن هنا تصبح عملية الانتاج ليست ظاهرة اقتصادية فقط ، وانما ايضا اجتماعية ، وادارية ، ونفسية (... الخ) . وبعبارة أخرى ، فان دالة الانتاج تتضمن نوعين من المتغيرات : اقتصادية ، وغير اقتصادية .

ولكن ما هى العوامل غير الاقتصادية ؟ تتلخص هذه العوامل الاجتماعية والادارية والنفسية المشار اليها بعاليه حالا ، فضلا عن العوامل الثقافية والسياسية والعقائدية ... الخ ، وأيضا العوامل المعيشية (التى ستكون محور دراستنا فى الفصل الثانى من الدراسة الحالية ، والالمام بمدى تأثيرها على الانتاجية فى الفصل الثالث) .

ولاشك أن مثل هذه العوامل (غير الاقتصادية) ستدفعنا دفعا الى محاولة الربط بين الافكار الاقتصادية من ناحية وأفكار أخرى تضمها علوم متفرقة ، من ناحية أخرى ، مثل علم النفس ، والاجتماع ، والاجناس ، والتاريخ والسياسة والادارة ... ومما لاشك فيه أن حدوث أية متغيرات مرفقية (غير اقتصادية) سيكون لها نقلها فيما يتعلق باحداث تغير فى الانتاج الكلى ، بالرغم من ثبات متغيرات اخرى تدخل فى عداد عناصر الانتاج (وعلى رأسها العمل والارض ورأس المال) .

وتجدر الاشارة الى أننا سبق وأن اشرنا - فى احدى اعمالنا - الى أن " أخذ العوامل المرفقية (اى غير الاقتصادية) فى الحسبان له مغزاه ، فهو يؤكد أن اتجاهات الانتاج ومساره - خاصة تلك طويلة الاجل - لا تقررها عوامل اقتصادية فحسب ،

بل وعوامل غير اقتصادية ايضا " . ولاشك أن التسليم بمثل هذه الافكار سيعطى فرصة لجميع الاطراف (اقتصادية واجتماعية وسياسية ... وما الى ذلك) لالتقاط الانفاس للتسليم بأهمية مختلف العوامل وأخذها فى الاعتبار عند مناقشة كافة العوامل التى تؤثر على الانتاج . ومن هنا - وعلى سبيل المثال لا الحصر - سوف " يتمكن الباحث الاقتصادى من مناقشة أثر تغيرات هذه العوامل المرفقية (غير الاقتصادية) من ناحية ، كما سيستطيع قرينه - سواء كان باحثا اجتماعيا أو نفسيا أو ... الخ ، أن يدلو بدلوه فى هذا المضمار ، بعد أن يتفهم الجميع الظاهرة الاقتصادية تفهما متكاملا" ... وهذا يجعلنا نتفهم مغزى ما يعرج اليه بعض الكتاب من الاقتصاديين من افرادهم لقائمة تضم " عوامل التنمية " أو " عوامل النمو " ، سواء كانت تلك القائمة قصيرة أو طويلة ، متضمنة التغيرات الاقتصادية وغير الاقتصادية .

وفى النهاية نود الاشارة الى ما سبق أن ذكرناه من قبل من أنه " يعتقد بعض الاقتصاديين بأن للعوامل غير الاقتصادية ... آثارا كبيرة على معدل نمو الانتاج ، وبالتالى معدل نمو الاقتصاد القومى فى مجموعه ، بينما يعتقد البعض الاخر عدم وجود أية آثار لتلك العوامل على التنمية ، فيتغاضون عن مثل هذه العوامل غير الاقتصادية ، بل يسقطونها من حسبانهم .. عند اجراء أى تحليل فى هذا المجال " .

غير أن كاتب السطور الحالية يشير الى أهمية أخذ كل من العوامل الاقتصادية وغير الاقتصادية (بما فى ذلك العوامل المعيشية) فى الحسبان ، حتى تكتمل الصورة ويصح التحليل وينجح العلاج ، مع اشتراط عدم المغالاة أو التحيز لمجموعة ما تحيزا كبيرا ضد (أو على حساب) مجموعة (أو مجموعات) أخرى ، وحتى لا تبتلى المحصلة النهائية بالفشل .

وحتى لا تبدو الدراسة الحالية مبتورة أو ناقصه ، ولتظهر فى صورة متكاملة يتفهمها القارئ فى اطارها الكامل ، ينبغى القاء بعض الاضواءفى ايجاز عن وضع الانتاجية عامة فى بلاد العالم الثالث فى عدد من قطاعات الاقتصاد القومى ، وبخاصة الصناعة والزراعة وبعض القطاعات الخدمية . ولاشك أن الانتاجية فى هذه البلاد منخفضة بمقارنة ما هى عليه فى البلاد المتقدمة . ويمكن ايعاز ذلك الى مجموعتين من الاسباب : **الاولى** عامة ، **والثانية** متخصصة (١) .

وبالنسبة للاسباب العامة لانخفاض الانتاجية ، ففى الامكان ايجازها فى ندرة عناصر الانتاج بدرجة أو بأخرى ، من عمالة على درجة معينة من المهارة ، وأرض صالحة للاستغلال المثمر ، ورأسمال مربح بصوره المختلفة وتنظيم . هذا فضلا عن تدنى التكنولوجيات ، وبطئ تطورها فى غالبية القطاعات ، ومعوقات اجتماعية وثقافية . . . وما الى ذلك . ناهيك عن انخفاض مستويات المعيشة للسكان بوجه عام .

أما عن الاسباب المتخصصة أو القطاعية ، فان انخفاض الانتاجية فى قطاع الصناعة - والمفروض أنه القطاع الذى يأمل فيه الكثيرون لانه يقود عملية التنمية فى البلاد الاقل تطورا - يرجع الى عدة عوامل من بينها الاتى :

١- انخفاض حجم معدلات تكوين راس المال ، مما يؤثر على حجم ومعدلات الاستثمار كما وأن الذى يتم تخصيصه من رؤوس الاموال المتاحة قد يوجه الى استثمارات غير منتجة . وهذا قد يدفع بعض هذه البلاد الى الاقتراض من الخارج ، فتنزلق

---

(١) راجع الوثيقة التى وزعها كاتب هذه السطور على الزملاء اعضاء مركز التخطيط الاجتماعى والثقافى فى ١٠ أغسطس ١٩٨٨ ، ومصدرها شنوده سمعان : خصائص البلاد الاقل تطورا (كتاب اصدره معهد التخطيط القومى ، سبق ذكره) ص ص ١٤١ وما بعدها .

وتقع فى مصيدة المديونية ومشاكلها التى ظهرت خلال السبعينات من القرن الحالى وتزايدت حدتها بشدة فى الثمانينات .

وبالنسبة لرأس المال المادى المتمثل فى العدد والالات المستخدمة بالفعل فنجد أن جزءا كبيرا منها متهالك ، ولا يستعان بالتكنولوجيات المتطورة. ومثل هذا القول صحيح سواء بالنسبة لانتاج السلع التقليدية (كالغزل والنسيج) ، أو حتى بالنسبة لصناعات الاغذية المحفوظة .

٢- مشاكل متعلقة بالايدى العاملة ، يعانى قطاع الصناعة فى هذا المجال من عدم وجود الخبرات المتخصصة ، وكذا نقص التدريب والمهارات ، وانخفاض الاجور . . . مما يلجئ نسبة ملحوظة من العاملين الى التوظف فى اعمال اخرى ، لتعويض تآكل دخولهم الحقيقية ، فتقل انتاجيتهم فى أعمالهم الاصلية .

٣- مشاكل متعلقة بغياب عنصر التنظيم الكفء ، والادارة الرشيدة .

٤- مشاكل متعلقة بتأخر مستويات التكنولوجيا ، مما يؤدى الى فقدان مقادير كبيرة من الموارد لانتاج وحدة واحدة من منتج معين . كما قد تكون نوعية المنتج رديئة .

٥- غياب بعض المفاهيم الهامة ، وعلى رأسها تقسيم العمل وهذا راجع الى عدم التخصص فى القيام بأداء العملية الانتاجية ، وعدم وجود المصانع الكبرى التى تساعد على زيادة انتاجية العامل .

٦- ضيق حجم الاسواق المحلية (نظرا لانخفاض المقدرة الشرائية) ، وعدم توافر الظروف الملائمة التى تسهم فى تنمية الصادرات .

٧- المعاناة من تواجد منافسة أجنبية تؤثر على تصريف المنتجات المحلية، وبالتالى عدم وجود الظروف التى تهيئ سبل تحسين الانتاجية .

أما عن أسباب انخفاض الانتاجية فى قطاع الزراعة فمرجعه الاتى :

١- قلة مساحة الاراضى الزراعية ، وانخفاض نصيب عنصر العمل منها .هذا فضلا عن ان ندرة عنصر الارض الزراعية قد يؤدى الى زراعة الاراضى المستغلة بالفعل زراعة كثيفة ومثل هذا التصرف ينهك الارض ، ويقلل من انتاجيتها .

٢- تفتت الملكية ، وانتشار الملكيات الزراعية الصغيرة ، وما يسببه ذلك من مشاكل بالنسبة لاستغلال الاراضى .

٣- صغر حجم راس المال العينى الموجه للقطاع الزراعى فى صوره المختلفة (من آلات زراعية و/أو أسمدة و/أو مبيدات و/أو تقاوى منتقاة ... وما الى ذلك) .

٤- التمسك بالقديم ، وعدم الاستعانة بالتكنولوجيات الحديثة(١) ، وعلى رأسها الهندسة الوراثية .

٥- الزيادة السكانية السريعة التى تعانى منها بعض البلاد الاقل تقدما .

٦- تفشى الامية بين العاملين بقطاع الزراعة ، وتفشى العادات والتقاليد ، مما يؤدى الى صعوبة اقناعهم بكل جديد فى هذا المجال .

٧- انتشار العديد من الامراض التى تنهك الفلاحين وترهقهم ، سواء كانت أمراض متوطنة ، أو أمراض نقص وسوء التغذية ... أو ما الى ذلك .

٨- تقلبات الطقس فى بعض المناطق ، وعدم ملاءمته لحياة الانسان ، وظهور موجات الجفاف من حين لاخر فى مساحات كبيرة .

---

(١) لتفصيل أكثر بصدد تطور واستخدام التكنولوجيا الزراعية أنظر د. شنوده سمعان : " التطور التكنولوجى فى قطاع الزراعة "، وهذه ورقة بحثية ضمن دراسة أكبرمعنونه : دور المؤسسات الوطنية فى تنمية الاساليب الفنية للانتاج فى مصر ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٨٥ ، الفصل الثالث ، ص ص ٢٥٦ - ٣٣١.

هذا كان عن انخفاض الانتاجية فى قطاعى الصناعة والزراعة . أما عن انخفاض الانتاجية فى القطاعات الخدمية ، فهذا يمكن ايعازه الى بعض العوامل المشابهه لتلك المذكورة بعاليه فى قطاعى الصناعة والزراعة(١) ، خاصة فيما يتعلق بمشاكل العمالة الماهرة ، وندرة عنصرى رأس المال والتنظيم . . . الى آخر تلك المشاكل .

وبعد أن القينا الاضواء على مسألة الانتاجية نلمح هنا الى بعض القضايا اللصيقة بها ويتلخص بعضها فى الاتى :

١- الانتاجية ومدى وفرة أو ندرة مفردات توليفة عناصر الانتاج (من عمل ، وأرض ورأسمال وتنظيم) .

٢- الانتاجية ودرجة تشغيل هذه العناصر أو عدم تشغيلها - فمثلا بالنسبة لعنصر العمالة هل هناك توظف كامل أو شبه كامل ، أم هناك بطالة ظاهرة ؟ وما هى نسبتها ؟ ، وفى الوقت الذى يعانى البعض من البطالة ، هل هناك من يستحوذ على أكثر من وظيفة ؟ وهل هناك بطالة مستترة ؟ وفى أية أنشطة ؟ .

٣- الانتاجية والجهاز الادارى على مختلف مستوياته ، وكذا الجهاز الفنى . هل هناك تكدس فى بعض المصالح ؟ (عمالة زائدة عن الحاجة) .

٤- الانتاجية ونوعية التكنولوجيات التى تتم الاستعانة بها ؟ وهل هى تكنولوجيات مناسبة حقا ؟

٥- الانتاجية ومدى مواءمة الهيكل الاقتصادى كه ؟ هل لابد من اجراء تغييرات ضرورية على هذا الهيكل لصالح الانتاج والانتاجية والدخل . . . وما الى ذلك ؟ .

٦- الانتاجية والهجرة الدائمة أو المؤقته أو الاعارات .

---

(١) يجد القارئ لمحة عن جوانب الانتاجية فى بعض قطاعات الاقتصاد القومى فى أول خطة خمسية فى مصر - د . شنوده سمعان - قضايا التنمية ، الفصل الاخير، صفحات متفرقة ، وأيضا د . شنوده سمعان (أضواء على الرفاهية الاقتصادية ، مرجع سابق) ضمن بعض الصعوبات التى واجهت تنفيذ تلك الخطة .

٧- الانتاجية والمناخ العام ، ومدى الانضباط الاجتماعى الادارى وحتى الاقتصـــادى ، وسلوك الافراد .

٨- الانتاجية وتباين دخول الافراد (مرتبات ، أجور ، حوافز) ، فمثلا تجد خريجين بنفس الدفعة (سواء دراسة عليا ، أو جامعة ، او ثانوية) ، احدهما يحصل على دخل متواضع ، والثانى يحقق دخلا خرافيا ، سواء من عمل مشروع (ولكن فـــى شركات استثمارية) أو فى أعمال غير مشروعه ، تجارة عملة ، تهريب سلـــع ، مخدرات . . . الخ) .

٩- الانتاجية وسعر الصرف .

١٠- مدى الاستفادة القصوى من المعونات الاجنبية .

ثانيا : الحاجات المعيشية:

تهتم هذه النقطة بالقاء الاضواء على الحاجات المعيشية وكذا الاشارة الى بعض القضايا التى تحيط بتلك الحاجات .

كثيرا ما يشير الباحث الحالى فى كتاباته ومحاضراته الى أن التنمية وسيلتها التخطيط وغايتها تحسين مستوى المعيشة أو الرفاهة المجتمعية . وبالطبع لا يرتضى المرء اناءا خاويا ، بدون مضمون أو محتوى ، كما لا يتصور وجود محتوى بغير اناء أو اطار له .

والسؤال الذى يرد الى الذهن هنا هو : ما المقصود بمستوى المعيشة ؟ وما هى مكوناته (والتى هى - بالتعريف - الحاجات المعيشية) ؟ .

نفرق فى البداية بين نوعين من مستوى المعيشة(١) على النحو التالى :

أ) مستوى المعيشة الفعلى : ويمكن تعريفه بأنه ذلك التيار المتدفق من الاشباع، الذى يتمتع به الانسان ، من تيار آخر من السلع (بضائع وخدمات) ، يتحصل عليها الفرد ، فى ظل كافة الظروف السائدة (اقتصادية واجتماعية ونفسية وتكنولوجية وادارية ...) .

ب) مستوى المعيشة المعيارى : وهو ذلك التيار من الاشباع الذى ينبغى أن يتمتع به الانسان ، من تيار آخر من السلع (بضائع وخدمات) يتحصل عليها الفرد ، فى ظل كل الظروف السائدة (اقتصادية واجتماعية ... الخ) ليعيش معيشة محتملة ، تمكنه من العمل بانتاجية مثلى .

---

(١) لتفاصيل أكثر انظر : د . شنوده سمعان : مدخل الى مستوى المعيشة، من مطبوعات معهد التخطيط القومى ، ص ٦ . وأيضا :
Shenouda, S.; SALUS (Welfare): a new treatment, INP, July, 1978, Passim.

وهناك تساؤل يفرض نفسه فى هذا المقام يتلخص فى الاتى : ما هى الحاجات المعيشية ؟ وفى البداية ، نود الاشارة الى أن مستوى المعيشة هو عبارة عن مفهوم كلى من الصعب قياسه هكذا بطريقة خبط عشواء ، وانما يتطلب الامر " تكسيره " أو تقسيمه الى مكوناته . ومثل هذه المكونات هى التى يمكننا ان نطلق عليها " الحاجات المعيشية " . وهذه تتلخص فى الاتى (١) :

١- التغذية
٢- الكساء
٣- الإسكان
٤- الصحة
٥- التعليم
٦- ظروف العمل
٧ - الوقت الخالى
٨ - النقل والانتقال والاتصال
٩ - الضمان الاجتماعى
١٠- أمن الانسان وحماية ملكيته
١١- الترويح
١٢- البيئة

وينبغى أن تتوافر فى مثل هذه الحاجات المعيشية للانسان عدة شروط منها أن تكون مشروعة ، ورشيدة ، وعلى أن تأخذ فى الحسبان مجموعة من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية . . . وما الى ذلك .

ونورد هنا بعض الملاحظات (٢) بصدد هذه الحاجات تتلخص فى الاتى :

أ - أوردنا الحاجات المعيشية المذكورة بعاليه لتكون بمثابة محاولة منا لغرض التبسيط وكمثال . ويمكن لاى باحث أن يتحكم فى عدد هذه الحاجات كلما تراءى له ذلك .

ب - لا تضم هذه الحاجات جميع أوجه حياة الانسان ، خاصة تلك الباطنه وغير المحسوسة (كالشعور والحس ، والتفاؤل والتشاؤم ، والمزاج ، والعزة والكرامة، والحياة . .) .

---

(١) راجع : د . شنوده سمعان : (مدخل الى مستوى المعيشة) ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١١ .

جـ - فى بداية عملية التنمية ، حيث يحاول أولو الامر اشعار المواطنين بثمار جهودهم ، يتم التركيز على اشباع حاجات بعينها على رأسها التغذية والصحة . . . مؤجلين حاجات أخرى (كالترويح مثلا) لمرحلة لاحقة .

د - فيما يتعلق باشباع الحاجات المعيشية للسكان ، نجد أن البلاد المتقدمة قدانتهت من مرحلة تحقيق اشباع حاجات مواطنيها من التغذية والكساء والتعليم والاسكان والمواصلات . . . وما الى ذلك . وأخذت تظهر فيها حركات للاهتمام بحاجات معيشية أخرى ، منها أمن وأمان الانسان - بعد أن اشتدت موجات العنف النابعة من الشباب هناك - وبالبيئة (من ذلك حركة " الخضر " فى المانيا الغربية ، والمؤتمرات المهتمة بالبيئة وقضاياها ، حتى أنه تم تخصيص يوم للاحتفال بالبيئة سنويا ويوافق ٥ يونيو من كل عام) .

هـ - اذا تفحصنا هذه الحاجات ، فنجد أنه بينما بعضها يفيد فئات عمرية بعينها (من ذلك مثلا التعليم لافادة الانسان من عمر ٤ سنوات الى ٢٠ أو٢٢ سنة) ، أو أحوال العمال ، وتفيد العاملين من عمر ١٥ أو ١٦ سنة الى ٦٠ سنة ، فان هناك حاجات تكون لازمة لجميع المواطنين (منها - على سبيل المثال - التغذية والكساء ، والاسكان ، والصحة . . .) .

و - ان كنا قد قمنا بترتيب الحاجات المذكورة بعاليه وفق ترتيب معين ، فان هذا لا يعنى ترتيبها وفق درجة أهميتها وأولويتها ، أو سهولة قياسها . . وان كان واضحا أن مجموعة الحاجات الاولى ، المدرجة فى بداية القائمة (كالتغذية والصحة والاسكان) ذات أهمية كبيرة لحياة الانسان ، خاصة فى البلاد الاقل تقدما .

ملاحظات بصدد الحاجات المعيشية ومؤشراتها :

هناك بعض المتغيرات التى يمكن الاتفاق على مؤشراتها ، كالعمل مثلا . فقد يقال أن أيام العمل الاسبوعية ٥ أيام ، وعدد ساعات العمل اليومى ٨ ساعات ، وبذلك

يكون عدد ساعات العمل اسبوعيا ٤٠ ساعة . وعلى ذلك ، فكل فردسيعمل ٤٠ ساعة . وهذا الامر يصبح واضحا للجميع . أما بالنسبة للحاجات المعيشية ، فقد يكون من الصعب ايجاد مؤشرات لبعضها بطريقة سهلة . من ذلك مثلا التغذية . فليس فى مقدرة الافراد - خاصة فى البلاد الاقل تقدما - الالمام بمؤشرات التغذية : من سعرات حرارية ، وبروتينات (من مصادر نباتية وحيوانية) ، وفيتامينات ، واملاح معدنية بأنواعها المختلفة) . وحتىاذا ألمّ بعض الافراد بمثل هذه المعلومات في مجال التغذية ، فقد لا يعرفون المقررات اللازمة للانسان - وفق عمره ونشاطه ونوع جنسه ... الخ . وقد يلم البعض الاخر بها ، ولكن ليس فى مقدوره أن يشبع حاجاته منها .وهناك مشكلة بصدد المقررات اللازمة ومقارنتها بما يتحصل عليه فى الحياة اليومية .

ولكل هذه الاسباب ، طلبنا بعمل أطلس يضم الحاجات المعيشية ومؤشراتها ، والمقررات التى ينبغى أن يتحصل عليها الانسان ، ثم محاولة مقارنة هذه المقررات، بما يتحصل عليه الانسان بالفعل ، خاصة وأن الحاجات المعيشية لها تأثيرها على الانتاجية .

وكنا نود ، عند اجراء دراسة ميزانية الاسرة بالعينة ، مقارنة الارقام - الواردة بتلك الدراسات - بالمقررات المعيارية ، للوصول الى نتائج محددة مفيدة . ومن هنا يكون لدراسات وأرقام ميزانية الاسرة نفعها وفائدتها ، غير أن هذا لم يحدث . ومن الامور الخطيرة فى هذا الصدد انزلاق البعض فى منعطف خطير عندما يستعينون بأرقام دراسات ميزانية الاسرة - رغم الانتقادات الموجهة ضدها - دون تروى واعتبارهم تلك الارقام وكأنها مقررات معيارية يحاولون تعميمها على جميع افراد المجتمع وبذلك يسقطون فى مصيدة قاسية تؤدى بهم الى نتائج مضلله .

قائمة الحاجات المختلفة :

من الضرورة بمكان تقدير قائمة بالحاجات المختلفة للانسان - من معيشية وغيرهـــا - والتى تستلزم بالضرورة اتاحة النقود الكافية للانفاق على مختلف السلع (من طيبـــــات وخدمات) لاشباع تلك الحاجات . وهذا يوضحه الجدول رقم (٢/١) ، وفيه نجـــد أن العمود الاول يضم مجموعات الحاجات المختلفة . أما قائمة بنود الانفاق فهى موضحة بالعمود رقم (٢) بنفس الجدول . ويبين العمود رقم (٣) النقود اللازمة للانفاق الشهرى على تلك البنود .

ومثل تلك القائمة بالحاجات والموضحه بالجدول رقم (٢/١) بالعمود الاول بالبندين أولا وثانيا - يلزم اعداد اطلس لكل بند منها ليوضحها ، وذلك وفق السن والجنس وما الى ذلك . وفى الامكان افتراض ثبات مفردات الاطلس - بالوحدات الطبيعية غير النقدية - لفترة ١٠ سنوات (عشرة سنوات) مثلا - أو حتى أكثر - باعتبار أنها وحدات معيارية تعبر عـن مكونات مستوى المعيشة المعيارى الذى لا يتغير بين يوم وليلة .

وفى الامكان توضيح ذلك فى رسم بيانى مبسط كما هو مبين بالشكل (٢/أ)التالى حيث نجد أن المحور السينى يمثل الزمن بالسنوات ، والمحور الصادى يمثل مستوىالمعيشة بوحدات حقيقية (غير نقدية) . واذا افترضنا التوصل الى مستوى المعيشة المعيـــارى (وهو حصيلة الحاجات المعيشية) والتعبير عنه (أو تمثيله أو تصوره) فى شكل خـــط مستقيم (يوازى المحور السينى) نطلق عليه خط المعيشة أو خط الرفاهة ، أوباللاتينية خط " سالوس " Salus Line ، فان مثل هذا الخط سيكون مستقيما وموازيـــا للمحور السينى طوال السنوات العشر . وهكذا اذا كانت حصيلة حاجات الفرد طـــوال العام تقع على هذا الخط ، فانه يكون متمتعا بمستوى معيشى مقبول . أما اذا كـــان اشباع الفرد تقع محصلته فى المنطقة التى تعلو خط سالوس ، فيكون مستوى معيشة هـــذا الفرد أفضل بالطبع . والعكس بالعكس ، فاذا كانت محصلة أشباع الفرد أدنى هذا الخـط

جدول رقم (٢/١)

الدخل النقدى اللازم للاسرة لمقابلة انفاقها النقدى على الحاجات المختلفة

مجموعات الحاجات المختلفة	بنود الانفـــاق	الانفاق الشهـــرى (ابريـل ١٩٨٩)
(١)	(٢)	(٣)
اولا : الحاجات المعيشية		
(١) تغذية	غذاء ومشـرب	
(٢) كســاء	ملابس وأحذية	
(٣) مــأوى	مسكن ومياه ووقود وأثاث وبواب	
(٤) صحــة	خدمات صحية ورعاية مختلفة	
(٥) تعليم وثقافة	كتب ومصاريف دراسية . . الخ	
(٦) ظروف العمل	مشروب وبقشيش بالعمل	
(٧) مواصلات	انتقال واتصال وتليفون	
(٨) ترويــح	عن الجسم والنفس	
(٩) بيئـــة	نقل قمامة ورش مبيدات	
جملة الانفاق على الحاجات المعيشيـــة (أولا)		
ثانيا : الحاجات الاخرى		
(١) روحية	زكاة وصدقة وحج	
(٢) عاطفية	خطبة وزواج وافراح	
(٣) نثريات	أخرى	
جملة الانفاق على الحاجات الاخرى (ثانيا)		
ثالثا : مدخرات (*) وليكن بمعدل ١٠٪) (ثالثا)		
الدخل النقدى = مجموع (اولا + ثانيا + ثالثا)		

المصدر: من اعداد الباحث الحالى ، وقد تم نشر الجدول برمته فى د . شنوده سمعـــان "الشباب وحاجاته الاساسية . . الخ "، ندوة بمعهد التخطيط القومى ، القاهرة، يونيـــو ١٩٨٨ ، ص١٢. كما نشرت بعض أجزاء هذا الجدول فى مؤتمر " التنمية فى مصر " عام ١٩٨٦ ، ضمن ورقه بحثية عرضها الباحث بأحدى جلسات المؤتمر .

(*) يمكن اعتبار المدخرات بمثابة نوع من الحاجات وذلك لاعتبارات نفسية تطمئن الاسرة مـن مقدرتها مستقبلا من عائلة الزمان لتواجه اى حدث أو مكروه (وفاة العائل ، كارثـــة ما . . الخ).

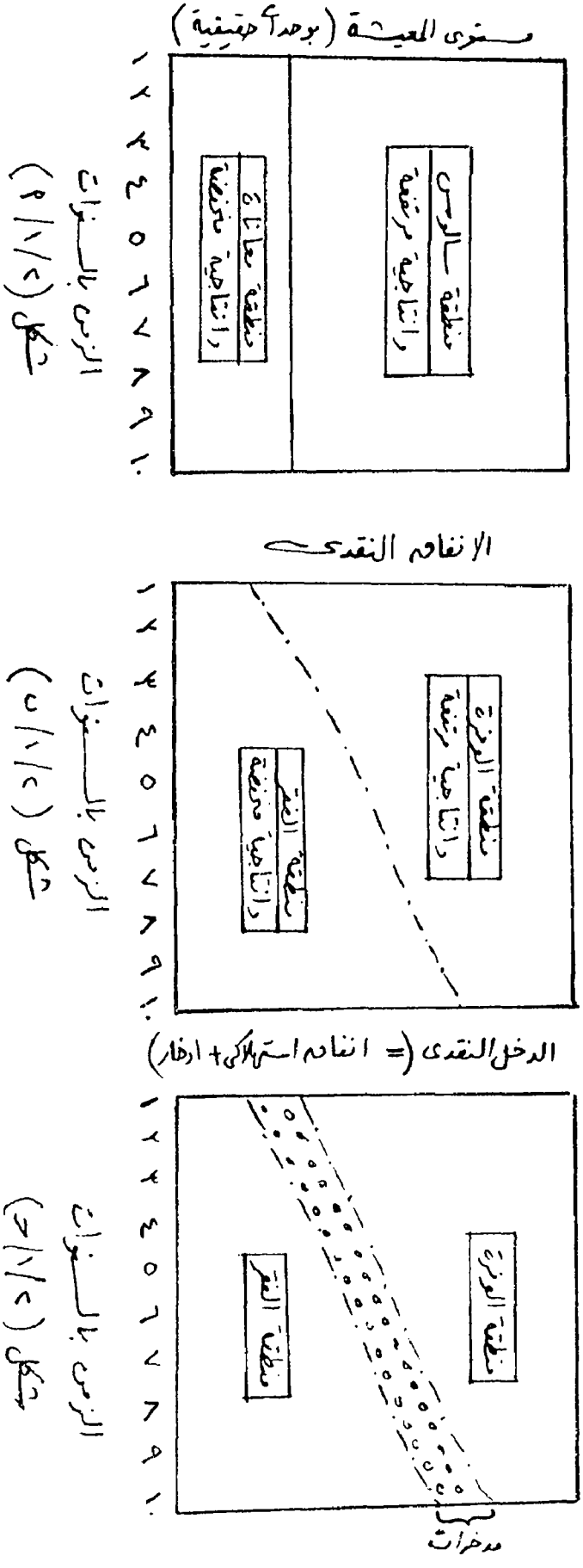
مستوى المعيشة (بوحدات حقيقية)
منطقة سالوس
وانتاجية مرتفعة
منطقة معاناة
وانتاجية منخفضة
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠
الزمن بالسنوات
شكل (٩/١/٢)
الانفاق النقدى
منطقة الوفرة
وانتاجية مرتفعة
منطقة الفقر
وانتاجية منخفضة
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠
الزمن بالسنوات
شكل (ب/١/٢)
الدخل النقدى (= انفاق استهلاكى + ادخار)
منطقة الوفرة
منطقة الفقر
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠
مدخرات
الزمن بالسنوات
شكل (ح/١/٢)

(في منطقة اللارفاهة أى المعاناة) ، فان مستوى معيشته يكون متدنيا .

ولا شك أن الانسان الذى يتمتع بمستوى معيشى أفضل ، وتكون محصلة ذلك وجوده فى منطقة الرفاهة (بأعلى خط سالوس) ، ستكون انتاجيته أعلى ، بمقارنة وضعه اذا ظل على خط سالوس ، أو هبط الى منطقة المعاناة .

وتجدر الاشارة الى أننا سبق وأن ذكرنا أن الانسان يتمتع بتيار من الاشباع ، نابع من تيار آخر من السلع (بضائع وخدمات) . وبعض هذه السلع يخضع للتقييم النقدى (مثل سلع الغذاء والملبس . . . وما الى ذلك) ، والبعض الاخر من الصعب تقييمه بطريقة هكذا (كالوقت الخالى مثلا) (١) .

وأيا كان الامر ، فان الحاجات المعيشية - التى يتم اشباعها - تعتبر بمثابة عائد . أما التكلفة فهى تتمثل فى الانفاق النقدى اللازم للحصول على تلك السلع (التى تشبع غالبية حاجات الانسان) . واستكمالا لتوضيح الامور (مع الاستعانة بالاشكال البيانية) ، فاننا فى الشكل رقم (٢/ب) جعلنا الانفاق النقدى ممثلا على محوره الصادى . ونجد (بذلك الشكل) منحنيا يمثل الانفاق النقدى - على السلع التى تشبع حاجات الانسان - يتجه من اليسار الى اليمين الى أعلى . وهذا يرجع الى ارتفاع الاسعار من عام الى آخر . هذا بالرغم من ثبات مستوى المعيشة والذى يعبر عنه بخط مستقيم موازى لمحور السينات (ذلك الخط الذى لا يرتفع ولا ينخفض) . وقد أطلقنا على ذلك المنحنى اسم منحنى الوفرة ، أو باللاتينية منحنى كوبيا Copia Line .

---

(١) راجع بعض أعمالنا التى ذكرناها من قبل ومنها فصول من كتاب : قضايا التنمية الجزء الاول ، وأيضا فصول فى التخلف والتنمية واقتصاديات المعيشة ، وكذا بعض جوانب مستوى المعيشة . . . وغيرها .

ويتبقى لدينا الشكل (٢/جـ) وهو يمثل الشكلين السابقين (٢/أ) و (٢/ب) . وهنا نجد أن الدخل (استهلاك + ادخار) موضح على المحور الصادى . ويضم هـذا الشكل منحنى الدخل . والاخير هو منحنى يضم الانفاق على الاستهلاك بالاضافة الى ما يتم ادخاره .

قضايا تؤثر في مستوى المعيشة :

وهكذا بعد أن انتهينا من القاء الاضواء على الحاجات المعيشية ، نود أن نشير هنا الى بعض القضايا المؤثره فى تلك الحاجات ومنها :

١) البطالة سواء الصريحة او المستترة ، لانه حتى فى حالة البطالة المستترة (والتى يمكن أن نطلق عليها العمالة الزائدة ، بل هى الوجه الاخر المساوى لها) سنجد أن المرتبات والاجور تكون منخفضة ولا تتيح لاصحابها التمتع بالحاجات المعيشية المعقولة . أما البطالة الصريحة ، فان الذين يعانون منها - خاصة فى ظل أنظمة لا تسمح بصرف " اعانات لمواجهة البطالة " فان الحاجات المعيشية تتأثر كثيرا ، اذ تصبح بالطبع متدنية جدا بالفعل .

٢) هجرة العمالة مؤقتا ، أى انتقال العمالة للعمل بالخارج لفترة محدودة . فعند عودة العاملين بالخارج أو من أنهوا اعارتهم ، وتكون جيوبهم قد ازدحمت بالاموال سيتمتعون باشباع حاجاتهم المعيشية الى حد الترف فى بعض الاحوال . غير أن ذلك يتم على حساب زملائهم لان الاولين ولديهم القوة الشرائية الاكبر سينافسون زملاءهم (الذين لم يغادروا الوطن) فى الحصول على السلع (بضائع وخدمات) . وعندما ترتفع الاسعار ، لا يشعر بها الاولون ولكنها قد تطحن الاخرين وتؤثر على اشباع حاجاتهم المعيشية (خذ مثلا : الطعام والاسكان والمواصلات . . . وما الى ذلك) .

٣) تتأثر الحاجات المعيشية بالموجات التضخمية وارتفاع الاسعار ، خاصة بالنسبة

لافراد الطبقة المتوسطة وبالاكثر لذوى الدخل المنخفض أو المحدود والفقراء، خاصة اذا لم يصاحب ارتفاع الاسعار زيادة فورية فى دخول أولئك الذين يضارون - بصورة اكثر قسوة - من تزايد الاسعار .

وأود أن أشير فى هذا المقام الى أننى لست ضد اتجاه رفع الاسعار ، ولكن مع توافر عدة شروط منها :

أ - ان يكون رفع الاسعار بطريقة متدرجة ، منطقية ، ومحسوبة .

ب - الا يكون رفع اسعار ضد الفقراء ومنخفضى الدخول ، ولا لصالح الاغنياء والاثرياء والطفيليين والجشعين .

جـ - أن تكون حصيلة ارتفاع الاسعار (أو الجزء الاكبر منها) فى متناول الدولة لتتمكن من أمرين :

١- تعويض من يضاروا من رفع الاسعار من منخفضى الدخل والفقراء (وهنا استعير اصطلاح التعويض Compensation من علم الرفاهة Welfare Economics للاستعانة به بطريقة عملية مفيدة) سواء غداة رفع الاسعار أو حتى فى وقت مصاحب له .

٢- تمويل الاستثمارات او سداد القروض أو التصرف فى تلك الحصيلة - بطريقة أو بأخرى - لصالح المجتمع بأسره .

واذا ما تحققت مثل هذه الشروط ، فسيتمكن الكافة من اشباع حاجاتهم المعيشية ، وتزداد انتاجيتهم (أو على الاقل لا تنخفض) ، مما يسهم فى زيادة الناتج القومى . . وهذا كله فى صالح المجتمع .

وبالاضافة الى كل ما تقدم ، أود الاشارة الى أن رفع الاسعار (بما فى ذلك اسعار المواد الغذائية) قد يكون بمثابة مطلب قومى ، بتوافر شرطين هما زيادة مرتبات

وأجور منخفضى الدخل والفقراء من ناحية ، واقامة نظام معين لتوزيع السلع وفق مقررات معينة مستندين في ذلك الى عدد افراد الاسرة . وحجتنا فى ذلك تتلخص فى أن افراد فئـــة معينة فى المجتمع يجدون أنفسهم فى فترة قصيرة ، وقد تراكمت لديهم الاموال بكثرة (سواء كان ذلك نتيجة انشطة طفيلية أو غير مشروعة أو بالعمل بالخارج لعدة سنوات وتحويل مـــا لديهم من عملات أجنبية الى العملة المحلية) (ولنطلق عليهم اصطلاح " اثرياء عصرهم") ويتمكن " اثرياء عصرهم " من الانفاق ببذخ واضح ومنافسة الفقراء فى الحصول على السلـــع الغذائية (وكمياتها محدودة) فترتفع الاسعار ، وبذلك تضعف منافسة الفقراء أمام ارتفاع الاسعار ، الذى لا يمنع " أثرياء عصرهم " من الحصول على تلك السلع بكميات أكبر وبنوعية أفضل . وما يسرى على السلع الغذائية يسرى على الملبس والاسكان . . . وما الى ذلك .

وبالاضافة الى ما تقدم ، تتأثر الحاجات المعيشية ـ ايجابيا أو سلبيا ـ بعدة عوامل وقضايا أخرى ، تذكر منها المعونات ، والقروض ، وأسعار الصرف و . . . والمناخ العـــام . . . والسلوك الاجتماعى ، ومدى الانضباط أو التسيب(١) .

---

(١) قضلا عن " الاجور والمرتبات " حجما وتوزيعا ، وأسعار مختلف السلع (من طبيات وخدمات) والمسافة بين مسكن وعمل الافراد ومدارس اولادهم ، وعما اذا كـــان الحى الذين يقطنونه شعبيا أو من الاحياء التى يطلقون عليها " احياء راقيـــة " ، واذواق المستهلكين ، وعاداتهم وتقاليدهم . . . ، وما شابه ذلك .

ثالثا : الحاجات المعيشية ودورها في التأثير على الانتاجية :

يتضمن المبحث الحالى القاء الضوء على العلاقات المتبادلة بين الحاجات المعيشية والانتاجية ، وكذلك تكلفة مثل هذه الحاجات ، ممثلة فى الانفاق اللازم لذلك ، مع الاشارة الخاصة لاطعام اسرة مصرية ، وذلك كما هو موضح فى البندين التاليين :

البند الاول : الحاجات المعيشية والانتاجية : علاقات متبادلة .

البند الثانى : تكلفة الحاجات المعيشية .

(أ) الحاجات المعيشية والانتاجية : علاقات متبادلة

ان العلاقة الطردية بين مستوى المعيشة والانتاجية فى المقولات الاتية :

١- للانتاجية أثرها على مستوى المعيشة(١) .

٢- الانتاجية توضح مسار مستقبل مستوى المعيشة من تقدم أو تدهور(٢) .

٣- تحسن الانتاجية يؤدى الى زيادة الانتاج ، ومحصلة هذا اتاحة سلع (بضائع أو طيبات وكذا خدمات) أكثر ، تفيد فى مقابلة متطلبات الاستهلاك المحلى ، ويتم تصريف جزء باقى منها للخارج (صادرات) . وكل هذا يعمل على تحسين الرفاهة ومستوى المعيشة(٣) .

٤- كان لتحسن الانتاجية فى انجلترا خلال فترة ما بين الحربين أثره فى ضمان الاحتفاظ لها بنفس مستوى الدخل هناك بالرغم من نقص الاستثمار الصناعى فيها وقتذاك(٤) (وهذا يعنى بالطبع عدم انخفاض مستوى معيشة السكان هناك) .

---

(١) راجع Newland.; op.cit., P. 7

(٢) انظر Ibid.; P.8

(٣) انظر Rostas, L.; International Comparisons of Productivity, ILO Review, 1968, Passim.

(٤) راجع Meier and Baldwin; Ec. Development, P. 188.

٥- أشار آخرون الى أهمية الانتاجية والكفاءة الانتاجية وضرورة دراستها كمدخل يسبق دراسة الرفاهة ، مشيرين الى أهمية تلك المسألة بالنسبة للرفاهة(١) .

هذا كان عن علاقة الانتاجية بمستوى المعيشة (والرفاهة) خاصة فيما يتعلق بتأثير الانتاجية على مستوى المعيشة . أما عن أثر مستوى المعيشة على الانتاجية فيعتبر بمثابة الشق الثانى للعلاقة المتبادلة بينهما والذى نود أن نسلط الاضواء عليه هنا أيضا بحق . فقد ورد فى ميثاق انشاء منظمة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ أن أحد أهداف المنظمة هو تحسين مستوى معيشة الشعوب . ومثل هذا النص لم يرد جزافا . فلاشك وأن تحسين معيشة الشعوب سيجعل فى امكانية الافراد العمل بانتاجية مرتفعة . وبعبارة أخرى فان تحسين مستوى معيشة الشعوب سيؤدى الى تحسين الانتاجية بوجه عام .(وهذا دفعنا الى تقديم تعريف جديد لمستوى المعيشة يتضمن فى نهايته عبارة تتعلق بالانتاجية ، من أن ذلك " التدفق من الاشباع . . . الذى يمكن الانسان من العمل بانتاجية مثلى") .

غير أن مثل هذا النص - الوارد بميثاق انشاء المنظمة الدولية - يبدو وكأنه قد غاب عن اذهان المسئولين بصندوق النقد الدولى (والصندوق هو أحد الوكالات المتخصصة التابع للمنظمة) ، وبعض من يسير فى ركابه من مؤسسات أو هيئات ، بل وكذا بعض الحكام الذين ينهجون منهجه ويوافقون عليه عند معالجة القضايا الاقتصادية فى البلاد الاقل تقدما ، فنجدهم تحت مظلة عنوان مثل " الاصلاح الاقتصادى " (وهو ترجمة فرضها البعض على المصطلح الاصلى بالانجليزية Economic adjustment) ينادون ويتفقون على اتباع اجراءات معينة يؤدى تنفيذها الى النيل من الحاجات المعيشية لفئات عريضة

---

(١) من بينهم بنت هانسن فى كتاباته التى ظهرت ضمن مطبوعات معهد التخطيط القومى ، انظر :
Hansen, B.; Lectures in Economic Theory, Part 2, INP, Cairo, 1964, passim.

من سكان المجتمع وهم ذوو الدخول المنخفضة والمحدودة بل وأيضا الفقراء (وهم كثـــرة) ، لان مثل تلك الاجراءات تعمل على تآكل دخولهم (من مرتبات وأجور ومعاشات)الحقيقية .

ولاشك أن انخفاض مستويات معيشة هؤلاء له آثاره الاجتماعية والسياسية والامنيـــــــة والاقتصادية . بل وحتى اذا كان نظام الحكم من القوة والبطش وينجح فى فرض مثل هـــــذه الاجراءات قسرا ، فان هذا لا يمنع من شعور الكثيرين بالمرارة . . . والذى قد يتحول فيمـــا بعد الى احداث لا تحمد عقباها ، من ذلك أحداث " فنزويلا " تلك الدولة التى كانت مـــن البلاد الغنية بسبب توافر خام البترول فيها وتحولت الى دولة مدينة ، فقامت فيها الاضطرابات وأنشأوا بها ما يعرف باسم المجلس القومى للفقر فى العام الحالى (١٩٨٩) اثر هـــــــذه الاضطرابات National Council for Poverty . وهناك امثلة أخرى فى بلدان عربية (السودان والاردن . . . الخ).

ونظرا لاهتمام نظم الحكم بمسألة الامن ، ووضعها على قائمة الاولويات(١) ، فقـــــد لا تبالى بعض هذه النظم بالاثار الاقتصادية ومنها الانتاجية على سبيل المثال . وهذا أمر خطير جدا . فليس هناك أدنى شك فى أن النيل من مستوى معيشة العاملين سينعكس أثره على انتاجيتهم فتنخفض . فنظرا لانخفاض دخولهم الحقيقية سيعانون من الاحباط وسيخصـــص بعضهم وقتا أقل لاداء عملهم . . . . . .وذلك ان عملوا فعلا .وسيحاول هؤلاء اقتطاع جزء من وقت عملهم الاصلى لاداء عمل آخر اضافى ، سواء حضر هؤلاء الـــــى عملهم الاصلى جسديا ، أو انصرفوا مبكرا ـ أو غابوا عنه ـ لاداء العمل الاخر .

وهنا تأتى الى نقطة يحسن عندها تجميع الخطوط العريضة لتحليلنا الذى نود الملم القارئ به وهو يختص بالعلاقات المتبادلة بين الحاجات المعيشية والانتاجية فى اطار التنمية الشاملة . ان تبنى الدولة ـ فى البلاد الاقل تقدما ـ لسياسة اقتصادية رشيدة (لحـــــل المشاكل المختلفة التى تجابهها) ـ سيؤدى الى تحسين وزيادة معدلات التقدم الاقتصـــادى

---

(١) انظر مجلد أعمال ندوة الصناعات الصغيرة المنعقدة بالمعهد فى عام ١٩٨٨ .

(نمواً وتنمية) ، مجسدا فى تزايد الانتاج من السلع (بضائع وخدمات) ، كما هو موضح بالمستطيل الافقى فى منتصف الشكل التالى :

الشكل رقم (١/٣) ← PTO

واذا تم توزيع هذا الانتاج المتزايد على السكان توزيعا يتسم بالعدالة ، فان مؤدى هذا تزايد التيار المتدفق من السلع (طيبات وخدمات) التى يتحصل عليها هؤلاء السكان مؤديا الى اشباع الحاجات المعيشية لهم (الموضحة بالمستطيل الرأسى بيمين نفس الشكل رقم ١) ، وبالتالى تتحسن مستويات معيشتهم .

ومن ناحية أخرى ، اذا تحسنت أحوال معيشة السكان ، فان هذا يؤدى بدوره الى تحسن معدلات الانتاجية للايدى العاملة الموضحة بالمستطيل الرأسى بيمين نفسالشكل) وهذا يبينه السهم السفلى ـ فى منتصف الشكل ـ المتجه من اليمين لليسار .

وحتى مع افتراض وجود نفس التوليفة من المدخلات (من عمل ، وأرض ، ورأسمال ، وتنظيم ، وتكنولوجيا ... الخ) ، فان تحسن معدلات الانتاجية سيؤدى ـ اذا ظلت بقية الاشياء الاخرى على حالها ـ سيؤدى الى زيادة الانتاج (كما هو موضح بالسهم العلوى المتجه من المستطيل الرأسى باليسار الى المستطيل الافقى فى منتصف الشكل) .

مما تقدم ، يتضح لنا وجود آثار ايجابية للحاجات المعيشية أو للمستويات المعيشية على الانتاجية Living Impact on Productivity ونرمز له بالرمز LIP (وهذا واضح من القوس السفلى المتجه من اليمين الى اليسار) ، وآثار ايجابية

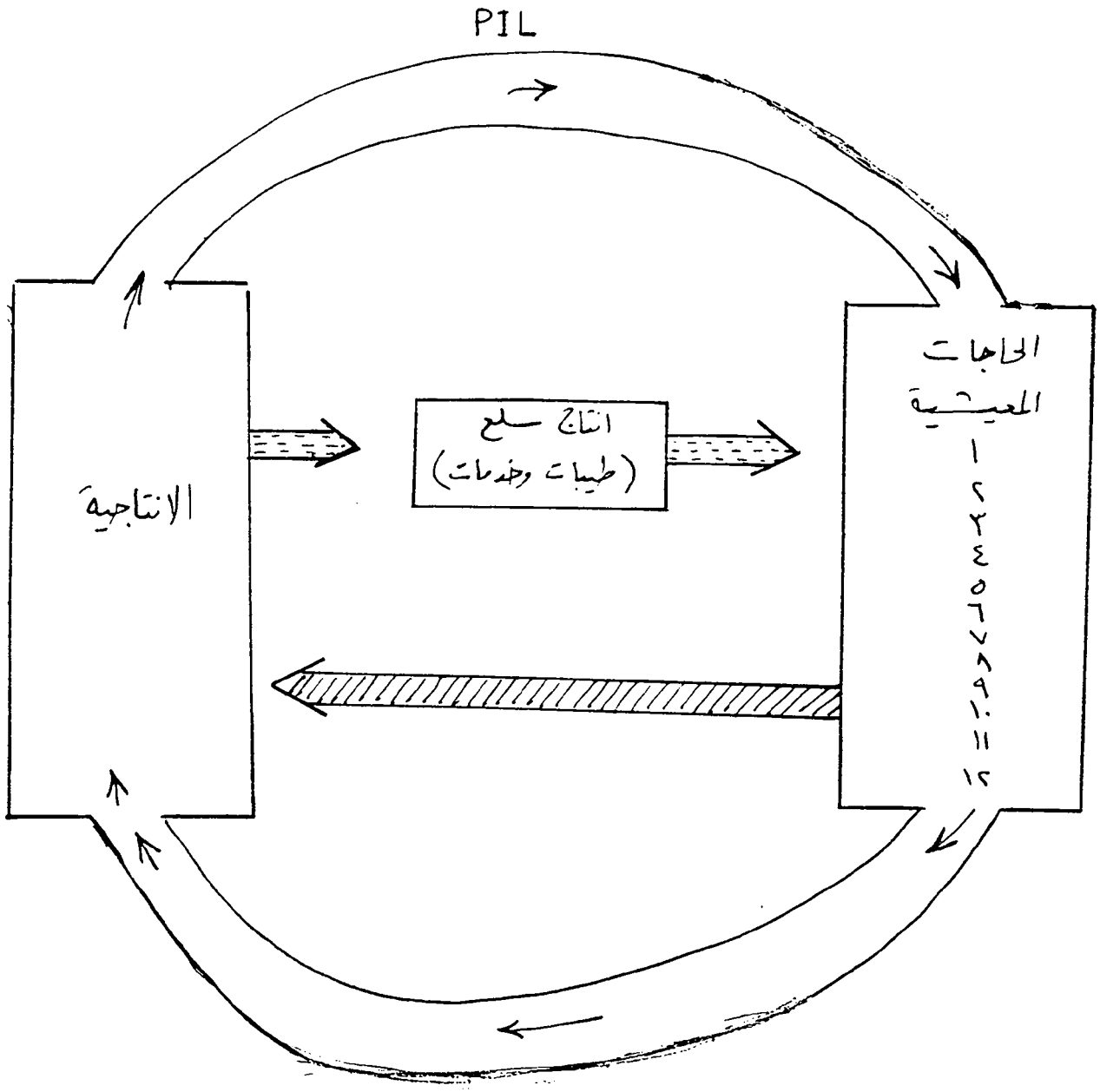
PIL
الحاجات
المعيشية
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
انتاج سلع
(طيبات وخدمات)
الانتاجية

شكل (١/٣)

أخرى للانتاجية على الحاجات المعيشية أو المستويات المعيشية Productivity Impact on Living ونرمز له بالرمز PIL (وهذا يوضحه القوس المتجه من اليسار الى اليمين) . ومن عملية الاعتذاء المرتجع هذه Feeding Back ، تتكون لدينا دائرة ايجابية تكون بمثابة لولب متصاعد ايجابى يمثل العلاقة الايجابية بين الانتاجية ومستويات المعيشة(١) .

وينبغى أن يكون واضحا فى الاذهان اننا لا ندعى أن الانتاجية تتأثر بعامل واحد هو الحاجات المعيشية (المكونة لمستويات معيشة العاملين) ، ولكننا نؤكد أنها (أى الانتاجية) تتأثر بعدة عوامل من بينها تلك الحاجات . وهذا ما أردنا القاء الاضواء عليه .

وما من شك فى أن اشباع الحاجات المعيشية يتأثر بعوامل متعددة منها دخول الافراد وطريقة توزيعها ، واسعار السلع(٢) ، والاعانات (أو ما يطلق عليه الدعم) ، والاذواق ، والعادات والتقاليد ، ونوعية الحى السكنى الذى يقطن فيه المواطنون ، ومدى قرب أو بعد هؤلاء من اماكن عملهم ومدارس اولادهم .. وما الى ذلك .. وفق ما أشرنا اليه من قبل .

وهكذا نصل فى نهاية البند الحالى الى نتيجة هامة جدا ، تتلخص فى وجود علاقة طردية متبادلة بين مستويات المعيشة والانتاجية . فتحسن مستويات المعيشة (أو على الاقل عدم تدهورها) يؤدى الى تحسن الانتاجية وعدم نقصانها . (ومن ناحية أخرى ، فان تدهور مستويات المعيشة يؤدى الى تدهور الانتاجية ونقصانها) .

---

(١) وبنفس طريقة التحليل يمكننا توضيح وجود دائرة سلبية تكون بمثابة لولب هابط سلبى يمثل العلاقة السلبية بين الانتاجية ومستويات المعيشة أو الحاجات المعيشية .

(٢) سنتناول فى الدراسة الحالية مدى تأثير ارتفاع الاسعار على اشباع الحاجات المعيشية ، هذا الارتفاع فى الاسعار الذى بدوره يؤثر - ولو بطريقة غير مباشرة - على انتاجية العامل ، وذلك من خلال تأثيرارتفاع الاسعارعلى اشباع الحاجات المعيشية.

(٣) أما عن الانتاجية ، فهى تتأثر أيضا بعدة عوامل اشرنا الى بعضها من قبل ، راجع الفصل الاول من دراستنا الحالية .

(ب) تكلفة " سلة " السلع :

بعد أن تعرضنا للعلاقة بين الحاجات المعيشية والانتاجية ، يمكننا القول بأنه لضمان تحقيق انتاجية مثلى للعاملين ، لابد من اشباع الحاجات المعيشية ، ليس لهم فقط وانما ايضا لبقية اعضاء اسرهم . وللوصول الى ذلك ، ينبغى اتاحة دخل كافى لهم ولذويهم . ومن هنا يلزم لنا حساب تكلفة " سلة " السلع التى تشبع تلك الحاجات . وسنشير هنا الى حساب تكلفة " سلة " بنود مكون واحد ألا وهو الطعام لاسرة مصرية .

وقد قام الباحث الحالى بحساب تكلفة الطعام لاسرة مصرية كمتوسط شهرى للفترة من ١٩٧٧ الى ١٩٧٩ . كما قام الباحث أيضا بحساب التكلفة عن شهر ابريل الماضى (ابريل ١٩٨٩) . وحتى يكون فى الامكان اتاحة المقارنة ، عرضنا أرقام تكلفة هذا البند كمتوسط لشهور عام ١٩٨٣ فى براسة اخرى(١) .

وتظهر خلاصة هذه الدراسات فى الجدول التالى ، والذى يشتمل العمود الاول فيه على مفردات انفاق على الاطعمة النباتية فى البند اولا ، ومفردات اللحوم وغيرها فى البند ثانيا ، والانفاق على الاسماك فى البند ثالثا ، ومفردات الانفاق على المشروبات والتدخين وما شابه ذلك فى البند رابعا ، وفى نهاية العمود الاول نقرأ جملة الانفاق على الاطعمة والمشروبات . وفى المقابل - بالاعمدة رقم ٢ و ٣ و ٤ - نجد أرقام الانفاق على المفردات الوارد الاشارة اليها حالا ، وذلك كمتوسط شهرى ، كما اسلفنا الاشارة اليه .

وبالنسبة لتفاصيل سدراسة الانفاق فى شهر ابريل ١٩٨٩ فموجودة بالجدول الكبير الموضح على الصفحات التالية .

---

(١) قامت بها احدى الزميلات تحت اشراف الباحث الحالى . انظر نادية أبو ريه : المؤشرات المجتمعية . . . الخ .

جدول رقم (٢/١)

متوسط الانفاق الفعلى على الطعام لأسرة مصرية
فى أبريل ١٩٨٩ مقارنا بمتوسط شهور ١٩٨٣ ومتوسط ٧٧/ ١٩٧٩

الانفاق على مجموعات الطعام المختلفة / البيان	أبريل ١٩٨٩	متوسط شهور عام ١٩٨٣	متوسط شهور أعوام ٧٧/ ١٩٧٩
أولا : الانفاق على الاطعمة النباتية :	———	———	———
١ـ الحبوب (١/١)	٢٤٫٦٢	٧٫٢٥	٣٫٧٤٠
٢ـ الدرنات (١/٢)	١٢٫١٦	٤٫٤٠	٢٫٩٠
٣ـ البقول (١/٣)	٤٫٣١	٣ م٥	٢٫٢٥
٤ـ الحبوب الزيتية (١/٤)	٠٫٩٥	٠٫٧٥	٠٫١٦
٥ـ الخضروات (١/٥)	٣٤٫٠٢	١٢٫٨٧	٥٫٧٣
٦ـ الفواكه (١/٦)	٤٠٫٦٠	٢٠٫٨٧	١٠٫٣٣
٧ـ السكر وخلافه (١/٧)	١٥٫٦٠	١٦٫٢٥	٥٫٢٥
٨ـ الزيوت النباتية (١/٨)	٥٫٣٠	١٫١٣	٠٫٦٨
٩ـ الطرشى والتوابل (١/٩)	٢٫٥٠	١٫٧٦	١٫٤٨
المجموع	١٤٠٫٦	٧٣٫١١	٣٢م٢
ثانيا : لحوم الحيوانات وغيرها :			
١ـ لحوم الحيوانات (٢/١)	٤٠٫٨٠	١٤٫٦٠	١٢٫٢١
٢ـ الدواجن (٢/٢)	٢٨٫٨٠	١٤٫٦٥	١٠٫٧٠
٣ـ الألبان ومنتجاتها (٢/٣)	٤٠٫٢٨	٢٧٫٦٥	١٣٫٧٦
٤ـ البيض (٢/٤)	١٣٫٥٠	٥٫٤٠	٥٫٤٠
المجموع	١٢٣٫٣٨	٦٢٫٣٠	٤٢٫٠٧
ثالثا : الانفاق على الاسماك			
١ـ الانفاق على الأسماك	١٥٫٠٨	٩٫١٥	٣٫٤٥
رابعا : الانفاق على المشروبات والتدخين			
١ـ المشروبات المسكنة	٢٫١٥	٤٫٢٤	٢٫١٢
٢ـ التوابل	ـــ ر ـــ	١٫٨٠	٠٫١ ـــ
٣ـ المياه الغازية	ـــ ر ٣	١٫٤٠	٠٫٦٧
٤ـ التدخين (والتبغ)	ـــ ر ـــ	ـــ ـــ	ـــ ـــ
المجموع	٥٫٢٥	٧٫٤٤	٣٫١٠
جملة الانفاق على الاطعمة والمشروبات	٢٨٣٫٧٧	١٥٢٫٨٠	٨١٫٢٤

وما تقدم وبمقارنة ارقام الانفاق على بند واحد هو الطعام ، نجد أنه بالرغم من ثبات الكميات التى حصلت عليها هذه الاسرة فى الفترة من ١٩٧٩/٧٧ الى عام ١٩٨٩ ، الا أن تكلفة الانفاق على هذا البند زادت على مر الاعوام (من ٨١ جنيها كمتوسط شهرى فى عامى ١٩٧٩/٧٧ الى ١٥٣ كمتوسط شهرى فى عام ١٩٨٣ ، والى حوالى ٢٨٤ جنيها فى شهر ابريل ١٩٨٩) .

الفصـــل الثالـــث*

تقويم البيئـة التعليمية لزيادة انتاجيتهـــا

---

* قام باعداد هذا الفصل د . محمد عبدالعزيز عيد الخبير الاول بمركز التخطيط الاجتماعى والثقافى

مدخل لاهمية التقويم البيئى فى التعليم

يقوم المدرس باتخاذ قراراته فيما يتعلق بما يقدم للتلاميذ يوما بعد آخر ، ولحظة وراء أخرى ، وما يعمل على تعديل وتطوير وتحسين وعلاج أية انحرافات سلوكية ، أو خروج على النظام ، وهو يتخذ هذه القرارات بهدف مساعدة التلاميذ على بناء مخزون من السلوكيات التى تطبق بطريقة مناسبة ومتسقة .

ويعرف المدرسون جيدا أن التلاميذ يختلفون بعضهم عن البعض الاخر فى الكثير من الجوانب ، كما أن الفرد الواحد يختلف فى قدراته من مجال الى مجال آخر ، كما أن هذه الفروق فيما بين الطلبة ، قد تتطلب برامج خاصة تناسب كل منهم ، ولكن هناك العديد من المشاكل التى تجابه هذه العملية لاحتمال وجود العديد من الاخطاء فى تقدير امكانات وقدرات كل طفل ، ولا يمكن معرفة متى حدث هذا الخطأ بالضبط ، أو مقداره ، أو التعرف على اسبابه ، ولذلك فان تفسير المعلومات التى يتم الحصول عليها قد لا يكون سليما لانه قد يبنى على أسس خاطئة ، أو لان التفسيرات يمكن أن تكون هى فى حد ذاتها خاطئة ، أو مبالغ فيها ، أو غير مدركة بطريقة سليمة .

ان التقويم التربوى قد حاول منذ أمد طويل العمل على زيادة ثبات مقاييسه فى تقدير قدرات وامكانات واتجاهات وميول ودوافع التلاميذ ، مما يعمل على تمكين المربين من اقتراح وتحديد الاهداف المناسبة للبرامج التى تقدم لهم .

ومن المعترف به ان مقياس نجاح التعليم بالنسبة للفرد هو ادائه بعد تعرضه للعملية التربوية ، ولكن نتائج هذا القياس لا تدلنا ولا تعرفنا أو تكشف لنا عن طبيعة البيئة التى حدث فيها التعلم ، ولا الطريقة التى اتبعت لاحداث هذا التعلم ، ولذلك يصبح غاية فى الاهمية التعرف على البيئة التربوية المناسبة لاحداث اكفأ تعليم ممكن .

وعموما فهناك ثلاث تفسيرات لضعف تحصيل أى طالب وهى :

١- ان المشكلة تكمن فى التلميذ ذاته وعدم قدرته على التحصيل .

٢- ان المشكلة تكمن فى البيئة ، أى أنها خارجة عن التلميذ كلية .

٣- ان المشكلة هى نتاج التفاعل المتبادل فيما بين البيئة والطالب ، وبذلك فهى ترجع لمشاكل خاصة بالفرد ، ومشاكل خاصة بالبيئة .

وعلى المربى أن يتخذ موقفا من هذه المواقف الثلاثة ،فهو قد يعتقد أن المشكلة تكمن فى التلميذ ذاته ، وهذا يجابهه بالعديد من المشاكل التى لا تقبل القياس ، والتى يصعب حلها والتغلب عليها ، أما اذا اتخذ وجهة النظر القائلة بالتفاعل فيما بين الجوانب البيئية والتلميذ ذاته ، فانه سيوجه اهتمامه للفرد وكذلك لتحسين وتطوير البيئة وتعديلها بما يلائم امكانيات وقدرات واستعدادات الفرد . أما اذا اعتقد فى وجهة النظر الثالثة . وهى أن كل شىء يكمن فى البيئة ويتوقف عليها ، ولا علاقة للتلميذ به ، ويعتبر خارجا عنه ، فان هذا يجعله يركز ويبذل كل جهده واهتمامه فى العناية بتحسين وتطوير البيئة .

والواقع أننا فى هذه الدراسة نؤمن بوجهة النظر القائلة بأن هناك تفاعلاً متبادلاً فيما بين البيئة التعليمية والمتعلم وخصائصه ، ولذلك يجب اذا أردنا تحسين انتاجية العملية التربوية تقويم كل منهما .

البيئة التعليمية

تنقسم البيئة التعليمية الى شقين ، **الاول** خاص بنواتج عملية التدريس ، **والثانى** خاص بعملية التدريس نفسها .

ولنتناول تعريف كل منهما بشىء من الاختصار فيما يلى :

أولا : نواتج عملية التدريس

يحدث التعليم طوال الوقت ، فهو قد يحدث نتيجة لتدريس أو بدونه ، فهناك التعليم المقصود ، الذى يحدث نتيجة للتدريس ، وهناك التعليم العرضى ، والتعليم الكامن

والتعليم الذاتى مما يفترض حدوثه دون تدريس ، وعلى ذلك ، " فالتدريس يشير الى تهيئة الظروف بشكل مقصود بهدف العمل على احداث تغيير فى السلوك ، ويتميز بالدوام النسبى".

ثانيا : عملية التدريس

تتضمن عملية التدريس العديد من الجوانب ، من اهمها الاستراتيجيات المستخدمة فى التدريس ، والوسائل والادوات ، والمدرس ، وتنظيم حجرة الدراسة ، والظروف والبيئة الاجتماعية التى تحيط بالعملية ، أى أن التعلم الجيد يتضمن تقويم الجوانب التالية لعملية التدريس .

أ - البيئة الفيزيقية

وتتضمن البيئة الفيزيقية التصميم الهندسى والمعمارى للمدرسة وخاصة الفراغ المعد للتدريس .

ب - ترتيبات التدريس

ويتضمن هذا الجانب محتوى المنهج وخصائصه ، وطرق التدريس ، والمواد ووسائط التدريس .

جـ - الموقف الاجتماعى

ويتضمن " الموقف الاجتماعى " Social Situation علاقة المدرس بالمتعلم ، وعلاقة المتعلم بغيره من المتعلمين ، والتفاعلات فيما بينهم ، وديناميات الجماعة ، والجوانب الاجتماعية للفصل والمدرسة والمجتمع .

د - أدوات وممارسات التقويم

وهذه تتضمن تحديد وضع الطالب ، وأدوات التقويم التكوينى Formative Instruments والختامى Summative Instruments ، والاجراءات التى تستخدمها المدرسة لاجراء أنواع أخرى من التقويم .

هـ - الخدمات المساعدة

مثل الخدمات الصحية والارشادية وعيادات اصلاح عيوب الكلام ، وكذلك الخدمات خارج المدرسة مثل مكاتب العمل ، والتتبع ، وما الى ذلك .

وسنعرض فى النقاط الرئيسية الثلاث التالية عملية تقويم البيئة التعليمية من حيث : نمو الطالب ، والبيئة الفيزيقية ، والبيئة الاجتماعية .

أولا : تقويم نمو الطالب

مفهوم تقويم نمو الطالب

ان تقويم نمو الطلاب من نوع أو آخر هو أكثر انواع التقويم شمولا وعمومية فى جميع النظم التربوبة ، ونظرا لان هذا التقويم قد يكون آنيا ، وغير منظم ، وغير رسمى ، لانه قد يبنى على بعض الدلالات مثل ملاحظة التعبيرات الوقتية لقسمات الوجه والتغير فى الجلسة ، ونبرات الصوت ، . . . الخ ، وقد يبنى على بيانات أكثر تنظيما وتكميما ، حيث يشتق من اختبارات تحريرية مقننة ، أو اختبارات من وضع المدرس ، أو اختبارات أدائية وغير ذلك بهدف قياس مدى ما تحقق من أهداف ، أو قدرة من القدرات ، أو موهبة من المواهب ، أو جانب من جوانب التحصيل ، أو الاستعداد ، أو غير ذلك . ونظرا لوجود العديد من أنواع التقويم مثل التقويم التشخيصى Diagnostic Evaluation والتقويم البنائى ، والتقويم لتحديد الموضع Placement Evaluation والتقويم الختامى .

وبما أن هناك العديد من الابعاد لكل نمط من أنماط التقويم مثل وظيفة التقويم ، وتوقيت اجرائه ، والخصائص السلوكية التى يتضمنها ، وطرق جمع بياناته ، والعينات المطلوبة لاجرائه ، وتحديد الدرجة أو التقدير ، وكيفية تقرير النتائج والمعايير والثبات والصدق ، وغير ذلك ، وحتى يكون التقويم لنمو الفرد سليما ، ومن أجل اعطاء اجابات على الكثير من التساؤلات والقاء الضوء على الكثير من المشاكل بهدف الاسهام فى حلها ، فاننا سنناقش بشىء من التفصيل الانواع المختلفة من التقويم السابق ذكرها مستخدمين فى ذلك أبعاد وهى : وظيفة كل نوع منها ، توقيت جمع بياناته ـ والخصائص السوكية للبيانات التى تجمع ـ وطرق جمع تلك البيانات ، والعينات اللازمة لمع البيانات ، والتقدير الخاص بالتقويم ، والأطر المرجعية التى تقارن معها الدرجات أو التقديرات ، ودرجة الثبات والصدق اللازمة لكل نوع .

موازنة بين أنواع التقويم الاربعة

١- وظيفة التقويم

الغرض من الانواع الاربعة المختلفة من التقويم موضوع المناقشة وتحت جميع الظروف هو الحكم على الطلبة ، ومع ذلك فان هدف المدرس من تحديد وتقدير ووصف أو تقسيم أو تصنيف الجوانب السلوكية للطالب هو السبب الاساسى للاختلافات والفروق فيما بين الانماط المختلفة للتقويم ، ويستتبع ذلك أن الاهداف أو الاحكام التى يمكن أن نصل اليها بناء على ذلك تختلف كثيرا .

وقد يكون واضحا أن التقويم الذى يخدم أغراضا مختلفة يتضمن اجراءات تقويمية مختلفة .

فالتقويم لتحديد موضع الطالب يستخدم لتحديد المدخل أو الصف أو الفصل الذى يلتحق به الطالب ، ففى العديد من برامج التدريس الفردى ، وكذلك فى النظم التى تتبع الطرق التقليدية فى التدريس يكون مفهوم التحديد الصحيح للصف مفهوما جوهريا ، مثال ذلك ترفض النظم المدرسية في مصر نقل الطالب الذى يرسب فى مادة أو أكثر من صف الى صف أعلى . وفى بعض النظم الدراسية الاخرى ، تستخدم صورا أكثر عمقا فى تحديد صف الطالب أو المقرر الذى يدرسه ، وذلك عن طريق تحديد سلسلة من المهارات التى يجب على الطالب السيطرة عليها واتقانها قبل امكانية قبوله للدراسة فى صف آخر أو مقرر معين .

ومع ذلك فيمكن تعريف التقويم الخاص بتحديد الصف أو وضع التلميذ بطريقة أكثر اتساعا مما تشير اليه الامثلة السابقة ، اذ بناء على اساس التحصيل السابق للتلميذ ، أو لتوفر خصائص معرفية أو وجدانية معينة يمكن ان يحدد وضع التلميذ :

أ - فى أنسب نقاط التسلسل التدريسى .

ب - للدراسة بطريقة معينة .

جـ - للدراسة مع مدرس مناسب .

ويوضح المثال التالى مفهوم تحديد وضع التلميذ فى أنسب نقاط التسلسل التدريسى : تصور جميع المهارات الضرورية المسبقة اللازمة بالاضافة الى الاهداف المتوقعة من دراسة المقرر كوحدات على خط الاعداد ، ومثل غياب المهارات المسبقة ، أى التى يلزم الالمام بها - قبل دراسة المقرر الجديد - على خط الاعداد كأعداد سالبة ، فى حين أن توفر هذه المهارات ولكن مع غياب أى من الاهداف المتوقعة للمقرر مماثلة لنقطة الصفر . أما أهداف المقرر الجديد فتماثل الاعداد الموجبة على نفس الخط . وبناء على ذلك يكون الهدف الاساسى للتقويم لتحديد وضع التلميذ هو تحديد مكان التلميذ علىهذا الخط والذى نطلق عليه أسم " الخط العددى للتدريس " شكل رقم (١) . ولكننا فى الواقع نجد أن معظم المدارس ، ان لم يكن فى أجمعها ، يوضع التلميذ فى الواقع على هذا الخط عند نقطة الصفر ،دون اعتبار للمهارات التى يتطلبها المقرر ، أو سيطرتهم السابقة على أهداف معينة للمقرر الجديد .

٥ ———

٤ ——— المهارة الرابعة

٣ ——— المهارة الثالثة

٢ ——— المهارة الثانية

١ ——— المهارة الاولى

صفر ——— عدم السيطرة على مهارة من المهارات التالية

-١ ——— المهارة الاخيرة

-٢ ——— المهارة السابقة على المهارة الاخيرة

-٣ ——— المهارة السابقة على المهارة قبل الاخيرة

-٤ ——— المهارة السابقة على المهارة الثالثة

-٥ ———

شكل رقم (١) - الخط العددى للتدريس

أما مزاوجة الطلبة مع طريقة تدريس أو مدرس معين فانه مازال فى مرحلة المهد ، ومع ذلك فانه من المتوقع أن يصاحب زيادة كفاءة وفعالية بحوث تحديد موضع التلميذ والذى أخذ دوره فعلا فى الازدياد ، أن يصبح من الممكن أن نضع كل تلميذ مع أنسب مدرس لـــه ، وأنسب أسلوب للتدريس يتفق مع خصائصه .

أما وظيفة التقويم التكوينى فهى توفر المعلومات المتعلقة بالتقدم نحو السيطرة علـــى الاهداف العامة للمقرر لكل من المدرس والتلميذ . ويدل ذلك على ان التقويم البنائـــى لا يستيخدم أساسا لتقدير الطالب ، اذ أنه يهدف بدلا من ذلك الى توفير المعلومات التى توجه التعليم والدراسة . ويذكر بلوم وزملاؤه (Bloom, et. al., 1971, p.112) ان التقويم البنائى كما يدل عليه اسمه ، يحدث خلال تكوين التلميذ ، وليس عندما يعتقـــد أن العملية قد استكملت . انه يشير الى المجالات التى تحتاج لعلاج لكى تتخذ الاجراءات لكى تصبح الدراسة والاجراءات التدريسية المباشرة التالية على ذلك أكثر مناسبة وفائـــدة . ان التقويم البنائى يركز على وحدات صغيرة من المنهج تتميز بالاستقلال النسبى ، وهـــى تعمل على التقييم العميق لعدد قليل نسبيا من الاهداف .

ويضيف بلوم وزملائه مرة أخرى (Bloom, et, al,p. 113) أننا لانعتبـر أن التقويم البنائى مفيد فى بناء المناهج فقط ، ولكنه مفيدا أيضا فى التدريس وتعليـــم التلاميذ . ان التقويم البنائى من وجهة نظرنا هو استخدام التقويم المنظم فى عملية بنـــاء المنهج ، والتدريس ، والتعليم بهدف تحسين أى من تلك العمليات الثلاث . وحيـــث أن التقويم البنائى يأخذ مكانه خلال مرحلة التكوين ، لذلك يجب بذل كل الجهود لاستخدامـه فى تحسين العملية ، وهذا يعنى أنه فى التقويم البنائى يجب أن يحاول الفرد جاهـد أن يحصل على البيانات الاكثر فائدة فى العملية ، وأن يبحث عن أكثر طرق التقرير فائـــدة ، وأن يبحث عن طرق للتقليل من الاثار السالبة المرتبطة بالتقويم ، وربما يكون ذلك عن طريـق

---

* Bloom, B. S., J.T. Hastings and G.F. Madaus. Handbook on Formative and Summative Evaluation of Student Learning, New York : McGraw. Hill, 1971, P.112 & 113.

التقليل على الاقل من الوصول الى أحكام ، وأن يترك اصدار الاحكام الى مستخدمى التقويم البنائى من (مدرسين ، طلبة ، وواضعى المناهج) . والامل هو أن مستخدمى التقويم البنائى سيجدون طرقا للربط بين نتائج التقويم وأهداف التعليم والتدريس التى يعتبرونها مهمة وذات قيمة .

ويضيف نفس المصدر السابق (Bloom, et. al, 1971) ان مصطلح " بنائى " يشير لتقويم تعلم التلاميذ خلال دراسة المقرر ، أى عندما يفترض امكانية احداث تعديلات فى التدريس التالى على أساس التحصيل المصاحب " .

وبالرغم من ظهور طرق رسمية للتقويم البنائى فى بعض الدول الاجنبية ، فان المدرسين الذين يطبقون امتحانات قصيرة للتعرف على نقاط الضعف ، أولئك الذين يستخدمون طرقا مختلفة للملاحظة والحصول على دلالات معينة لتقييم تقدم التدريس ، فانهم يقومون بنمط التقويم التكوينى ، بمعنى أنهم يقيسون نجاح التدريس الجارى ، والذى يقومون به ، ولذلك فان هذه المعلومات تستخدم بدرجة بسيطة للغاية ، أو لا تستخدم كلية لتقييم الطلبة أو اعطائهم درجات أو تقديرات بالمقارنة بجعل عملية التدريس مستجيبة للتعرف على أوجه ضعف وقوة التلاميذ .

ويستيخدم التقويم الختامى لاعطاء التقديرات ، أو التقرير لاولياء الامور ، أو اعطاء الشهادات للتلاميذ فى نهايات وحدات التدريس الكبيرة نسبيا ، مثال ذلك ، فترات دراسية ، فصول دراسية ، سنة دراسية . والواقع أن التقويمات الختامية بالمعنى الصحيح هى نتيجة امتحانات نهاية الفصل الدراسى ، أو نهاية العام ، والتى تظل نتيجتها مصاحبة للتلميذ خلال حياته الاكاديمية . أما اذا أخذت مجراها للعديد من المرات ، فهى آنذاك تتصل بنواتج أكثر مباشرة ، وأقل عمومية ، وأقل قابلية للانتقال ، وعموما فهى قد تحدث مرتين فى العام الدراسى بالنسبة لمراحل التعليم العام .

---

* Ibid, P. 262.

أما التقويم التشخيصى فهو يستخدم للتعرف على التلاميذ الذين يتأثر تعلمهم أو سلوكهم فى الفصل الدراسى تأثرا سيئا نتيجة لعوامل خارجة عن الاجراء ات التدريسية . أننا نعرف مجال التقويم التشخيصى بأنه يتضمن العوامل البدنية والجسمية والبيئية ، والانفعالية والنفسية ، والتى تنشأ خارج الفصل الدراسى . ونسوق على ذلك مثالا من الولايات المتحدة ، حيث كان الهدف من أحد البرامج ، وهو برنامج "البداية المتقدمة Head Start تعليم الاطفال المحرومين ثقافيا نتيجة نشأتهم فى بيئات منعزلة أو بيئات متخلفة اجتماعيا واقتصاديا ، مما أثر عليهم كثيرا ، ومما جعلهم غير قادرين على الاستفادة من التعليم فى المدارس العادية . ولكن لوحظ أن بعض هؤلاء الاطفال لم يظهر عليهم أى تحسن أو تقدم فى تعلمهم نتيجة لانخراطهم فى هذا البرنامج ، الى ان تحقق البعض من أن الاطفال الذين لا يتناولون طعاما كافيا للافطار قبل بداية يومهم فى هذا البرنامج ، كانوا مستهدفين للتركيز على الطعام أكثر من تركيزهم على الدراسة ، وبالمثل ، فان الاعتراف بأن طالبا معينا يعانى من صعوبات فى السمع أو الرؤية تعيق تعلمه ، يعتبر تقويما تشخيصيا ، ويجب أن يكون المدرسون قادرون على التعرف على العوامل التى تعتبر من جانب معين خارجة عن الفصل الدراسى ، وتؤثر تأثيرا سيئا على أداء التلميذ فىالفصل.

ولكننا ، يجب أن تقرر بوضوح عند هذه النقطة الفاصلة ، أن أى نظام لتقييم التلاميذ يستخدم فيه نوعان أو أكثر من طرق التقويم التى اقترحناها يجب ألا تستخدم كأنظمة مستقلة ، اذ أن الانماط الاربعة تتفاعل مع بعضها البعض لتوهر للمدرس بيانات أساسية يستطيع من خلالها أن يضع أنماطا مختلفة من الاحكام التى تتعلق بتعلم التلاميذ . ان التمييز الحاد الذى نحاول جاهدين أن نحدده ، يرتبط بهدف واحد ، وهو تقويم نمو التلاميذ .

٢- توقيت جمع بيانات التقويم

يتضح من الاهداف المختلفة لانماط التقويم الاربعة التى ذكرت ، أن البيانات الخاصة بكل نمط من انماط التقويم جمع فى أوقات مختلفة ، كما أن أى نظام كامل لتقويم التلاميذ يدعو لتجميع مستمر للبيانات من نوع أو آخر .

وحيث أن الهدف من تحديد وضع التلميذ هو تسهيل تعلمه بالتعرف على نقاط قوته ونقاط ضعفه عند بداية التدريس لكى نوفر له أقصى قدر مستطاع من التعزيز البيئى (من ناحية المدرس والمواد) ، فان اعتبارات تحديد موضع التلميذ تحدث فيما قبل بداية التدريس ، ومع ذلك ، فانه تحت العديد من الظروف قد يعاد تحديد موضع التلميذ (بمعنى تحديد وضعه مرة أخرى أو بطريقة مختلفة . .) اذا ثبت أن التحديد الاصلى غير مثالى . وعادة ما تتوفر الدلالات على ذلك من التقويمات البنائية ، والتى قد تدعو لاعادة تحديد موضع الطالب ، ومع ذلك ، فقد يحدث فى بعض الاحيان أن يكون التعرف على النقص خلال التقويم التشخيصى وعلاج هذا النقص ، داعيا لاعادة تحديد موضع التلميذ .

أما التقويم التكوينى فيحدث باستمرار عملية التدريس ، فى حين أن التقويم الختامى والذى تتجه وظيفته لتقدير الدرجات ، أو اعطاء التقديرات ، أو الحصول على الشهادات ، فانه يأخذ مكانه فى نهاية الوحدة التدريسية ، فى حين أن التقويم البنائى كالتقويم التشخيصى عمل مستمر لا يعرف بمحددات زمنية مقررة ، ولذا يجب على المدرس أن يكون حساسا لظهور بوادر الاعراض السلوكية التى يفترض أنها ناتجة عن اسباب خارجة عن الفصل الدراسى ، ويتضح مما سبق أن الانماط الاربعة للتقويم تؤكد على أنه يجب على المدرسين أن يجمعوا باستمرار البيانات والدلائل والشواهد التى تتصل بتعلم التلميذ .

٣- الخصائص السلوكية للبيانات المجمعة

من بين المشاكل التى يجب أن يواجهها أى نظام للتقويم ، هى تعريف مجالات السلوك التى يجب أن تصاحب الاهداف المختلفة له .

أننا عندما نضع التلميذ فى تسلسل تدريسى ، ونقيم التقدم الحادث فى التدريس ، أو نقدر تحصيل التلاميذ ، فاننا نقيم النتائج المتوقعة ، أو أهداف مقررنا ، ويكون من الطبيعى أنذاك أن يكون التقويم البنائى والختامى مجرد نمطين من تقويم وضع التلميذ (تحديد التحصيل السابق للمهارات أو السيطرة السابقة على أهداف المقرر) هو تجميع لبيانات وشواهد من مجالات سلوكية متشابهة . وحيث ان القدر الاكبر من أهداف التدريس فى مدارسنا ، تعرف وتتضمن أهدافا فى المجال المعرفى والمجال النفسحركى ، فان هذه الخصائص السلوكية هى التى نقوم بتقويمها ، ولذلك تكون أهداف التدريس مركزا تدور حوله اعتبارات جمع البيانات والشواهد والدلائل لتقويم وضع التلميذ فى التقويم البنائى والتقويم الختامى ، ومن ذلك تحدث عملية التداخل .

وتحت ظروف معينة ، قد يوجه تقويم وضع التلميذ والتقويم الختامى نحو جمع بيانات من المجال الوجدانى Affective Domain ، كما أن التقويم الخاص بوضع التلميذ يجب أن يتضمن جمع بيانات عن المجال الوجدانى اذا كان الهدف منه هو عملية المزاوجة فيما بين خصائص التلميذ مع نمط معين من المدرسين ، أو أسلوب معين للتدريس ، حيث أن أساس المزاوجة يحتمل أن تكون له علاقة كبيرة بالشخصية والاسلوب بالمقارنة بعلاقته بالقدرة العقلية ، ولذلك نجد أن بعض المدارس تسمح للمدرسين باختيار فصول السنة التالية على أساس التوافق فيما بين الاسلوب التدريسى للمدرس وتوقعاته ، وادراك اسلوب تعلم التلميذ ودوافعه ، والهدف من ذلك هو تعريف ومزاوجة المدرسين على أساس عوامل لا معرفية حتى يؤدى ذلك لانتاج بيئة متجانسة ، وغير محبطة ، وعلى درجة عالية من الكفاءة .

وهناك موقفان آخران يجب أن يتضمن فيهما التقويم الختامى جمع بيانات عن المجال الوجدانى ، الاول عندما تتضمن أهداف المقرر نتائج وجدانية ، والثانى عندما يعتقد أنه من المهم جمع دلائل عن نتائج غير مقصودة تحدث دائما كنتاج ثانوى للتدريس ، اذ أنه فى الواقع عندما يتم اختيار مجموعة من الاهداف ، فان ذلك يتضمن عملية مقايضة بمعنى أن هناك أهدافا معينة مرغوبة قد تهمل أو لا تؤكد ، ومن المهم فى هذه الحالة ان نعرف

ثمن هذه المقايضة وخاصة من جانب اتجاهات التلاميذ .

واذا تم تجميع بيانات وجدانية ختامية ، فانه من الممكن مقارنة تقدير التلاميذ على أساس تلك البيانات ، ولذلك فاننى اعتقد انه عندما نأخذ فى اعتبارنا الجوانب السلوكية التى يتضمنها تقدير ميول واتجاهات وقيم التلاميذ ، يجب أن يكون التركيز هنا على الدرجة التى يظهر بها الفصل ككل هذه الجوانب ، ولذلك فان البيانات يجب تجميعها مع المحافظة على عدم ذكر الاسماء ، بحيث تؤدى تلك النتائج للخروج باستنتاجات لا تضر بأى فرد من الافراد .

وبينما نجد أن الخصائص السلوكية للدلائل فى تقويم تحديد الوضع ، والتقويم البنائى والتقويم الختامى ، ترتبط باجمعها بدرجة كبيرة أو قليلة بالاهداف المباشرة للمقرر، فان التقويم التشخيصى يبحث عن انماط مختلفة من البيانات ، اذ أن الخصائص السلوكية للشواهد والبيانات المجمعة من خلال التقويم التشخيصى لا تقع فىالتصنيفات المعتادة من معرفية ووجدانية وحسحركية ، ولكنها تصنف بدلا من ذلك الى جسمية ونفسية وبيئية ، اذ أنالتقويم التشخيصى يهدف الى ما وراء التعرف على الاهداف التى لم يتعلمها التلميذ . انه يجاهد فى الوصول الى فروض ترتبط بعوامل خارجة عن الفصل الدراسى ، وتشرح لماذا لم يتعلم التلاميذ . ان العوامل البيئية والبيولوجية قد تتضمن مشاكل الابصار والكلام والصحة العامة ، وما شابه ذلك ، فى حين تتضمن العوامل النفسية سوء التكيف الانفعالى والاجتماعى ،وتتضمن العوامل البيئية عوامل مثل مشاكل التغذية ، أو انهدام الحياة العائلية أو ظروفها السيئة .

٤- طرق جمع البيانات والدلائل

لوضع التليمذ عند نقطة البداية المناسبة فى التدريس ، أو استبعاده من دراسة مقرر ما ، ولتقويم تعلم التلميذ بنائيا أو ختاميا نحتاج لبيانات عن التحصيل ، فلكل هدف من أهداف التقويم نحتاج لتحديد ماذا ، وكم تعلم التلميذ ، وان كان استخدام مثل هذه المعلومات قد يختلف تبعا للهدف من التقويم .

وبالرغم من وجود اختبارات مناسبة للذكاء والتحصيل والاستعداد والتى قد تمد الفرد بمعلومات مفيدة ، وخاصة فيما يتعلق باتخاذ قرارات خاصة بتقويم وضع التلميذ ، أو التقويم الختامى ، فان الاختبارات التحصيلية التى تقنن محليا تكون أكثر فائدة ، حيث أن تحصيل الطالب فى هذه الحالة يقوم بالنسبة لاهداف المقرر . ويعتبر هذا مفيد فى مصر حيث لا تختلف فيها المناهج من مكان الى آخر ، ولذلك فان النتائج التى نحصل عليها توفر معلومات خاصة بالدرجة الكافية ، حيث تصمم الاختبارات لتغطية أهداف المقرر ، وبذلك تصبح تلك الاختبارات هى الوسيلة الاكثر اقتصادا لجمع بيانات عن تحديد موضع كل طالب أو الحصول على بيانات تقويمية أو بنائية أو ختامية .

ويجب أن نلاحظ أن مقاييس التحصيل المفيدة ليس من المطلوب أن تكون فقط من أنواع اختبارات القلم والورقة ، اذ أن قدرا كبيرا من البيانات عن مهارات التلاميذ وسلوكهم يمكن الحصول عليه من استخدام طرق الملاحظة ، وأنواع القوائم المختلفة مثل قوائم المراجعة والاستبيانات ، والمقابلات والتسجيلات الصوتية وتسجيلات الفيديو وما شابهها ، اذ أن هناك العديد من المواد الدراسية مثل الورش ، والتربية الفنية ، والتربية الرياضية واللغات ، حيث يكون التركيز الرئيسى فى التقويم على ما يفعله التلميذ وليس على ما يعرفه ، ولذلك تكون اجراءات التقويم المبنية على أناط الملاحظة أكثر مناسبة فى جمع البيانات اللازمة للتقويم فى هذه المقررات ، وذلك بمقارنتها باختبارات القلم والورقة . ومع ذلك ، وبوجه عام ، فان قدرا ضئيلا من الانتباه قد يعطى لاستخدام المدرس للملاحظة واستخدام بصيرته كطرق مناسبة لجمع البيانات أو الدلائل الخاصة بالتقويم ، ويعتبر هذا صحيحا بوجه خاص فى التقويم البنائى ، والتقويم المتصل بتحديد موضع التلميذ ، والتقويم التشخيصى ، حيث ان ما يستتبع الوصول الى احكام خاصة سيترك آثارا خطيرة على التلميذ قد لا يمكن اصلاحها .

وتستخدم العديد من المدارس فيما يتصل بالتقويم التشخيصى ، الطرق العامة لقياس السمع والابصار ، والتعرف على التلاميذ الذين يعانون من صعوبات سمعية وبصرية ،

ومع ذلك فان الطرق الاساسية لجمع البيانات أو الدلائل الاساسية التى تستخدم للتقويم التشخيصى هى ملاحظات المدرس الحساس ، وخاصة مدرسى الحضانات والمرحلة الابتدائية حيث تتوفر ألفة المدرس بالمتعلمين نتيجة قضائه فترات طويلة مع نفس التلاميذ .

٥- اعتبارات خاصة بالعينات المطلوب جمعها :

بالرغم من أن نمط التقويم لتحديد وضع التلميذ بالاضافة للتقويم البنائى والتقويم الختامى تهتم أساسا بجمع بيانات معرفية ونفسحركية ، فان الفروق فى الاهداف والتوقيت يدعو الى طرق مختلفة لتحديد خصائص عينة الاسئلة التى تستخدم فى جمع البيانات والدلائل .

فاذا كان الالتحاق بمقرر من المقررات يتحدد بمدى سيطرة التلميذ على سلسلة من المهارات المطلوبة مسبقا ، فان الاداة المستخدمة فى تقويم تحديد وضع الطالب يجب أن تتضمن أسئلة لتقويم كل مهارة . ولتوضيح ذلك ، لنفرض ان الالتحاق بالمقرر الاول يعتمد على السيطرة على قدرة الجمع للاعداد الموجبة والسالبة ، وعلى ضرب وقسمة الكسور ، وعلى ترجمة المشاكل الكلامية الى اعداد ، فان كل قدرة من هذه القدرات تعتبر مطلبا مسبقا على قدرة الفرد على الاداء فى المستوى الادنى من الكفاءة فى المقرر الاول للجبر ، ولذلك لا يصبح كافيا استخدام اداة تقويم لتحديد موضع التلميذ اذا كانت هذه الاداة تجمع بيانات عن قدرة واحدة أو قدرتين من تلك القدرات ، حيث ان التنبؤ بالنجاح فى مقرر الجبر يعتمد على تلك القدرات باجمعها ، وبالمثل فى التقويم البنائى حيث تكون المحاولة للتعرف على أهداف المقرر التى لم يسيطر عليها الطالب مبكرا بالدرجة التى تكفى للعلاج قبل تحديد تقدير أو درجة الطالب ، ولذلك يجب اختبار كل هدف من الاهداف لكى تحصل على تغذية راجعة .

ولزيادة التوضيح ، لنأخذ فى الاعتبار عينة من الاهداف الخاصة بالتقويم البنائى ، ومقارنتها بعينة من أهداف التقويم الختامى . فمقرر فى الجبر قد يكون أحد أهدافه

النهائية : " القدرة على حل مشاكل كلامية غير مألوفة باستخدام المعادلات الآنية " ،وبذلك تكون الاسئلة أو البنود التى يقوم عن طريقها هذا الهدف العام للمقرر مناسبة للتقويم الختامى ، اذ أننا نتوقع ان تكون هناك مواضع مختلفة يغطيها المقرر تساعد الطالب على اكتساب القدرة على تحصيل هذا الهدف . وفى نهاية الفصل أو العام الدراسى يكون المربى راغبا فى معرفة ما اذا كان الطالب قد سيطر على هذا الهدف واكتسبه أم لا بغرض اعطائه تقديرا أو درجة . ومع ذلك فان السيطرة على واكتساب هذا الهدف العام تتضمن أن الطالب قد سيطر على سلسلة من الاهداف الخاصة ، مثال ذلك : " القدرة على حل المعادلات الانية " ، " القدرة على ترجمة المشاكل اللفظية الى معادلات " ، وما الى ذلك .

فاذا كان التقدير ، أو اعطاء الدرجة هو غرض التقويم ، تكون البيانات عن الاداء الخاص بالاهداف الاكثر عمومية كافية ، ولكن اذا كان الهدف من التقويم هو التعرف على نقاط الضعف فى التعليم فيما قبل التقدير ، فيجب الحصول على بيانات أو دلائل وشواهد عن قدرة الطالب على أداء كل نوع من أنواع السلوك الخاصة التى يتضمنها الهدف العام . ولذلك فان التقويم البنائى لا يمكن أن يساعد الطالب على توجيه دراسته اذا لم يتضمن الاختبار اسئلة أو بنودا تناسب كل مهارة من المهارات ، ولذلك يجب أن يكون التقويم البنائى قادرا على أن يخبر الطالب بضرورة تعلمه لكيفية ، " حل المعادلات الانية "، أو أن " يتعلم ترجمة المشاكل اللفظية الى معادلات " بدلا من أنماط التقويم العام والاقل فائدة والتى قد تؤدى الى عبارات مثل : " أجتهد " ، أو " استذكر لفترة أطول " ، أو " ابذل جهدا مضاعفا " ، ... الخ .

ان أدوات التقويم التى تبنى من خلال مفهومى التقويم البنائى والتقويم الختامى يمكن ان تكون مفيدة فى وضع التلاميذ فى نقاط معينة فى التدريس ، واستبعادهم من دراسة مقرر معين كلية ، فبعض المقررات وخاصة فى المستوى النهائى فى المرحلة الثانوية والمستوى الجامعى فى بعض المؤسسات التعليمية الاجنبية ، تسمح للطلبة الذين يستطيعون النجاح فى الاختبار النهائى قبل دراسة المقرر عدم التسجيل فى هذا المقرر ، والمنطق

الذى يكمن وراء ذلك هو : اذا كان الطالب يستطيع النجاح فى الامتحان النهائى والختامى فى اليوم الاول لدراسة المقرر ، فانه يستطيع استغلال وقته فى دراسة مقررات أخرى . أما أدوات التقويم البنائى والتى تختبر مهارات اكثر خصوية تتطلبها الاهداف العامة للمقرر، فانها تكون مفيدة فى تحديد النقطة من التسلسل المتصل للمقرر حيث يجب أن يكون موضع الطالب وبوجه عام فان المربى يستطيع أن يطبق اختبارات تكوينية الى أن تظهر عدم سيطرة الطالب على مهمة لتعلم مهارات تالية وبذلك يمكن تحديد موضع الطالب عند هذه النقطة من المقرر حيث تدرس المهارة التى لا يسيطر عليها الطالب .

وحيث ان الملاحظات تجمع بطريقة عشوائية فى التقويم التشخيصى ، فان اخذ عينات سلوكية ممثلة بمعنى الكلمة يصبح عديم المعنى ، ولذلك قد تكون الاعراض التى نحصل عليها من طريقة مثل اكتب قصة بهدف التعرف على الصعوبات خارج الفصل الدراسى لا تكشف عن المشاكل بانتظام ، وعلاوة على ذلك فان الانتظار لتطبيق هذه الطريقة مرة أخرى يؤدى لتأخير اتخاذ الاجراءات التصحيحية ، ولذلك فان أسلم طريقة يستخدمها المدرس الذى يشك فى وجود أسباب خارج الفصل الدراسى تؤدى لمشاكل تعليمية هى أن يتحدث مع الشخص المناسب مثل : (الطبيب ، الممرضة ، الاخصائى الاجتماعى ، الاخصائى النفسى ، ... الخ) . عن ملاحظاته وفروضه ، وبعد ذلك يستطيع المتخصص اما رؤية الطالب أو توجيه المدرس لتجميع البيانات عن الاعراض السلوكية الاخرى .

٦- التقدير والتقرير :

فى تقويم تحديد الصف أو موضع الطالب - فيما عدا فى حالة استبعاد الطالب من دراسة مقرر معين - يجب تقويم الدلائل المراد تقريرها فى صورة بروفيلات وأنماط أو درجات جزئية على الاهداف او الخصائص موضع السؤال لكى يمكن التعرف على مدى سيطرة الطالب على كل مهارة مسبقة مطلوبة أو على أهداف المقرر . حيث أن تحديد صف الطالب أو وضعه فى مقرر من المقررات يتصل بمدى اكتساب التلميذ لمهارة أو قدرات خاصة محددة يحتاجها

الاداء الكفء في المقرر ، فان طرق اعطاء الدرجات أو التقديرات التي تجمع اجزاء متفرقة من البيانات لا توفر النوعية الضرورية للتحديد الدقيق لموضع الطالب ، فيما عدا عندما يتقرر استبعاد طالب معين من دراسة مقرر محدد بناء على ادائه على اختبار ختامي .

وحيث ان نتائج التقويم البنائي تستخدم لتوجيه انشطة المدرسين والطلبة اثناء تقدم العملية التدريسيه ، فان التغذية الراجعة يجب ان تكون نوعية لاقصى درجة . ومن ثم فان تقدير الدرجات وارسال التقارير يجب ان يبنى على انماط الاستجابة على اسئلة أو وحدات أو بنود تختبر المهارات المتعلمة في وحدات أو موضوعات تدريسية قصيرة نسبيا ، ولذلك فانه في حالة التقويم البنائي او التكويني كما هو الحال في التقويم لتحديد الصف أو موضع التلميذ في التسلسل التدريسي ، تخفى الدرجة الكلية أكثر مما تكشف .

أما التقويم التشخيصي فهو يبنى على ملاحظة المدرسين ، ومن الواضح انه يصعب ان لم يكن مستحيلا ، تكميم مثل هذه الملاحظات ، وكنتيجة لذلك ،فان مفهوم التقدير أو الدرجة لا ينطبق في هذه الحالة . ان معظم الصور المناسبة لبيانات التشخيص هي التقارير المكتوبة والتقارير القصصية التي تلخص ملاحظات المدرس .

وفي حالة التقويم الختامي يأتي التقرير والتقدير بناء على مجموع عدد الاستجابات الصحيحة ، أو الدرجة الكلية على الاختبار ، مقررا في صورة عددية أو رمزية أو درجة معيارية أو مئينية أو معيار صفي اذا كانت نتيجة التقويم للتخرج أو اعطاء شهادة أو مجرد الترقية من صف الى صف أعلى ، كما هو الحال في النظم التعليمية العادية . أما اذا كانت نتيجة التقويم الختامي ستستخدم في تحديد المدخل أو موضع التلميذ في التسلسل التدريسي التالي ، فيجب تقرير النتائج تبعا لعدد الاستجابات الصحيحة لكل هدف من الاهداف الرئيسية ، ويأتي التقدير بعد ذلك في صورة عددية أو رمزية ، أو أي نوع من أنواع الدرجات ، سواء أكانت مئينية أو معيارية ، أو تبعا لمعيار الصف .

٧- الاطر المرجعية التي تقارن بها الدرجات أو التقديرات :

عادة ما تكون الدرجات فى حد ذاتها عديمة المعنى ، ولذلك يجب أن يتوفر لدينا مجموعة من الاطر المرجعية تقارن معها تلك الدرجات لتصل الى التفسير المناسب .

والاطر المرجعية نوعان : اطر معيارية Norm Referenced ، أطر محكية Criterion Referenced . وفى النمط الاول يحكم على الاداء بالرجوع الى أداء مجموعات اكبر قد تكون الفصل باكمله أو المدرسة بكاملها ، أو المنطقة التعليمية بأسرها ، أو الدولة بوجه عام ، وفى النمط الثانى يحكم على الاداء بالرجوع الى تعريف مطلق للاتقان أو الكفاية . ونحن عندما نستخدم التقويم الختامى لتقدير أداء الطلبة عادة ما نستخدم معايير الاطر المعيارية ، أى أن استحقاق الطالب لتقدير ممتاز أو جيد جدا أو جيد أو ما الى ذلك ، فان ذلك يتحدد بمقارنة اداءه مع اداء باقى الطلبة فى الصف أو المنطقة أو الدولة فى حالة الامتحانات العامة ، ولذلك نجد أنه فى بعض الاحيان قد يحصل الطالب على ٨٥ درجة من ١٠٠ درجة فى اختبار من الاختبارات ومع ذلك يحصل على تقدير مقبول لان الغالبية العظمى من الطلبة قد حصلت على درجات اعلى من ٩٠ ، ولذلك يعتبر تقدير الطلبة باستخدام المنحنى المعتدل أو الجرسى Normal or Bell shaped Curve تصحيحا على اساس معيارى .

أما بيانات التقويم لتحديد وضع التلميذ او صفه ، والتقويم البنائى ، والتقويم التشخيصى ، فغالبا ما يحكم عليها باستخدام الاطر المحكية ، أى أن محك الاداء المرضى يوضع ويحدد قبل اجراء عملية التقويم ، وبعد ذلك تقارن نتائج التقويم مع هذه المحكات . مثال ذلك : قد يحدد الفرد بأن التسجيل أو دراسة مقرر معين يعتمد على اتقان ثمان مهارات مطلوبة لدراسة المقرر ، أو على أية سته مهارات منها ، وكذلك دراسة الطالب مع مدرس معين ، قد يعتمد على وجود أية أربع خصائص للمدرس مماثلة لخصائص الطالب أو أن محك دراسة موضوع معين فى المقرر قد يحدد على أساس الاتقان عن طريق الاجابة الصحيحة على ٩٠٪ مثلا من اسئلة أو بنود تقويم بنائى للموضوع السابق عليه ، واخيرا قد يحدد

الفرد أن ظهور ثلاثة أعراض على الاقل على التلميذ يدل على معاناته من صعوبات بيئيـــــة أو جسمية أو نفسية ، تلزم باحالته للعلاج . ومن الواضح أن جميع الامثلة السابقة تعتمد على اتخاذ القرار بالنسبة لكل تلميذ على حدة بناء على ادائه بالنسبة لمحك محدد . أما أداء باقى التلاميذ فى الفصل فهو غير مهم عندما يكون اطارنا الذى نرجع اليه اطارا محكيـــــا . ويدل هذا على أن التقويم لتحديد موضع التلميذ ، والتقويم التكوينى أو البنائى ، والتقويـــم التشخيصى ، كل ذلك يمثل مواقف لا نهتم فيها بمقارنة التلميذ مع اقرانه بالمقارنة باهتمامنـا بمقارنته بمحك مستقل حكم عليه بأنه دال على التعلم أو الاداء المقبول .

ثانيا : تقويم البيئة الفيزيقية

الآثار المباشرة للخصائص الفيزيقية :

للخصائص الفيزيقية البيئية آثار مباشرة على سلوك الافراد ، وقد يكون لها آثار غير مباشرة ناتجة عن التأثيرات النفسية لها على الافراد ، وعلاقات الافراد الاجتماعية فيما بينهم وهناك العديد من الامثلة على ذلك ، من بينها المحادثات الممتدة فيما بين الناس والتي يزداد احتمال حدوثها حيث يتوفر الاتساع ، والاثاث المريح ، والجلسة المريحة ، وتنظيم الاثاث الذى يحدد مواجهة الافراد وقربهم من بعضهم البعض .

وبوجه عام ، فانه يمكن القول بأن المواقع التي تمكن الاشخاص من الحصول على رؤية أفضل للجماعة و/أو أن يكونوا مركزا للتدفق الاتصالى للمجموعة(١) (Leavitt, 1951) تمكنهم من أن يأخذوا دورا نشطا في الاحداث ولذلك ، فان المدرسين يستطيعون استخدام هذا المفهوم ، ليغيروا من موقعهم الخاص تبعا للدور الذين يرغبون في القيام به

ولقد درس سومر(٢) (Sommer, 1969) انماط جلوس الافراد عندما يشتركون في الحديث ، فوجد أن الافراد الذين يحتلون مقاعدهم حول منضدة يزداد الاتصال بينهم في مواقع المواجهة عندما يكونون في ركنين متجاورين . وأن كانت مواقع المواجهة اكثر كفاءة في حالة التنافس ، وحالة الجوار عندما تكون هناك حاجة للمشاركة في المواد المستخدمة .

وحيث ان المتعلمين يمكن أن يصبحوا معتادون على تصرفات معينة ، فان هذا المفهوم يتطلب ان يصبح المدرسون معتادون على تغيير اماكنهم تبعا للانماط المختلفة من

(1) Leavitt, H.J. "Some effects of certain Communication Patterns on group performance". Journal of Abnormal and Social Psychology. 1951, 46, 38 - 50.

(2) Sommer, R. Personal Space: The behavioral basis of design. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1969.

الاعمال التى يتطلبون منهم القيام بها ، وأن يعيدوا ترتيب الاثاث وطرق جلوسهم عندما يكون ذلك مناسبا .

وباختصار فان البحوث المختلفة توضح ضرورة أن يتوفر للمدرس والتلاميذ الاختيار فيما بين تنظيمات مختلفة للجلوس تبعا لمجموعات العمل والمهام التعليمية التى يقومون بها .

العوامل الفسيولوجية للخصائص الفيزيقية :

ان الخصائص الفيزيقية المختلفة للعوامل الفسيولوجية كالاضاءة ودرجة الحرارة ومستوى الضوضاء والالوان التى تصبغ بها الجدران والاثاث قد تؤثر على سلوك الافراد وقدرتهم على التعلم .

فالاضاءة على سبيل المثال ، يجب ان تصمم مصادرها وان توضع بحيث تمنع السطوع الى حد ابهار البصر(١) (Hay Wood, 1974) ، ويجب العمل على توفر الاضاءة الطبيعية بقدر الامكان ، حيث ان هناك بعض الشواهد الجدلية على وجود علاقة فيما بين الاضاءة باستخدام لمبات الفلورسنت والزيادة المفرطة لنشاط الاطفال(٢) (Arehart-Treichel, 1975) .

كذلك تؤثر الحرارة على سلوك الافراد تأثيرا واضحا ، فدرجة الحرارة المعتدلة قد تساعد على العمل ، كما ان درجات الحرارة المنخفضة لا تساعد على حدوث العدوان فيما

(1) Hay Wood, D.C. " Psychological Factors in the use of lighting in buildings ". In J. Lang, C Burnette, W. Moleski, and D. Vaekon (eds) Designing for Human Behavior. Stroudsburg, Pa.: Dowen, 1974.

(2) Are hart-Treiche I,J " The good, healthy, Shining light ". Human Behavior, 1975, 4 (1), 16-23.

بين التلاميذ ، اذا ان التجارب قد اثبتت ان التلاميذ قد تبنوا النماذج العدوانية في سلوكهم عندما كانت درجة الحرارة مرتفعة للغاية ، ولذلك يجب على المدرسين مراعاة درجة الحرارة في فصولهم ، وتعديل أنواع الانشطة والمهام التي تقدم ، فعلى سبيل المثال ، لا يجوز الاكثار من الانشطة التي تتطلب الكثير من الحركة اثناء ارتفاع درجة حرارة الجو حيث أن مثل هذه الانشطة تعمل على زيادة ارتفاع درجة حرارة الجسم .

وتعتبر الضوضاء من العناصر الهامة التي تواجه المدرس ، حيث ان مشاكلها تبرز عندما تصل الى حد التشويش ، أو عندما تتداخل مباشرة مع فهم التلاميذ . وقد يكون مصدر الضوضاء خارجيا كما هو الحال في شوارعنا نتيجة لمشاكل المرور والزحام ومكبرات الصوت والورش وغيرها والتي يجب ان توضع القوانين المناسبة لها للحد من آثارها السيئة ، وقد يكون التشويش داخليا ، وخاصة وان القليل ان لم تكن جميع مدارسنا لم تصمم من الناحية الصوتية بدرجة لا تتطلب من المدرسين ان يعتبروا بعضهم البعض في جدولتهم واستخدامهم للسينما والتلفاز ووقت اللعب والموسيقى والمناقشة ، وهو ما لا يجب ان يكون .

وتعتبر الالوان من العناصر الهامة في البيئة الفيزيقية ، فلقد وجد أن الالوان السارة او المبهجة تؤثر على الفرد تأثيرا حسنا ، في حين ان الالوان المحبطة قد تؤثر على تدريس المدرسين تأثيرا سيئا ومن ثم تحبط تلاميذهم بشكل مباشر وغير مباشر .

المكان وآثاره على السلوك

لقد لوحظ أن التلاميذ في المقاعد الخلفية والجانبية في الفصول الدراسية يقل احتمال مشاركتهم في المناقشة(١) (Koneya, 1976, Sommer, 1969) (٢) ويحدث

---

(1) Sommer, R. (1969). Ibid.

(2) Koneya, M.; " Location and Inter action in row-and Column Seating arrangements ". Environment and Behavior, 1976, 8 (2), 265-282.

هذا سواء اختار الطالب مكانه بنفسه أو حدد له مكانه ، والواقع أن هذه السلبية قد تنتج عن ان المدرس نفسه والذى يقل احتمال اشراكه لمثل هؤلاء الطلبة فى المناقشات ، كما ان هؤلاء الطلبة ربما يختارون مثل هذه المقاعد لرغبتهم فى الانسحاب او عدم المشاركة .

ويعتبر " الفراغ الشخصى " Personal Space من المواضيع الهامة التى اهتم بها الباحثون فى هذا المجال ، ويقصد بالفراغ الشخصى وصف كم الانفصال او البعد الذى يحتفظ به الافراد فيما بينهم فى المواقف الاجتماعية المختلفة . ويبدو أن هذا السلوك له جانب نمائى ، حيث يتطلب صغار الاطفال بعدا او فصلا اقل عن بعضهم البعض بالمقارنة بالاطفال الاكبر حيث تقترب المتطلبات من معايير الراشدين .

كذلك يجلس المتعلمون قرب بعضهم عندما يكونون فى مهام تعاونية ، بالمقارنة بجلوسهم عندما يكونون فى موضع المناقشة . وهناك من العوامل والسمات الشخصية ما يعمل على تقارب أو ابتعاد الافراد بعضهم عن البعض الاخر ، وعموما فان نتائج الابحاث توصى بأن افضل بيئة تدريسية هى تلك التى تسمح للافراد والجماعات بالمحافظة على بعدهم عن بعضهم البعض أثناء عملية اعتيادهم بعضهم على البعض الاخر .

وبينما نجد ان الفراغ الشخصى يؤكد على المسافة فيما بين الافراد والجماعات فان الزحام يؤكد على كيفية سلوك الافراد والجماعات وعملهم بكم الفراغ المتوافر لهم . والواقع ان نتائج الدراسات فى هذا المجال تعتبر غاية فى الاهمية بالنسبة لنا حيث تزدحم الفصول والمدرجات بشكل زائد .

ان النظريات الرئيسية فى هذا المجال تقرر انه عندما يوضع الافراد فى فراغ محدود ،فانهم قد يجبروا على التفاعل بطرق قد تؤدى لتداخل بعضهم مع البعض الاخر

في انشطتهم و/أو يجدون مستوى غير مرغوب من الاستثارة الاجتماعية[1] (Attman, 1975 ; Stokols, 1976[1]) .

وهناك مصطلح اخر اطلق عليه اسم "الاقليمية" Terriotoriality ويعرف أنه امتلاك موقع معين ، واستمرار ملكيته فى بعض الاحيان وليس دائما ، يتضمن الدفاع النشط عنه ضد المغتصبين . وما يهمنا هنا بالنسبة للمدرس هو ما يأتى :

١ - يجب أن توفر البيئة اماكن للاطفال ينسحبون اليها فى الاوقات التى يحتاجون فيها لذلك .

٢ - يجب الا يسمح لاى طفل ان ينسحب دائما او لفترات زمنية ممتدة .

٣ - يجب التفكير فى التنظيمات البيئية التى تجذب الطفل المنسحب بشكل طبيعى لمجرى النشاط .

٤ - يجب ألا يسمح لاى طفل او مجموعة من الاطفال باحتكار مواقع رئيسية او مميزة بسبب زيادة العدوانية والتأثير الاجتماعى .

والمصطلح الاخير فى هذا المجال هو "الخصوصية" Privacy ، وهى تعنى الانسحاب من التفاعل مع الاخرين والتحكم فى كشف المعلومات عن الذات* (Altmen, 1976) والواقع ان الخصوصية تسمح للناس بتتبع اهتماماتهم الخاصة دون مقاطعة ، والحصول على التفريغ الانفعالى ومعرفة الذات والراحة العقلية .

---

(1) Altman, I. The environment and Social Behavior Monterey, Calif.: Brooks/Cole, 1975.

(2) Stokos, D. The experience of crowding in primary and secondary environments. Environment and Behavior, 1976, 8 (1), 49-86.

* Altman, I. Ibid.

وهنا تجرى ابحاث اكثر على الخصوصية ، فانه يبدو من المحتمل أن تكون رسالتها للمدرسين متسقة مع ما ذكرناه سابقا ، من وجوب أن توفر بيئة المدرسة بعض الاماكن حيث يستطيع المتعلمون الانسحاب من الاستثارة الحسية والاجتماعية عندما يحتاجون لذلك ، وان تكون هناك اماكن اخرى حيث تكون هناك الامكانات والظروف المحيطة (الضوضاء ، الاضاءة ، والحرارة) بما يسمح لهم بتتبع اهتماماتهم المستقلة والخاصة .

المواقف السلوكية :

ان هناك العديد من المواقف التى يحدث فيها السلوك ، ويتكون كل موقف من عدد من المهام التى تنفذ ، والافراد الذين يقومون بهذه المهام ، والادوات أو الاجهزة والتسهيلات . ويرى روجر باركر (١) Roger Barker ان الاهداف الروتينية المتكررة التى تحدث فى المواقف السلوكية هى التى توفر النمط الاساسى لحياتنا ، واعداد الجزء الاعظم من سلوكنا ، وأنها تستحق الكثير من انتباهنا .

ويبدا باركر (Barker, 1968) تناوله لموضوع التأثيرات البيئية على السلوك بملاحظته ان السلوك الانسانى ليس عشوائيا او موزعا بشكل متجانس على الفراغ والزمن ، بل على العكس منمط لدرجة كبيرة ، ولذلك فان الناس عادة ما لا يغفلون شيئا شاذا الا اذا كان ذلك بعيدا عن المواقف السلوكية المعتادة .

ان المواقف السلوكية تزيد عن تسهيلاتها البيئية ، كما ان تاثيرها على السلوك يتصل بشاغلى او محتلى تلك المواقف . وتعتبر المواقف السلوكية ذات اهمية بالغة للمدرسين من ناحيتين : الاولى : ان السلوك لا يكمن كلية فى شخصية الفرد . والثانية : ان الطريقة الاكثر كفاءة لتغيير سلوك الفرد قد تكون نتيجة تغيير الموقع الحالى للفرد ، او وضعه فى موقع آخر بدلا من محاولة تغيير الفرد باى اسلوب كان .

---

(1) Barker, R.G. Ecological Psychology. Stanford: Stanford University Press, 1968.

وينعكس تأثير المواقف السلوكية فى مدى مشاركة الافراد فى الاعمال المدرسية فى المدارس الصغيرة عنها فى المدارس الكبيرة ، ومن اهم نتائج هذا الاختلاف ما يأتى :

١- محك القبول يحتمل ان يكون اكثر مناسبة فى المدارس الصغيرة عنه فى المدارس الكبيرة .

٢- يزداد احتمال ان يقبل الطالب للمشاركة فى الجماعات المختلفة فى المدارس الصغيرة عنه فى المدارس الكبيرة .

٣- يحتمل ان يكون دور الطالب اكثر دقة ووضوحا فى المدارس الصغيرة ، فالطالب يزداد احتمال أن يكون له دور هام فى الموقف السلوكى .

٤- يزداد احتمال قبول انحراف الطالب عن معايير الاداء واستمرار قبوله فى المدارس الاصغر ، وكذلك الصبر فى تعليمه دون ان يحل محل آخر ، كما هو الحال فى المدارس الاكبر .

ولقد أدت هذه المستنتجات الى ان يقرر طلبة المدارس الاصغر رضاءهم وشعورهم بقيمتهم وسيطرتهم وتنافسهم من خلال العمل وبذل الجهد .

والواقع انه فى المدارس الصغيرة غالبا ما تكون المواقف السلوكية غير مشبعة Under committed ، حيث انه لا يوجد عدد كاف من الطلبة الذين يرغبون فى المشاركة فى الاعمال والانشطة والجماعات المختلفة بالمقارنة بالاماكن المطلوب شغلها ، وذلك بعكس المدارس الكبيرة التى يحدث بها زيادة فى التشبع Over Committed .

وكما تشير دراسة باركر وجمب(١) (Barker and Gump, 1964) فان التلاميذ فى المدارس الاصغر وخاصة المدارس الثانوية يقررون عدم شعورهم بالامن

---

(1) Barker, R.G. & Gump, P.V. Big School, Small School. Stanford: Stanford University Press, 1964.

بدرجة اكبر ، وذلك لشغلهم لمواقف سلوكية قد لا يكونون كفؤا لها فى بعض الاحيان لنقص عمليات الانتقاء كما يحدث عادة فى فرق التمثيل والفرق الرياضية .

ان المدرسين لا يستطيعون السيطرة على اعداد الطلبة فى مدارسهم أو فصولهم ، ولكن الا يستطيعوا ان يزيدوا من عدد المواقف السلوكية المختلفة فى مدارسهم وداخل فصولهم ؟

المعوقون والبيئة الفيزيقية :

لقد شهدت السنوات الاخيرة تزايدا فى الانتباه الذى اعطاه المربون فى دول العالم المختلفة نحو العمل على دفع والحاق اكبر عدد ممكن من الاطفال غير العاديين فى الفصول العادية معظم الوقت بقدر الامكان . وهذا يعنى أن على المدرسين أن يفحصوا الفصول الدراسية وغيره من اجزاء المدرسة لتحديد ما اذا كانت هذه البيئات تستطيع مقابلة حاجات الطفل غير العادى . وبالطبع تختلف احتياجات البيئة تبعا لنوع الاعاقات التى يعانى منها مثل هؤلاء التلاميذ .

والواقع ان هناك العديد من التصنيفات لانواع العجز التى يعانى منها التلاميذ ، فهناك العجز الحسى Sensory Impairment سواء أكان كليا أو جزئيا ، وهناك العجز والقصور فى النواحى المعرفية Cognitive Disabilities كالاصابات المخية Brain Injury والتاخر العقلى ، وبعض المشاكل التعليمية الخاصة أو العامة ، وكذلك الموهبة العقلية التى يضعها بعض الافراد فى هذا الجانب ، وهناك الاعاقات الحركية Motor deficiences والصعوبات الوجدانية Emotional Difficulties كصعوبة التحكم فى رغبات الفرد ، وسوء التكيف الاجتماعى والاكتئاب ، وزيادة النشاط ، ويضاف لكل ذلك العجز المتعدد حيث يعانى الفرد من عجز فى اكثر من جانب من تلك الجوانب .

ويقصد بتكامل غير العاديين مع العاديين ان هؤلاء الاطفال سيبقون لجزء من الوقت في مواقع خاصة بهم حيث يحصلون على انتباه خاص موجه لعجزهم الخاص ، أما بقية اليوم فيستطيعون قضاءه مع الاطفال العاديين .

والحقيقة انه يصعب الحديث عن عجز او اعاقة مطلقة ، ولذلك فانه من الاوفق والافيد الحديث عن الاعاقات في ارتباطها باعمال معينة وفي بيئات معينة ، حيث ان هذا يمكننا من نقل التأكيد بعيدا عن المعوقين الى بيئات معوقة .

وعند مناقشة موضوع البيئات التعليمية للاطفال المعوقين ، قد يكون من الافضل ان تأخذ في الاعتبار تمييز لندسلي (١) (Lindsley, 1964) فيما بين الاداة الترقيعية Prosthetic Device والاداة العلاجية Therapeutic Devise ، فالاداة الترقيعية يجب ان تعمل باستمرار للتعويض عن نقص دائم ، في حين ان الادارة العلاجية يمكن الاستغناء عنها في وقت ما .

وعموما فان الاعتبارات الهندسية لتعليم المعوقين غالبا ما تفرض نفسها عند تصميم او اعادة تجديد المباني ، بالاضافة الى وجود العديد من النواحي التي يجب اخذها في الاعتبار عند تصميم وتأثيث الفصول .

ومع ذلك ، فهناك من الاسباب ما يجعلنا نؤكد بضرورة عدم الاجبار في استمرار الارتباط فيما بين الاطفال العاديين والمعوقين ، وخاصة اذا استرجعنا مفاهيم الفراغ الشخصي والمشاركة ، والدراسات التي بينت ان الصغار والراشدين يفضلون الجلوس والوقوف بعيدين عن الافراد المختلفين .

---

(1) Lindsley, O.R. Geriatric Behavioral Prosthetics. In Kastenbaum, R. (Ed.) New Thoughts on Old age. New York: Springer Publishing Company, 1964.

ثالثا : تقويم البيئة الاجتماعية

تعتبر البيئة الاجتماعية التى يتعلم فيها الفرد على درجة كبيرة من الاهميـــــة ، لدرجة ان انماط العلاقات الرسمية وغير الرسمية التى يكونها الفرد مع المدرسين والافـــراد لا تؤثر على الاداء الاكاديمى للفرد فقط ، ولكنها تؤثر ايضا على النمو الكلى للفـــرد ، لدرجة انه عندما سئل جون ديوى ان يصف مدرسته المثالية تحدث أساسا عن نظـــــام للعلاقات الانسانية ، واقترح انه فى المدينة الفضلى Utopia ، لن تكون هنـــاك مدارس بالمعنى المعتاد ، وأبنيه تشبه المؤسسات المدرسية ، وفصول وأدراج ، وانما بدلا من ذلك ، فان المكونات ستشبه مازل مفتوحة للهواء ، والجلوس يكون فوق أرض واسعـــة ، فيما بين حدائق وبساتين الفاكهة وبيوت النبات الزجاجية ، حيث يجتمع الصغار مع الافراد الاكبر والاكثر نضجا ، والذين يوجهون انشطتهم ولا يوجد بناء يجمع اكثر من ٢٠٠ فرد ، حيث انه قد وجد ان هذا العدد يقرب من الحد الذى يسمح بعلاقات معرفية وشخصية وطيدة وحميمه ، أما طريق التدريس فهى متمركزة حول البشر ، فالمدرسون يربطـــــون انفسهم بالصغار فى القيام بخط معين من الافعال ، كما ان المدرسين قد اختبروا مـــن خلال الاختيار الذاتى ، اذ يجب ان يكونوا معروفين للصغار ، وبالخبرة ، سيصبح مـــن الواضح من بينهم لديهم التذوق والميل ونوع المهارة المطلوبة للتعامل الفعال مـــــع الصغار(١) (Brembeck, 1971) .

ان الخبرات اليومية للتلاميذ كاعضاء فصل لها تأثير هام على شعورهم نحو انفسهم واتجاهاتهم نحو الاخرين ، وانماط لسلوك التى يكتسبونها ، لذلك يجب ان يكـــــون المدرس على علم ودراية بالمعلومات التى تتصل بهذا المجال .

---

(1) Brembeck, Cole Social Fourdations of Education, Environmental Influences in Teaching and Learning. (2 rd ed). New York: John Wiley and Sons, 1971, P. 274.

وسنناقش فى هذه النقطة الرئيسية ثلاثة عوامل هامة ذات تأثير فعال فى هذه العملية وهى تأثير المدرس ، وتأثير الاقران ، وتأثير المنهج .

(أ) تأثير المدرس :

يعتمد الجو الذى يسود الفصل الدراسى على المدرس لدرجة كبيرة ، اذ انه يعتبر اكثر وأهم العوامل فى الفصل الدراسى حسما وتأثيرا ، اذ أنه يستطيع ان يجعل التعليم سارا أو مقبضا ، وهو يستطيع خلق الدافعية للتعلم ، أو الخوف منه ، انه يستطيع استثارة توقعات النجاح ، أو ضمان الفشل . ان الاسلوب الشخصى للمدرس ، وطريقته ، تفوق اى شئ آخر فى خلق الجو والحالة النفسية التى ستميز الفصل الدراسى .

وتؤكد العديد من الدراسات الاثر الخطير لسلوك المدرس فى الفصل ، فلقد وجد أن استخدام المدرس للانتباه ، والقبول ، والثناء ، يؤدى الى تغييرات فى سلوك التلاميذ يمكن التنبؤ بها ، فمع تلاميذ المدارس الابتدائية(١) (Hall, Lund, and Jackson, 1968) ومع تلاميذ المدارس الثانوية(٢) McAllister, Stackowiak, Baer and Canderman كان التابع لاستخدام المدرس للانتباه مؤديا لحدوث تغييرات مرغوبة فى سلوك التلاميذ ، كما ان استبعاد مثل هذا التعزيز الاجتماعى فى وجود انشطة التلاميذ غير المرغوبة قد أدى لاستئصال العديد من المشاكل فى الفصل الدراسى ، وكذلك تشير الابحاث الى ان معاملة المدرسين للتلاميذ كافراد يسجلها التلاميذ الاخرون ، ويكون لها تأثير على اتجاهاتهم وسلوكهم وتحصيلهم(٣) (Brembeck, 1971)

---

(1) Hall, R.V., Lund, D., and Jackson, D. " Effects of teacher attention on study behavior". Journal of Opplied Behavior analysis, 1968, 1, 1-12.

(2) Mcallister, L.W., J.G. Stachowiak, D.M. Baer, and EL. Canderman. The application of operant Conditioning Techniques in Secondary School Classroom. Journal of applied Behavior Analysis, 1969,2, 277-285.

(3) Brembeck, Ibid, P. 83.

ولذلك ، يجب أن يقوم المدرسون بتقييم أثر سلوكهم على النمو الاجتماعى لتلاميذهم ، وان يتحققوا من ان الكثير من سلوكيات تلاميذهم لا تخرج عن كونها مستتبعات لسلوكهم أو افعالهم الخاصة . ومن أهم الخصائص السلوكية التى يجب ان يتميز بها المدرس للعمل على توفير بيئة اجتماعية صحية فى الفصل الدراسى ما يلى :

١- الايجابيـــة :

ان مكانة المدرس وقوته فى الفصل الدراسى تجعل منه نموذجا يحتذى به التلاميذ (١) (Badura, 1971) ولذلك يجب أن يكون المدرسون ايجابيون عندما يستطيعون ذلك .

والواقع ان الاتجاهات والتوقعات الايجابية يجب ان يصاحبها تعزيز ايجابى ،سواء أكان على شكل مساندة أو ثناء او تشجيع ، اذ انه عن طريق تأكيد نقاط القوة والنجاح لدى التلاميذ ، يستطيع المدرس أن يبنى ثقتهم ورغبتهم فى ممارسة انشطة اكثر صعوبة . والواقع ان تنمية التفاعل الاجتماعى السليم لا يمكن تحقيقه من خلال النقد والسخريـــة والتأنيب .

وهناك الكثير من الادلة على ان ما يتوقعه المدرسون ، عادة ما يحدث ، ســواء مع طفل واحد أو مع الفصل باكمله (٢) (Rasenthal and Jacabsen, 1975) فاذا كان المدرس يتوقع انخفاضا فى التحصيل وصعوبات فى التعلم ، وعدم قدرته علـــى اداء المطلوب نتيجة انخفاض نسب الذكاء ، او التحيز الشخصى ، أو غير ذلك مـــــن

---

(1) Bandura, A. " Psychotherapy based on modeling principles". In A Bergin and S.L. Garfield (Eds.). Handbook of Psychotherapy and Behavior Change: an Emperical Analysis. New York: John Wiley and Sons, 1971, P. 653-708.

(2) Rosenthal, R. and L. Jacobsen. What Teacher Behavior mediates. Psychology in the Schools, 1975, 12, 454-461.

الاسباب ، فان الفرد يتصرف ويسلك كما هو متوقع منه ، وسرعان ما تتحقق النبوءة ويسوء العمل ، والعكس صحيح أيضا ، فاذا كان التوقع تحصيل جيد ، وامتياز فى العمل ، فان الفرد يسعد بذلك ويبذل اقصى جهد ، وسرعان ما يتفوق ويتميز .

٢- التخطيط :

ان التخطيط للتدريس يجب ان يكون الشغل الشاغل للمدرس ، بحيث يضمن اشراك كل تلميذ فى العملية التعليمية ، وأن يعدل ويغير خططه واهدافه تبعا لامكانيات وقدرات كل طالب ، بحيث يجد كل فرد ما يلائمه من عمل وما يستطيع ان ينجح فيه ويتقدم ، بحيث ينمو الجميع ، بالرغم من اختلافهم ويتقدم الجميع بالرغم من تباينهم .

الواقع انه لا توجد طريقة مثلى للتدريس لجميع التلاميذ ، أو حتى لتلميذ واحد فى جميع المواد ، ولذلك يجب على المدرسين أن يعرفوا انه بصرف النظر عن الطريقة المستخدمة ، فان سلوكهم يكون ذو تأثير كبير على المتعلمين .

٣- المرونة :

ان التطورات والتغييرات فى المجتمع سريعة ومتتالية ، وتلاميذ اليوم غير تلاميذ الامس والجيل الحاضر يختلف عن الجيل الماضى ، واتباع اساليب ثابته ، وعدم محاولة الاطلاع على نتائج التجارب الحديثة ، قد يؤدى للفشل وعدم النجاح ، ولذلك يجب على المدرس ان يكون مرنا ، على استعداد للتجريب والتغيير والتعديل والاستماع الى آراء المتخصصين وقراءة المجلات التربوية .

٤- التعزيز :

ان نتائج الدراسات على الموقف المدرسية تدل على أن التأنيب يحتمل ان يكون مثيرا لبذل جهد أكبر ، ولكن الفائدة المردودة ، اذا كانت هناك ثمة فائدة ، تكون

تافهة ولا يمكن الاعتماد عليها بأى حال من الاحوال ، واذا كان الثناء أو التأنيب اكثر كفاءة من عدم استخدام ايهما ، وأيا كانت الحال ، فان النتائج التجريبية لا تتفق عندما نحاول تحديد أثر الثناء أو التأنيب على تلاميذ يختلفون فى رد شخصياتهم ، فبعض الدراسات تدل على ان الرسوب أو التأنيب يعطى دفعة كبيرة للمنبسطين ، ولكنها لا تؤدى الى ذلك مع المنطويين . وأن كانت هناك بعض الدراسات الاخرى تعطى نتائج عكسية ، ومع ذلك فاننا قد نستطيع الاستفادة فى هذا المجال من دراسات خاصة بالقلق
فهذه الدراسات تقترح أن الرسوب أو التأنيب قد يكون سيئا وخاصة بالنسبة للافراد الذين يعانون من توتر زائد ، ولكنه قد يساعد من تبدو عليهم اعراض طفيفة من القلق Anxiety

وكذلك ، فمن وجهة نظر التكيف الشخصى نجد أنالتسلسل المستمر للنجاح دون فشل قد يكون ضارا ، وعلاوة على ذلك فالكثير من الطلبة يعتبر النجاح المستمر مضايقا ، وغير منطقى وغير دافع لبذل الجهد ، ولذا فانه حتى عندما لا يكون هناك فشل ، فيجب على الاقل ان يكون هناك تهديد به ، والعكس صحيح ، فنحن نعرف أن التسلسل المستمر للنجاح والذى يتبعه فشل خطير قد يكون ضارا ، ولذا يجب على المدرسين مراعاة ذلك والتأكيد على الثناء بوجه عام .

(ب) التلميذ فى المدرسة ومجموعة الاقران :

تتسع بيئة الطالب الاجتماعية فى خلال مرحلة الطفولة المتأخرة ، أى ابتداء من التحاقه بالمدرسة الابتدائية بل قد تبدأ بمرحلة ما قبل المدرسة ، وفى خلال هذه المرحلة ، تبدأ المدرسة عملها كمؤثر هام فى عملية التطبيع الاجتماعى ، فهى تكمل التعليم الذى ابتدأته العائلة ، وتقدم للطفل الفرص لزيادة الصلة باقرانه ، ومن ثم للتأثيرات القوية للاقران فى نمو الشخصية .

ولذلك ، فان المدرسة الابتدائية تقدم للطفل مجموعتين جديدتين من التأثيرات

الاجتماعية ، التى تؤثر على دوافع الطفل واتجاهاته وهما - الاقران والمدرسين - اللذان يكونان تغيرا بيئيا هائلا ، وحتى الان كان الطفل معتمدا على والديه فى قبوله والثناء عليه ، وفى التعرف على السلوك " الجيد" و " الردىء " ، وما هى المعتقدات التى يأخذ بها ، وتلك التى يرفضها .

مما سبق نلاحظ أنه فى خلال سنوات المدرسة الابتدائية يتفاعل التلميذ مع مجموعات جديدة من الناس يحاول جاهدا اكتساب قبولها ، وفيها تنتقل مصادر القلق والدوافع المرتبطة بوالديه (مثال ذلك ، القلق من الرفض والرغبة فى القبول) الى علاقاته مع زملائه ومدرسيه ، فاذا كانت قيم ودوافع مجموعة اقرانه شبيهة بمثيلاتها لدى والديه ، فان اتجاهات الطفل وسلوكه ستتعزز ومن ثم تقوى ، فى حين انه اذا كان هناك بعض التناقض مع قيم آبائه وتلك الخاصة باقرانه ، فان الطفل تتدافعه الصراعات وقد يبدأ فى تبنى الاستجابات التى يشجعها اقرانه .

وابتداء من السنوات الاولى للمدرسة الابتدائية يكون هناك تأكيد على التنافس فى النواحى العقلية والتى لم تدخل فى خبرة معظم الاطفال ، ولذا فان الالتحاق بالمدرسة الابتدائية للعديد من الاطفال يعنى بداية التأكيد على اهمية المهارات العقلية كالقراءة والكتابة والتحدث والقدرة على الابتداء والانتهاء من الاعمال التى تحتاج لقدرات خاصة ، وذلك فى الوقت الذى اذا نظرنا فيه الى سنوات ما قبل المدرسة ، نجد أن حاجات الطفل للشعور بالكفاية والقدرة كانت مشبعة لدرجة كبيرة عن طريق تقمص الطفل لقدرات وقوى والديه مما يجعله شاعرا بكفايته .

من المقارنة السابقة نجد ان طفل السادسة أو السابعة مجبر على تقييم ذاته على اساس مهاراته وصفاته بدلا من أن يكون أساس التقييم صفات والديه والتى يأخذ بها نيابة عنهم ، والواقع أن عملية انماء هذه المهارات الخاصة لا تحفزها المدرسة بمفردها ،

بل يضاف الى ذلك مجموعة الاقران ، فالطفل الذى كان يشعر بقبول والديه ، لا لكونه يستطيع عمل شئ ، وانما لكونه ابنا لهم ، ولانهم يحبونه ، يجد أن قبوله فى مجموعة الاقران من جهة أخرى يعتمد أساسا على ما يستطيع تقديمه ، مواهبه ، ومصادر قوته ، ومهاراته ، ولذلك فان القبول هنا يكتسب بالطريقة الصعبة ، فالطفل الذى لا توجد لديه مهارات أو صفات مرغوبة غالبا ما يرفض سريعا وبحدة . وعندما يجد التلاميذ انفسهم مرفوضين كلية ، فأنهم يخبرون أزمة أو اذى او صدمة أصيلة ويتصرفون بعدوانية أو ينسحبون فى لامبالاة أو يستغرقون فى أحلام اليقظة* (Goldenson, 1970).

والواقع أن ردود فعل مجموعة الاقران تساعد الطفل على تقدير ذاته ، وتكون ذات تأثير قوى فى تكوين هذا المفهوم ، كما أن رفض مجموعة الاقران يعتبر خبرة مؤلمة قديكون لها تأثير مستمر وباق عند تقديره لذاته فى خلال مرحلة المراهقة وسنوات النضج .

ان درجة تأثر الاطفال بأقرانهم يعتمد على العديد من العوامل ، بما فى ذلك العمر ، والخلفية ، والجنس . فاطفال المرحلة الابتدائية وما قبلها على سبيل المثال ، يميلون لعدم تكوين قيم قوية لمجموعة الاقران ** (Shinn, 1972) ، ومع ذلك فباقتراب الطفل فى منتصف المراهقة ، ينمو او يزداد كثيرا تأثير مجموعة الاقران .

وكما نتوقع ، فان مكانة مجموعة الاقران ترتبط بالطبقة الاجتماعية ، اذ أن الطبقة الاجتماعية للطفل تلعب دورا هاما فى تحديد مكانة الطفل فى مجموعة اقرانه ، وتؤدى مكانة الاطفال من الطبقات الدنيا الى حصولهم على عدم الشهرة فى جميع مجموعات الاقران والى قلة عدد اصدقائهم ، وارتدائهم ملابس غير مهندمة وجعلهم عدوانيين

---

* Goldenson, R.M. The Encyclopedia of Human Behavior Garden City, N.Y.: Doubleday and Company, 1970.

** Shinn, R. Culture and School : Socio-Cultural Significances San Francesco: Intext Educational Publishers, 1972.

ولا يحبون المدرسة وسيئ السلوك وغير سعداء .

وقد يرجع السبب فى ذلك الى عوامل مادية ، اذ ان الفقر يعنى سوء الصحة والملابس غير الجيدة ، وقلة المشاركة فى الانشطة الاجتماعية ، والواقع أن اى من هذه العوامل قد تقلل من فرص الطفل فى تكوين علاقات ثابته مع مجموعة الاقران ومن ثم قد تعوقه فى تعلم الوسائل الاجتماعية الفعالة ، ويضاف لذلك أن معرفة الاطفال من هذه الطبقة بنقصهم فى معارفهم الاجتماعية قد يؤدى الى شعورهم بالنقص وعدم كفايتهم ومن ثم يؤدى لانسحابهم من مواقف التفاعل الاجتماعى .

والحقيقة أن السلوك المرتبط بالطبقة الاجتماعية والشهرة فى مجموعة الاقران يختلف من طبقة الى اخرى ، لان المثل العليا للاطفال تختلف من طبقة الى أخرى ، فلقد وجد مثلا أن اطفال الطبقة الاجتماعية الدنيا يحترمون فى الاطفال صفات الرجولة ، وأهمها من وجهة نظرهم العدوانية فى حين ان الصفات الشخصية التى تؤدى لعدم القبول هى الجبن وهم يعتبرون ان التوافق مع اوامر المدرس والحصول على درجات جيدة دالا على هذه الصفة ، ولذلك يجد الطفل من الطبقات الدنيا نفسه معرضا للهجر من أقرانه عندما يجد فى المدرسة ،ومن ثم مواجهة الصراعات عندما يقوم بعمله المدرسى ، ولا ينطبق هذا على فتيات الطبقة الدنيا .

أما اطفال الطبقة المتوسطة فهم يفضلون ويحبون فى زملائهم المهارة فى المنافسات الرياضية بشرط ألا يكونوا عدوانيين بشكل صريح أو محبون للسيطرة بدرجة كبيرة ، كما انهم يعجبون بالطفل الذى يغلب عليه روح الصداقة والتوافق وكذلك الاطفال الممتازين دراسيا ، ولكنهم يرفضون الطفل المتخنث والخائف .

وفى دراسة مرتبطة بما سبق ، سأل تاننيوم *(Tannenbaum, 1959) أكثر من ٦٠٠ طالب أن يرتبوا القبول الاجتماعى لثمانية زملاء افتراضين فى الفصل الدراسى ،فجاءت ترتيبات القبول كما يلى :

الاول : متقد الذكاء - غير مولع بالدراسة ، رياضي

الثانى : متوسط الذكاء - غير مولع بالدراسة ، رياضى

الثالث : متوسط الذكاء - مولع بالدراسة ، رياضى

الرابع : متقد الذكاء - مولع بالدراسة ، رياضى

الخامس : متقد الذكاء - غير مولع بالدراسة ، غير رياضى

السادس : متوسط الذكاء - غير مولع بالدراسة ، غير رياضى

السابع : متوسط الذكاء - مولع بالدراسة ، غير رياضى

الثامن : متقد الذكاء - غير رياضى ، مولع بالدراسة

وتعتمد عملية التطبيع الاجتماعى لمجموعة الاقران على مكانة الطفل فى جماعته ،وهذه تعتمد بدورها ولدرجة كبيرة على شخصية الطفل وطبيعته الاجتماعية ، فالاطفال الذين يتمتعون بمكانة جيدة فى المجموعة لا يميلون لقبول أوامر الاخرين واقتراحاتهم ، وان كانوا قابلين للايحاء والتأثر بسلوك زملائهم بدرجة أعلى من المعتاد ، اذ نظرا لانهم آمنين فى جماعتهم فان لهم حرية فى اختيار السلوك الذى يرغبونه من الغير ، وان كان لهم أيضا القدرة على مقاومة المحاولات المباشرة للتأثير عليهم ، ونظرا لان اقرانهم يعلمون مكانتهم الممتازة فى المجموعة فانهم كثيرا ما يحاولون التأثير على سلوكهم بطرق غير مباشرة ويتجنبون الطرق المباشرة .

---

* Tannenboam, A.J. A study of verbal sterotypes associated with brilliant and average students Unpublished Doctoral Dissertation. Teachers College, Columbia University, 1959.

ومن بين جميع الاقران ، يحتمل ان يكون اصدقاء الطفل المقربين هم أهم " مدرسية" وذلك لتأثيرهم الكبير والمباشر على نموه وسلوكه ، ومن ثم يصبح فى غاية الاهمية أن نفهم كيف يختارهم الطفل .

لقد اثبتت الدراسات أن الاطفال فى هذه المرحلة يختارون اصدقاءهم من نفس جنسهم ، ومعظمهم يقطنون فى نفس الحى ، أو يكونون من نفس الفصل الدراسى ، ويبدو كذلك أن الصفات الشخصية تلعب دورا هاما وذو دلالة فى تكوين الصدقات ، فلقد وجد أن الاصدقاء يتشابهون فى درجة نضجهم الاجتماعى ، ويتقاربون ايضا فى أعمارهم الزمنية واطوالهم واوزانهم وذكائهم ، وان كان التماثل فى الصفات غير العقلية أهم فى تكوين الصدقات من التشابه فى الذكاء .

وقد تكون الصدقات متبادلة بين الطرفين وقد تكون من طرف واحد ، ولقد وجد بوجه عام أن الصدقات غير المتبادلة تكون ذات علاقة طفيفة بالتحصيل الدراسى ، فى حين انه فى الصدقات المتبادلة يكون الاطفال من نفس المستوى الاجتماعى والاقتصادى ويكون لهم نفس المستوى العام للذكاء .

ويعتبر الميل لتبنى قيم واتجاهات الاخرين متغيرا من المتغيرات الخاصة الشخصية والتى تتغير تبعا للعمر وتتوفر بدرجات مختلفة لدى مختلف الاطفال .

وتتضح قوة تأثير مجموعة الاقران من احدى الدراسات حيث عرض على مجموعة من الاطفال خطا أسودا واحدا (معيار) ، ثم ثلاث خطوط سوداء ذات أطوال مختلفة ، ثم طلب منهم أن يعينوا أى من الخطوط الثلاثة مساو فى طوله للمعيار فوجد أنه عندما أجرى الاختبار على كل طفل على حدة فان معظمهم اعطوا احكاما صحيحة ، وبعد فترة من الزمن وضع كل طفل فى وسط مجموعة من ثمانية اطفال فى نفس الموقف الاختبارى ، وكان

هؤلاء الاطفال قد طلب منهم اعطاء اجابات خاطئة بصوت عال ، ولم يكن للطفل علم بذلك واجلس الطفل فى وسط المجموعة بحيث ان خمسة من الاطفال يعطون اجابتهم ثم تطلب منه الاجابة ، فوجد أن جميع الاطفال تحت هذه الظروف قد زاد ميلهم لاعطاء اجابات خاطئة ، ولقد تأثر معظم الاطفال بالاجابات الخاطئة فيما بين السابعة العاشرة من اعمارهم بدرجة تفوق كبار الاطفال (١٠ - ١٣عاما) (١) (Fox. Luszki,Sehmuck,1966)

وفى دراسة أخرى على مجموعة من الاطفال أعطى المدرس الاجابات الخاطئة قبل أن يستجيب الاطفال ، فوجد ان تأثر الاطفال باجابته اقل من تأثرهم بمجموعة الاقران فى التجربة الاولى ، ومع ذلك فان تأثر صغار الاطفال كان اكثر من كبارهم . ونستنتج من ذلك ان الطفل اكثر قابلية للتأثر بمجموعة اقرانة بالمقارنة بتأثره بناضج هام بالنسبة له ، وان كانت زيادة العمر تقلل من قابلية ايحاء كل من المدرس ومجموعة الاقران .

(جـ) **المنهج** :

يجب أن تحدد اهداف المنهج ، وكيفية وتوقيت تقديمه ، واسلوب معالجة صعوبات التعلم الاساسية ، كما يجب ان يساعد المنهج أساسا على النمو الاجتماعى للتلاميذ .

وتختلف المناهج بعضها عن البعض الاخر ، فبعضها يكون مركبا ومتمركزا حول المحتوى حيث تكون الاولوية للواجبات المنزلية ، والحفظ عن ظهر قلب ، وبالتالى الدرجات المرتفعة ، وواجب المدرس فى هذه الحالة هو التدريس ، والتكرار وواجب التلميذ هو التعلم والحفظ ، أما الظروف الاجتماعية التى تبنى عليها هذه الطريقة كما يراها ماى وجارسيا (May and Gracia, 1975) فهى على النحو التالى :

---

(1) Fox, R., M.B. Luszhi, and R. Schmuch. Diagnosing Classroom Learning environments. Chicago: Science Research associates, 1966.

١ - بيئة السيطرة والخضوع تكون العلاقة فيما بين المدرسين والطلبة .

٢ - اعتماد كبير على السلطة للقيام بالوظائف التربوية .

٣ - عدم تشجيع الاتصال .

٤ - تجاهل الاقران .

٥ - يرفع الاطفال اصابعهم او ايديهم ليتم التعرف عليهم .

٦ - لا تتوفر حرية للمتعلمين فى اختيار ما يرغبون فى تعلمه .

٧ - التزام قوى باتباع القوانين .

٨ - حد أدنى من المشاركة والتفاعل المتبادل .

٩ - يعتمد النجاح على السلبية .

١٠- يخلق لدى الطفل او المتعلم الشعور بالاذعان وربما الخوف .

وقد يكون المنهج مفتوحا أو متمركزا حول التلميذ ، ويكون المدرس فى هذه الحالة مرشدا أو موجها ، فى جو دافئ يتميز بالتشجيع والحيادية واستثارة الانغماس النشط من جانب الطالب فى العملية التعليمية ، وما يتم تعلمه .

الفصـــل الرابـــع *

الرعاية البيئية المتكاملة وعلاقتها بالانتاجيـــة :

دراسة حالة فى صناعة السجـاد

---

* قام باعداد هذا البحث ، كباحث رئيسى ، الدكتورة وفاء احمد عبد الله المستشارة بمركز التخطيط الاجتماعى والثقافى .

مقدمة ، حول موضوع الدراسة وأهميته :

يعتمد حجم الانتاج ونوعيته على توفير الموارد الاساسية اللازمة للعملية الانتاجية والتى ترتكز على تخصيص الموارد المادية وغير المادية اللازمة لهذه العملية كمحاور أساسية للانتاج .

وتمثل القوى البشرية أحد المحاور الاساسية للجوانب غير المادية فى هذه العملية والتى يقع على عاتقها الجزء الاكبر من مسئولياتها وادارتها ، بدءا من مرحلة التفكير فيها الى مراحل الاعداد والتخطيط ورسم السياسات التنفيذية والمشاركة فى تنفيذ هذه السياسات ثم المتابعة والتقييم .

وهذا الارتباط المتعدد بالقوى البشرية بالنسبة لمراحل العملية الانتاجية يشير الى الدور الاساسى الهام لها بالنسبة للتأثير على كفاءة العملية الانتاجية وتحديد منتجها كما ونوعا .

ويوجد كثير من الدراسات التى تناولت جوانب دفع العملية الانتاجية ، ركز الكثير منها على الجوانب المادية لهذه العملية والعمليات المتعلقة بها بدءا من مجال الاستخراج للمواد الخام اللازمة لهذه العملية وأساليبها والعمليات التحويلية لها ثم متابعة ما ينتج منها فى شكل سلع وخدمات .

كما أن كثيرا من الدراسات تناولت القوى البشرية جوانب غير مادية من منظور علاقتها بالعملية الانتاجية من حيث حجم ونوعية وكفاءة هذه القوى واستخدامها لتنظيم عائد الانتاج وذلك من خلال التعليم والتدريب .

ولكن فى ظل المشكلات البيئية المعاصرة كالمؤثرة على القوى البشرية والتى اصبحت

تفرض نفسها داخل بيئة الانتاج ، وامتداد هذه المشكلات الى التأثير على نوعية الحيـــاة التى تحياها أغلب هذه القوى البشرية ، دخل عامل جديد يرتبط بقدرة تلك القوى علـــى الانتاجية ، وهو عامل الرعاية البيئية المتكاملة لها داخل مواقع الانتاج وخارجها ممتـــدة لتشمل رعاية الحياة التى تحياها والعمل على تذليل مشاكلها وتحسين نوعية بيئتها . وبذلك اصبح عامل الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية المشاركة فى تنفيذ العملية الانتاجية جزءا لا يتجزأ ولا ينفصل عن باقى العوامل المتعلقة بالانتاجية - بل يتكامل معها .

واذا كان موضوع تحسين " نوعية الحياة " Quality of Life للبشـــر اصبح اتجاها جديدا منذ السبعينات بالنسبة للسياسات المعاصرة التى تبنتها كثير مـــن الدول الصناعية كسياسات بديلة لبناء المدن الجديدة(١) وذلك من اجل رفع كفـــاءة البشر وتحويلهم الى قوى بشرية يمكن ان تساهم فى الانتاج وذلك بتحسين نوعية الحيـــاة فى اغلب الاحياء المتدنية بيئيا والتى انتشرت فى المدن الصناعية الكبرى ، حيث يسكـــن تلك الاحياء الغالبية العظمى من العمالة المهاجرة الى المدن من اجل العمل فى مجال الصناعة ، فان ذلك بالضرورة يشير - فى ضوء هذا التحول - الى اهمية الحفاظ علـــى القوى البشرية العاملة فى مجال الانتاج من قبل القائمين على العملية الانتاجية انفسهـــم وذلك بالعمل على حمياتها ورعايتها بيئيا ، وتوسيع دائرة هذه الرعاية حتى تغطى أيضـــا مواقع الحياة التى تعيش فيها هذه القوى .

وفى اطار ذلك ، فان موضوع الرعاية البيئية المتكاملة يعتبر من الموضوعات المعاصرة الجديرة بالدراسة والبحث من منظور علاقتها بالانتاجية فى ظل الاوضاع البيئية المعاصـــرة

---

(١) مؤتمر الامم المتحدة لبيئة الانسان - استوكهلم ١٩٧٢
لمزيد من التفاصيل انظر: وفاء احمد عبدالله " نحو مدينة مواطنة محورها عنصـــر المشاركة/ رؤية لنمط جديد من المدن الجديدة فى ج.م.ع من منظور بيئى" ندوة التنمية والمشاركة الشعبية فى المجتمعات العمرانية الجديدة - ١٥ - ١٨ نوفمبـــر ١٩٨٧ .

وما طرأ على هذه البيئة من مشكلات .

ونسعى فى هذه الورقة الى تقديم محاولة لدراسة موضوع الرعاية البيئية المتكاملة ، بالتركيز على الانتاجية فى الحضر فى مجال الصناعة بالنسبة لتباين قدرة الافراد على الانتاج من منظور العلاقة بين البيئة والانتاجية ، من منطلقات اساسية وهى :

أ) أن رعاية الجوانب البيئية المتعلقة بزيادة قدرة الافراد على الانتاج داخل مواقع العمل فى مجال الصناعة فى المناطق الحضرية لا يجب ان تنفصل عن رعاية البيئة التى يعيش فيها هؤلاء الافراد خارج مواقع العمل ، حيث انها تتكامل معها

ب) كما أن قدرة الافراد على زيادة الانتاج تتعلق بنوعية البيئة التى يعيش فيها هؤلاء الافراد والتى تمتد لتشمل الحيز الذى يتحركون فى نطاقه ، الى جانب الموقع الذى يعملون به وما يحتويه هذا الحيز من خدمات ونظم اجتماعية وثقافية وطبيعية ، حيث يعبر الكل فى مجموعه عن نوعية الحياة أو البيئة الحضرية التى يعيش فيها هؤلاء الافراد .

وبذلك فان الرعاية البيئية المتكاملة لجملة العوامل المتعلقة ببيئة العمل داخل المصنع وبين الافراد خارج المصنع تعمل على رفع قدرة الافراد تجاه الانتاجية .

ومن المعلوم أن بعض الصناعات الحكومية والاهلية اتى تبنت فكرة الرعاية البيئية المتكاملة للافراد قديما بهدف زيادة الانتاج قد نجحت من خلال هذا الاسلوب فى تعظيم عائد الانتاج مثل : صناعات الغزل والنسيج فى كفر الدوار والمحلة الكبرى ، وهى تجارب حكومية سابقة .

ونقدم فى هذه المحاولة تجربة " النساجون الشرقيون " كنموذج للصناعة بالقطاع الخاص (الاهلى) فى مدينة العاشر من رمضان حيث بدأت تحذوا حذوها بعض

الصناعات الاخرى فى المدينة ، ايمانا بأهمية هذا الاسلوب من الرعاية فى ظل المشكلات البيئية المعاصرة التى تعيشها القوى البشرية ، وأغلبها تجارب اهلية .

وفى نفس الوقت ، وعلى الجانب الاخر ، فان معظم الصناعات الحكومية لا تركز على هذا الجانب من تكامل هذه الرعاية البيئية لعمالها فى الوقت المعاصر المثقل بالمشكلات البيئية المتعددة ـ الامر الذى يؤثر على قدرة الافراد على الانتاج .والامثلة كثيرة بالنسبة لهذه العمالة فى المناطق الصناعية مثل حلوان وشبرا الخيمة فى القاهرة الكبرى .

ويتم فى هذه الورقة تقديم دراسة اولية عن موضوع الرعاية البيئية المتكاملة وذلك من الجانب النظرى ، مع محاولة لاستطلاع ميدانى لدراسة بعض أساليب التطبيق لتجربة النساجون الشرقيون لصناعة السجاد .

وتشتمل الورقة على محاور ثلاثة :

- نناقش فى الاول منها الرعاية البيئية المتكاملة من حيث المفهوم ، والهدف ، والاسلوب من جانب ، ثم الاشارة الى بعض مشكلات البيئة بمنطقة القاهرة الكبرى من جانب آخر .
- اما المحور الثانى فنتعرض فيه للرعاية البيئية المتكاملة بمدينة العاشر من رمضان مجسدين ذلك فى تجربة " النساجون الشرقيون " الممثلة لصناعة السجاد . وذلك من حيث دوافع انشاء هذه الصناعة ، واقسام المصنع الرئيسية ، فضلا عن اوجه الرعاية البيئية المتكاملة للعمالة وأساليبها داخل المصنع وخارجه .
- بينما يخصص المحور الثالث لتحليل نتائج الاستطلاع الميدانى الذى اجرى بشأن التعرف على اوجه الرعاية البيئية المتكاملة وصلتها بالانتاجية .

المحـــور الاول

الرعاية البيئية المتكاملـــة

أولا : المفاهيم ، والأهداف ، والأساليب :

١) المفهـــوم :

ترتبط قدرة الافراد على الانتاج ارتباطا اساسيا بما يتمتع به هؤلاء الافراد مـــــن الصحة التى تجعلهم يستطيعون الوفاء بادوارهم بكفاءة فى العملية الانتاجية ، وبالتالى فان ما يؤثر على صحة الفرد وسلامته يؤثر بالتالى على انتاجيته .

وحيث أن هناك علاقة وثيقة بين صحة الافراد وانتاجيتهم ، فان ذلك يدعو الـــــى مناقشة تفصيلية لمفهوم الصحة المعاصر ، خاصة ونحن بصدد محاولة وضع مفاهيم وأهـــداف الرعاية البيئية المتكاملة وعلاقتها بالانتاجية .

فالصحة ـ كما أجمع عليها الباحثون في مجال الصحة والبيئة(١)عرفت بأنها ليســـت غياب المرض ، ولكنها هى خلو الانسان من الاسباب التى تعوق الاداء الطبيعى لوظائفـــه الجسدية والعقلية والفكرية وعلاقاته مع المجتمع والبيئة من حوله .

ويعنى ذلك أن غياب الامراض بعلاماتها المميزة والمعروفة بالنسبة للامراض لا تعبـــر عن أن الانسان صحيح الجسد سليم النفس .

فقد وضح التعريف أن الصحة هى عملية شاملة ترتبط بجملة عوامل جسدية ونفسيـــة

---

(1) Williamson G. Scott. The City Health and Pathology Design with Nature, IAN. Mcharg Library of Congress, Paper Back Edition Page 187.

ترتبط فى نفس الوقت بسلامة البيئة وبالمجتمع ، وبذلك ألقى التعريف عبئا ومسئولية كبيرة على البيئة التى يعيش فيها الانسان ـ الامر الذى يشير الى اكتمال صحة الانسان لا تتم بمعزل عن سلامة البيئة الفيزيقية والطبيعية والاجتماعية .

وبذلك فقد أثر التدهور البيولوجى والفيزيقى والاجتماعى لبيئة الانسان المتحضر المعاصر على صحته بيولوجيا ونفسيا ، وهو ما تم الاشارة اليه بشئ من التفصيل فى الفصل السابق بالنسبة للبيئة الحضرية كالمعاصرة بشكل عام ، ومنطقة القاهرة الكبرى الصناعية بشكل خاص .

واذا كانت ردود فعل التدهور البيئى المعاصر على صحة الانسان مازالت اغلبها غير واضحة او محددة العلاقات والسمات بالنسبة لتأثيرها على القوى البشرية العاملة فى مجال الانتاج الصناعى(١) بالمعايير المتداولة بالنسبة لمفهوم الصحة ، الا أنها من الجانب العلمى للمفهوم العريض لهذا المفهوم ـ والذى سبق الاشارة اليه ـ تتدهور بمرور الوقت فى ظل تدهور البيئة الذى ينال من قدرة الافراد وكفاءتهم بالنسبة للعملية الانتاجية من حيث ان استمرارية القدرة الانتاجية هى محصلة عوامل تتعلق بالبيئة وتساهم فى التأثير على الاداء الطبيعى لوظائف الفرد الجسدية والنفسية العقلية والفكرية ، وعلى سلامة علاقاته مع افراد مجتمع بيئة العمل والانتاج والبيئة التى يعيش فى نطاقها ويتعايش مع أفرادها وتلك عوامل تأثرت كثيرا فى الوقت المعاصر بالتدهور البيولوجى والفيزيقى والاجتماعى لبيئة الانسان فى المناطق الحضرية الصناعية كما سبق الاشارة الى ذلك .

---

(١) من الصعوبة بمكان تحديد الامراض الناتجة من تلوث بعينه ، نظرا لتشابك أنواع الملوثات وتحولها الى مركبات اخرى ، فلا يمكن ان تعزى مرضا معينا لتلوث بعينه الا فى حالات حدوث كوارث جماعية ، ولكن الملوثات موجودة ومتعددة ، والامراض موجودة وتتزايد وتتنوع بزيادة وتنوع الملوثات .

وفى اطار ذلك ، فان تنمية العملية الانتاجية وضمان جودتها لا تستمر قدما الا فى ظل ظروف تهيئ الرعاية البيئية للافراد القائمين عليها ليس داخل بيئة العمل والانتاج فقط ، ولكنها تمتد حتى البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها هؤلاء الافراد باعتبارهما يمثلان معا وحدة بيئية متكاملة ، خاصة ببيئة الفرد العامل من منظور علاقتها بقدرته على الانتاج .

بمعنى أن الرعاية لهذه الوحدة البيئية فى جملتها توفر الدعائم الاساسية التى تحقق الصحة الجسدية والعقلية والفكرية لهؤلاء الافراد وتجعلهم قادرين على الاستمرار فى العمل بكفاءة على تدعيم ورفع عائد العملية الانتاجية .

وكخلاصة ، يمكن القول بأن ارتباط العملية الانتاجية كما وجودة بصحة الافراد القائمين عليها تعتبر بمثابة ارتباط وثيق بالرعاية البيئية المتكاملة كركيزة ووسيلة لتدعيم صحة حقيقية لهؤلاء الافراد بالمعنى والمفهوم الشامل المعاصر للصحة .

ومن هذا المنطلق فانه يمكن تعريف الرعاية البيئية المتكاملة بأنها تلك الرعاية التى تنمى صحة الانسان العامل ، فتعمل على توفير المناخ الذى يدعم الاداء الطبيعى لوظائفه جسديا وعقليا وفكريا ، وتعمل على سلامة وحسن علاقاته مع افراد المجتمع من حوله فى بيئة العمل وفى البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها وتزيد قدرته وترفع كفاءته على الانتاج .

٢) الهدف :

وبالتالى ، فان الرعاية البيئية المتكاملة تستهدف زيادة انتاج الافراد كما ونوعا من خلال حصول الافراد القائمين على العملية الانتاجية على اسباب الصحة بجوانبها الجسدية والنفسية والاجتماعية باعتبار ان سلامة هذه الجوانب مجتمعة تعبر عن سلامة صحة هؤلاء الافراد بقدر يجعلهم قادرين على الانتاج والابداع فى العملية الانتاجية .

٣) الاسلوب :

تعتبر الرعاية البيئية المتكاملة احد الاساليب المتطورة التى تضيف أبعادا جديدة لاهتمامات الرعاية الاجتماعية فى مجال الصناعة ، وهى اهتمامات ارتبط تاريخها * بالحركات الاشتراكية والثورات الصناعية التى سادت طوال القرن التاسع عشر فى الدول الاوربية ، ومنذ ذلك التاريخ توالت المؤتمرات والتوصيات والتشريعات فى الدول المختلفة بشأن الرعاية الاجتماعية فى مجال الصناعة .

وتقدم الرعاية البيئية المتكاملة نموذجا مطورا للرعاية الاجتماعية من منظور ارتباطها بمشكلات البيئة المعاصرة داخل مواقع الانتاج وخارجها بعد أن فرضت تلك المشكلات نفسها حاليا على نظم البيئة الطبيعية والصناعية وأصبحت مسئولية المنظومة الاجتماعية التصدى للحفاظ على الحياة الانسانية التى منها القوى البشرية العاملة فى مجال الانتاج خاصة وأن الصناعة لها اليد الطولى فى احداث المشكلات البيئية على اختلاف انواعها وتأثيراتها .

(*) بانشاء هيئة العمل الدولية I.L.O. عام ١٩١٩ ، تم اصدار ٩٨ اتفاقية ، و٨٧ توصية فى الفترة من ١٩١٩ حتى ١٩٤٩ تنصب جميعها على حماية العامل والعمل نفسه ، وقد ساهم المجلس الاقتصادى والاجتماعى واتحاد النقابات العمالية بعد الحرب العالمية الثانية فى اصدار التوصيات التى تقضى بضرورة ضمان مستوى معيشى ملائم لجميع العمال ولمن يعولونهم مع العمل على انشاء برامج تغطى الاخطار التى تتعرض لها الطبقة العاملة ، كما أصدرت بعض الدول الصناعية التشريعات المختلفة لتنظيم الخدمة الاجتماعية فى المصانع منها التشريع الفرنسى الصادر فى ٩ نوفمبر ١٩٤٦ والذى ينص على ضرورة تعيين اخصائى اجتماعى يقوم بالاشراف على الخدمات الاجتماعية فى المصنع .
المصدر : محمد ماهر عليش " العلاقات الانسانية فى الصناعة " مكتبة عين شمس القاهرة .

وفى اطار ارتباط الرعاية البيئية المتكاملة ببيئة العمل داخل مواقع الانتاج وامتدادها الى مواقع معيشة الافراد القائمين على العملية الانتاجية فانها تغطى مجموعة من العناصر داخل بيئة العمل والانتاج ، ومجموعة أخرى من العناصر خارج بيئة العمل ، وذلك من حيث علاقتها بصحة الافراد الجسدية والنفسية وذلك على النحو التالى :

(أ) عناصر داخل بيئة العمل	(ب) عناصر خارج بيئة العمل
اولا : عناصر اغلبها يتعلق بالصحة الجسدية للعامل	**أولا : عناصر أغلبها يتعلق بالصحة الجسدية للعامل**
١) موقع المنشأة الانتاجية	١) المسكن الصحى الملائم
٢) التكنولوجيا المستخدمة	٢) الموقع
٣) الاحتياطات البيئية	٣) الصرف الصحى
٤) الامن الصناعى	٤) مياه الشرب النقيه
٥) الرعاية الصحية للعمالة	٥) نوعية الغذاء
٦) التغذية	٦) المواصلات
ثانيا : عناصر تتعلق بالصحة النفسية أو رفع الروح المعنوية :	**ثانيا : عناصر تتعلق بالصحة النفسية**
١) التدريب	١) الرعاية الاجتماعية
٢) الحوافز والاجور	٢) الامن
٣) الرعاية الاجتماعية والثقافية	٣) الترويح والبيئة الطبيعية
٤) المشاركة فى الانتاج	٤) الخدمات التعليمية
٥) أسلوب الادارة والعلاقات الانسانية	٥) الخدمات الثقافية
٦) الاجازات والراحة	٦) خدمات المرأة والطفل
٧) الترويح	٧) خدمات الغذاء

صحة جسدية ونفسية

↓

زيادة وكفاءة فى الانتاج

ويمكن تفصيل العناصر الواردة بالجدول فيما يلى :

أ) العناصر المتعلقة بالرعاية فى بيئة العمل داخل مواقع الانتاج :

تتكامل مجموعة العناصر الموضحة فى الرسم التخطيطى السابق فيما بينها من منظور تأثيرها على الصحة الجسدية والنفسية للعمالة داخل موقع الانتاج بما يؤثر على قدرة الافراد على الانتاج .

فبالنسبة للصحة الجسدية ، نجد أنه كبداية ، فان المصنع نفسه من العوامل التى قد تؤثر على صحة الفرد العامل ، وذلك من حيث قرب الموقع من صناعات اخرى ملوثة للبيئة من من عدمه ، كذلك نوعية الاماكن المحيطة بالمصنع ذاته ودرجة النظافة وخلوها من مخلفات الصناعة السائلة او الصلبة ، ودرجة الجمال والخضرة والمساحات المفتوحة المحيطة بالمصنع .

أما داخل المصنع نفسه فيأتى دور التكنولوجيا المستخدمة فى الصناعة والاحتياطات البيئية المستخدمة لمواجهة تأثير هذه التكنولوجيا على البيئة داخل المصنع وتأثيرها على صحة العامل سواء بالنسبة لعملية تداول المواد الخام داخل المصنع أو بالنسبة لما ينطلق اثناء التصنيع من العمليات التحويلية لهذه المواد من مواد أو سوائل او غازات أو غبار داخل المصنع او خارجه ، وكلها من الامور التى توضع لها الوسائل والاساليب التى تمنع وصول الضرر الى العمالة القائمة على العملية الانتاجية تحت مجموعة الاحتياطات البيئية والامن الصناعى .

والرعاية الاجتماعية العامة داخل المصنع من الامور الهامة بالنسبة للعمالة القائمة على العملية الانتاجية وذلك بالملاحظة المستمرة للعمال واجراء الفحوص والاختبارات والتحاليل الدورية للتأكيد من سلامة العمالة حفاظا على كفائتها فى العملية الانتاجية ، وذلك بالاضافة الى ملاحظة تطبيق متطلبات المحافظة على الصحة العامة من وجود التهوية الجيدة والنظافة والهدوء النسبى وحماية العمالة من تأثير الضجيج والعمل على تجنبه

أو تقليل مدة تعرض العامل له وذلك بالاضافة الى ضمان وجود الاضاءة الكافية والملائمة للعمل .

وتتطلب الرعاية الصحية أيضا ضرورة وجود دورات نظيفة للمياه وغرف للاستحمام واماكن لشرب المياه النظيفة ، الى جانب وجود غرف مخصصة لتغيير ملابس العمال عند بدء العمل والانتهاء منه .

وبالنسبة لعناصر التغذية ، فان هناك ضرورة لوجود انظمة داخل مواقع الانتاج تعمل على توفير الوجبات الساخنة والوجبات الجافة مع تقديم المشروبات ويتوقف ذلك على حجم الصناعة بالنسبة للوسائل المستخدمة فى هذا الصدد سواء اذا كانت مطاعم أو كانتينات أو حجرات خاصة توفر للعامل متطلباته من الغذاء ، وتختلف كل منشأة صناعية عن الاخرى فى تطبيق هذه الاساليب طبقا لحجم ونوعية وطبيعة الصناعات الموجودة داخل المنشأة وحجم العمالة القائمة بها .

وبهذا فالعناية بشئون العامل بالنسبة لصحته الجسدية والرقابة على البيئة داخل المصنع تنحصر أهدافها الرئيسية فى منع الحوادث والامراض وكل ما من شأنه أن يؤثر على صحة العامل أكثر من مجرد معالجتها للاثار السيئة باعتبار ان سلامة القوى البشرية العاملة هى فى الواقع الضمان الحقيقى لدفع عملية الانتاج .

ولا يتم ذلك بمعزل عن الرعاية والعناية ايضا بكل ما يؤثر على الصحة النفسية لهذه القوى العاملة ، وهى شق اساسى يرتكز عليه الهيكل العام للصحة كما سبق توضيح ذلك.

فالصحة النفسية بالنسبة للعامل داخل مكان الانتاج تعتمد سلامتها على جملة عناصر مجتمعة مثل الاجازات والترويح والرعاية الاجتماعية والتأمينات للافراد والحوافز والاجور، وتلك عناصر تتبناها كل الصناعات من منطلق ما تسنه الدولة من قوانين وتشريعات فى هذا الصدد .

الا أن هناك أساليب اخرى تتعلق بشكل مباشر بالصحة النفسية للقوى البشرية العاملة وتختلف المنشآت الصناعية فى اساليب ادائها وهى أساليب الادارة والعلاقات الانسانية داخل مكان الانتاج ، وكذلك أساليب الثقافة والتعليم والتدريب وأساليب المشاركة فى الانتاج الى جانب الاساليب التى تؤكد المحافظة على حقوق العامل من فترات الراحة والاجازات وتنوع أساليب الترويح ، ولكنها أمور تؤدى محصلتها الى رفع الروح المعنوية للعامل .

والروح المعنوية(١) اصطلاح تم استخدامه فى مجال الصناعة أسوة باستخدامه فى الحروب وفى مجالات انتاجية متعددة لدى الشعوب المتحضرة ، وهى صفة جماعية كما هى صفة فردية ، اذ أنها تمثل مجموعة العلاقات الانسانية والاتجاهات الجماعية للافراد نحو عملهم ونحو المستويات الادارية التى يعملون معها وكذلك نحو جو العمل وظروفه .

وتتحدد الروح المعنوية بوجود الشعور بالانتماء الى الجماعة مع وجود هدف معين يتكاتف الافراد نحو تحقيقه مع التقدم الملموس نحو الوصول لهذا الهدف من خلال التوزيع الجيد الايجابى لادوار الافراد .

والعناصر المكونة للروح المعنوية متعددة ، منها عنصر الاجر ومدى رضاء الفرد عن عمله ، ومركز الفرد فى المجموعة العاملة والاشراف والتدريب وظروف العمل ومدى تقبل الاقتراحات بالنسبة للافراد .

وقد تبين ان العلاقة ليست وثيقة بين الاجر والروح المعنوية من حيث أن الاجر المرتفع لا يخلق الروح المعنوية العالية ، بينما تبين وجود علاقة وثيقة بين الرضا والروح المعنوية ، من حيث أن الرضا يرتبط بالتوافق الشخصى للعامل مع اقرانه وزملائه وطبيعة العمل ونوع الاشراف عليه والمركز الاجتماعى لعمله .

---

(١) محمد ماهر عليش ، " العلاقات الانسانية فى الصناعة " ، مرجع سابق .

ومركز الفرد فى المجموعة يعتبر عنصرا هاما من عناصر الروح المعنوية فى العمل من حيث ان المنشأة الصناعية لم تعد مجرد مكان لانجاز عمليات صناعية فحسب بل اصبحت نظاما اجتماعيا متماسكا .

والاشراف الجيد يعمق الروح المعنوية للعامل ، والذى يشعره أنه فرد فى تجربة اجتماعية مرغوبة ، بالاضافة الى كون هذا العمل مصدرا لرزقه ، وذلك من خلال ما يقدمه هذا الاشراف للعامل من كيفية الاداء لعمل وحسن اسلوب التصويب للاخطاء ووضع العامل فى المكان الصحيح وتطبيق مبدأ الثواب للنماذج المجتهدة واشاعة الوئام بين المرؤسين فى وحدة اجتماعية متسقة ، بالاضافة الى الحرص على كرامة العمل والقائمين عليه .

ويؤدى عنصر التدريب الى رفع الروح المعنوية ، وذلك بزيادة توافق العامل فى عمله وترسيخ جهده لهذا العمل ، بالاضافة الى العمل على الملم العامل بعمله وكيفية ادائه على اساس علمى سليم مما يزيد من درجة التوافق فى العمل ، بالاضافة الى الاثر الواضح على زيادة الكفاية الانتاجية وتزويد العمال بالوان المعرفة والمهارات المطلوبة للتفوق فى العمل .

ويعتبر مبدأ نظم الاقتراحات وتقبلها بمثابة أحد المنبهات للروح المعنوية لدى الافراد من حيث كونه وسيلة للاتصال بين الافراد والادارة ، كما يعمل على تنمية ملكات الابتكار لزيادة الانتاج وتحقيق الرضاء الفكرى والنفسى .

وترتبط الروح المعنوية بعناصر نفسية منها الاخلاص والتضحية المتبادلة والمساهمة فى نشاط المجموعة والتقدم المستمر نحو الهدف والتسامح والحرية وتلك أمور تتولد عندما يشعر الافراد بأنهم اصحاب العمل الذين يقومون بادائه قبل اشتراكهم فى الانتاج أو اى عائد ايجابى للانتاج وذلك من خلال نظام دقيق مرن لنظم الجوافز والاجور والتأمينات الاجتماعية يشعر فيها الافراد بالامان على جهدهم وعطائهم وحاضرهم ومستقبلهم ومستقبل اولادهم من بعدهم.

وكاستخلاص عام ، يمكن القول بأن العامل انسان قبل كل شئ ، ولهذا تتأثر معنويته وانتاجيته ، ليس فقط بقدرته على العمل ، ولكن اساسا برغبته فى العمل ، وأن الظواهر الاجتماعية والنفسية يمكن أن تكون سببا مباشرا فى شكل علاقات العامل ، وبالتالى زيادة انتاجه ، كما انه لنوع الاشراف فى مجتمع المصنع اهمية كبرى فى حفز العامل وفى تنمية روحه المعنوية .

واخيرا فان استثارة العمال واشراكهم فى الوصول الى القرارات المتعلقة بالعمل تجعلهم أكثر حرصا على العمل والانتاج .

ب) العناصر المتعلقة برعاية البيئة خارج مواقع الانتاج :

فى اطار اهمية وجود الرعاية البيئية للافراد داخل مواقع الانتاج وضرورة امتدادها خارج هذه المواقع حتى الاماكن التى يعيش فيها هؤلاء الافراد ، فقد وضح الرسم التخطيطى مجموعة من العناصر التى تشكلها هذه الرعاية خارج مواقع الانتاج من أجل تحقيق رعاية بيئية متكاملة بالمعنى الذى يحقق للافراد جوانب الصحة الجسدية والنفسية وبالقدر الذى يعمل على رفع كفاءتهم على العمل ويزيد من انتاجيتهم .

والعناصر البيئية المطلوب رعايتها خارج بيئة العمل بالنسبة للعمالة عديدة تبدأ من المسكن الذى تعيش فيه هذه العمالة ، وموقعه ، والبيئة المحيطة والخدمات المتعلقة به .

فالمسكن هو المحور الاساسى الذى يتطلب وجود عديد من المواصفات المرتبطة به مثل موقع المسكن وبعده عن اماكن التلوث ، وتوفر الصرف الصحى ومياه الشرب النقيه وتوفر المواصفات الصحية للمسكن مثل التهوية والمساحة المناسبة اللازمة وتوفر الامن والبعد عن الضجيج ، مع وجود الاماكن الخضراء والمساحات والملاعب المفتوحة بالدرجة التى تكفل الصحة الجسدية والنفسية والتنشئة الاجتماعية السليمة للاطفال ، وسلامة العمليات البيولوجية الانسانية .

وتمتد أهمية الرعاية البيئية فتشمل ضرورة وجود الخدمات الاجتماعية المتعلقة بالمسكن ، مثل قرب مواقع المدارس والمستشفيات بالنسبة للاسرة ، وذلك لتسهيل الحصول على الخدمات التعليمية والثقافية وخدمات المراة والطفل والخدمات الترويحية ، بالاضافة الى الخدمات التى تعمل على سهولة توفير الغذاء مثل الاسواق والمخابز ومحلات البقالة حتى يمكن القضاء على ما يتطلبه توفير هذه الخدمات من عناء فى حالة بعد المسكن عنها وضياع وقت كبير فى الحصول عليها مما يسبب مشقة للعامل وضياع وقت راحته فى قضاء هذه الحاجات من اماكن بعيدة مما يبدد طاقته ويقلل جهده وكفاءته على الانتاج .

من اجل ذلك فان توفير الراحة للعامل فى بيئته خارج مواقع العمل يعتبر أحد العوامل التى تساعده على الانتاج .

بالاضافة الى وجوده فى بيئة صحية نظيفه له ولاسرته ولاولاده مما يعمل على اكتسابه قدرا من الصحة النفسية والجسدية .

وفى اطار الرعاية البيئية الكاملة وعلاقتها بالانتاج ، فان توفير الرعاية لكل هذه العناصر يعتبر امتدادا للرعاية البيئية للعمالة داخل مواقع الانتاج كما تم الاشارة الى ذلك .

اضافة الى ضرورة توفير عنصر المواصلات والذى يوفر للعامل أسلوب الانتقال من بيئة المصنع الى البيئة التى يعيش فيها بسهولة ويسر وفى المواعيد المحددة لمشاركته وقيامه بدوره فى عملية الانتاج ليلا أو نهارا .

وكلما كان العامل سعيدا فى حياته ، كلما كان أكثر انتاجا واكثر قدرة على اقامة علاقات طيبة مع رؤسائه وزملائه فى العمل .

ومن هنا فان الرعاية البيئية المتكاملة تشمل أيضا خارج مواقع الانتاج على وجود عنصر الرعاية الاجتماعية والاسرية من قبل المتخصصين من الاخصائيين الاجتماعيين لتقديم المشورة الصحيحة وتقديم ما تتطلبه هذه الرعاية من عون ، والعلاج الاجتماعى بخدماته المادية والاجتماعية ووسائله الفنية التى تعمل على تزويد العامل بما ينقصه من خدمات اجتماعية ونفسية وثقافية وصحية أو لاستعادة كفايته الاجتماعية .

والدور الكبير الذى يقوم به الاخصائيون الاجتماعيون فى دراسة وتحليل وعلاج مشكلات العمال لها أكبر الاثر فى تحسين احوالهم واصلاح شأنهم ، مما يعمل على راحتهم النفسية وشعورهم بالاطمئنان داخل العمل وخارجه فتقوى الصلات بينهم وبين المصنع وتزداد بالتبعية قدرتهم على العمل نظرا لتفرغهم لاعمالهم دون مشاغل فكرية قد تؤثر على نفوسهم تأثيرا سيئا .

مما سبق يتبين أن جملة عناصر الرعاية البيئية للعمالة خارج مواقع الانتاج تعمل أيضا على رعاية صحة الافراد بجوانبها الجسدية والعقلية والفكرية ، الى جانب الرعاية الاجتماعية لعلاقة هذه الافراد بالمجتمع من حولهم ، مما يؤدى الى اكتسابهم الصحة بمعناها العلمى العريض ، واكتساب الصحة بهذا التكامل يؤدى الى توفير جملة الاسباب التى ترتقى بمستوى العامل الجسدى والنفسى وتجعله قادرا على الانتاج والابداع فيه .

وكاستخلاص يمكن القول :

ان الرعاية البيئية المتكاملة ، بالمفاهيم والاهداف والاساليب التى تم طرحها لم تصبح فى ظل المشكلات البيئية المعاصرة دربا من دروب الكماليات او الترف بل أصبحت ضرورة يحتمها الواقع الانسانى فى ظل النظم الصناعية الحديثة ومشكلاتها ، وذلك من منطلق حقيقة هامة وأساسية وهى أنه دائما توجد أفضلية للانسان على الالة ، فهو سيدها ومحركها ، فالالة مهما بلغت من التقدم والاعجاز فهى لا تزال فى حاجة الى الانسان القوى السليم الذى يديرها ويلاحظها ويقومها للعمل على اسعاده وليس على شقائه .

واذا كانت النظم الصناعية الحديثة سببت من المشكلات البيئية ما يمكن أن ينال من القوى البشرية وقدرتها على الانتاج داخل مواقع الانتاج وخارجها ، فان الرعاية البيئية المتكاملة هى أحد اساليب المواجهة التى تجعل الانسان يظل سيدا لديه من القدرة ما يجعله يعمل على اعادة تقويم هذه النظم واخضاعها لخدمة البيئة الانسانية ورفاهيتها .

ثانيا : بعض مشكلات البيئة في منطقة القاهرة الكبرى:

ويمكن التعرف عليها فى ضوء النقاط التالية :

١) تطور حجم الصناعة والعمالة فى مصر :

قامت الحركة الصناعية فى مصر ، وما صاحبها من تحضر ، منذ اواخر القرن التاسع عشر ، فقد مر التصنيع فى ج.م.ع باربعة مراحل ، حيث كانت كل مرحلة تعبر عن نقطة انطلاق لمرحلة صناعية اخرى اكثر تقدما واتساعا .

وتمتد المرحلة الاولى من الحرب العالمية الاولى حتى اوائل عام ١٩٣٠ .

أما الثانية فتمتد من عام ١٩٣٠ حتى الحرب العالمية الثانية ، حيث بلغ فيها مجموع المصانع ٩٢٠٢١ ، كان النصيب الاكبر مركزا فى القاهرة والاسكندرية دون باقى المحافظات .

أما المرحلة الثالثة فقد امتدت منذ الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٥٢ .

تلتها المرحلة الرابعة والتى مثلت قاعدة التحول ودخول عصر التصنيع الثقيل وقد قامت هذه المرحلة مع قيام الثورة حتى الوقت الحاضر(١) .

---

(١) محمد سعيد عبد الفتاح " توجيه الصناعة فى ج.م.ع " مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٥٨ ، ص ٦٠٣-٦٠٤ .

وقد استاثرت مدينة القاهرة حاليا بأكبر نصيب من الحركة الصناعية بحيث يمكن اعتبارها عاصمة الصناعة المصرية .

فبالتركيز على مدينة القاهرة ، والقاهرة الكبرى ، كنموذج حى لتطور حجم الصناعة والعمالة فى ج.م.ع يتبين أن منطقة القاهرة الكبرى بها أكبر تكدس فى أعداد المصانع بمختلف أنواعها . اذ بلغ عدد المصانع بها فى عام ١٩٨٤ (٢٥٦٠) مصنعا ، تليها مدينة الاسكندرية (٧٢٨) مصنعا ، ثم محافظة الغربية (٢٤١) مصنعا .

وتتركز مراكز الصناعة فى القاهرة الكبرى فى ثلاث مناطق رئيسية وهى : حلوان ، وشبرا الخيمة ، والاميرية .

وقد واكب التطور فى زيادة أعداد المصانع زيادة فى حجم العمالة المستخدمة حيث اشارت الاحصاءات اى وجود زيادة سنوية فى حجم العمالة المستخدمة فى الصناعة بالنسبة للجمهورية .

٢) حول بعض الاثار البيئية السلبية للصناعة بالنسبة لصحة العمالة فى القاهرة الكبرى كنموذج لتدهور البيئة :

لا جدال فى أنه ترتب على قيام الصناعات المختلفة عديد من الاضرار خارج المصانع بالنسبة لصحة الانسان الجسدية والنفسية ـ الامر الذى كان يستوجب اقامة تلك الصناعات فى مناطق خاصة لوقاية المواطنين من الاخطار الناجمة عن التلوث بأشكاله المختلفة الناجم عن تلك المصانع .

وقد أدى ظهور مردودات البيئة نتيجة الصناعة وانتشارها الى أهمية اختيار مواقع الصناعة بعيدا عن المواقع المأهولة بالسكان ـ الامر الذى لم يحدث فى القاهرة الكبرى ، حيث أن الزحف العمرانى نتيجة الهجرة وزيادة تعداد القاهرة الكبرى ، أدى الى أن

اصبحت أغلب الصناعات قائمة فى أماكن مأهولة بالسكان مثل مصانع شبرا الخيمة وحلـــــوان والاميرية ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

* مصنع الشركة المصرية لغزل ونسيج الاصواف (وولتكس) ومصنع منتجات الكاوتشـــوك بمنطقة شبرا الخيمة .
* مصانع الحديد والصلب ، والشركة القومية للاسمنت بحلوان .

وقد ترتب على وجود هذه الصناعات فى المناطق المأهولة بالسكان عديد مـــــن الامراض التى من شأنها التأثير على القوة البشرية ومنها القوة العاملة فى تلك المصانـــع وغيرها ، للمعاناة المزدوجة التى يعانونها من التلوث داخل بيئة هذه المصانع وخارجهـا اضافة الى الظروف غير الصحية التى تعيش فيها تلك العمالة نتيجة التكدس والازدحـــام والتلوث وتراكم المخلفات وصعوبة المواصلات وعدم نظافة الغذاء وتكامله والقصور فى الرعايـة الاجتماعية والصحية وعدم توافر المسكن الصحى الملائم لحياة اجتماعية سليمة ، اضافة الـى المعاناة فى تحمل الاعباء المادية والاجتماعية لافراد الاسرة .

٣) <u>حول بعض الاثار البيئية على الصحة بالنسبة لبعض العاملين فى مجال الانتـــاج بمنطقة حلوان</u> :

أدى تكثيف الصناعات فى منطقة حلوان بكداية من عام ١٩٥٤ الى اشتداد موجات الهجرة الداخلية للسكان اليها - الامر الذى ادى الى الزيادة الكبيرة فى عدد السكان . فبعد أن كان تعدادها ٢٧,٧٨٣ نسمة عام ١٩٣٧ ، وصل التعداد الى ٩٤,٣٨٥ نسمة عام ١٩٦٠ ، ثم الى ٢٠١,١٧٨ نسمة عام ١٩٦٦ ، ثم الى ٥٠٠,٠٠٠ نسمة عـــام ١٩٧٣ ، ٧٥٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٥ كما أشارت التوقعات .

ونظرا لان هذه الزيادة المطردة المستمرة لتيار الهجرة الى حلوان لم يتبعهـــا أو يواكبها تخطيط لتوفير الاسكان المناسب أو الخدمات الضرورية ، بل ظل متروكـــــا

للعشوائية المطلقة ، فقد أدى ذلك الى ستحول مدينة حلوان الى مدينة صناعية عماليـــة طلابية مكدسة ملوثة ، وتمثل ذلك فى :

أ) تزايد معدل التزاحم حتى وصل الى ٢,٤ شخصا للغرفة الواحدة عام ١٩٦٠ ثـم الى اكثر من ٥ أشخاص فى عام ١٩٧٢ ، بالاضافة الى انتشار مناطق الاسكـــان الشعبى الحكومى والاهلى فى مناطق متفرقة ، وتعداد انماط المساكن وارتفاعاتهـــا وكثرة المناطق العشوائية ومناطق وضع اليد - الامر الذى افنى معالم مدينة حلوان السياحية وحول هدوءها وسكونها الى ضوضاء مما اهدر جمال تخطيطيها وخضـــرة وعظمة وبساطة مساكنها وحدائقها .

ب) كما أدى عدم تناسب خدمات الصرف الصحى مع الزيادة السكانية الرهيبة الـــــى زيادة تلوث البيئة وانتشار عديد من الامراض فى المناطق الفقيرة ، ساعد على ذلك نقص الخدمات بشكل عام ، ونقص الخدمات الصحية بشكل خاص مما أدى الى زيـادة نسبة الوفيات بين السكان فى المناطق الفقيرة ، وهى التى تسكنها الغالبيـــــة العظمى من العمالة .

جـ) انتشار الامراض بين السكان وعمال المصانع ، أوضحت الدراسات(١) التى أجريـت على منطقة حلوان من الناحية الصحية عام ١٩٨١ انتشار عديد من الامراض نتيجـة التلوث الجوى السائد فى المنطقة من الاتربة المعلقة والغازات مثل أكاسيدالكبريـت وأكاسيد النيتروجين والازوت بالاضافة الى مخلفات الصناعة السائلة والصلبة وما ترتب على ارتفاع معدل الازدحام بالنسبة للسكان من تدهور البيئة الصحية متمثلة فـــى

---

(١) دراسات خاصة بالمسح الصحى للسكان وتقييم الخدمات الصحية بحلوان١٩٨١ انظر:

وفاء احمد عبد الله " حول العلاقة بين السياحة والبيئة المعاصرة مع الاشارة الـى الاثر السلبى للصناعة فى حلوان كدراسة حالة " ، مؤتمر التنمية السياحية والحفاظ على البيئة واستخدامات الطاقة الجديدة والمتجددة - وزارة السياحة - جمعيـــة خبراء السياحة العلميين - جمعية الكتاب السياحيين ، جهاز شئون البيئة ومؤسسة فريدريش ايبرت ٢٤ - ٢٦ ابريل ١٩٨٧ .

عدم النظافة وكثرة القمامة وانتشار برك ومستنقعات مياه المجارى الناتجة من سوء الصرف الصحى مؤدية الى انتشار الحشرات كوسيلة لنقل الامراض المعدية .

هذا وقد تم تصنيف الامراض السائدة بين السكان وعمال المصانع فى منطقة حلوان حسب معدل انتشارها على الوجه التالى :

* امراض متعلقة بالجهاز التنفسى بلغت نسبتها ٢٩٪
* امراض سوء التغذية بلغت نسبتها ٢٩٪
* امراض متعلقة بالجهاز الهضمى بلغت نسبتها ١٤٪
* امراض معدية بلغت نسبتها ١٠٪
* امراض القلب والجهاز الدورى بلغت نسبتها ٩٪
* امراض جلدية وامراض اخرى بلغت نسبتها ٩٪

وقد اشارت الدراسات ان اكبر نسبة من الامراض هى امراض الجهاز التنفسى حيث بلغت نسبتها ٢٩٪ - أى الثلث تقريبا - ، وذلك نظرا لوجود التلوث الجوى السائد بالمنطقة من أتربة معلقة وادخنه وغازات ، وذلك مثل الاصابة بالانفلونزا والنزلات الشعبية والالتهابات الرئوية وامراض الربو والتهابات الحنجرة .

هذا وتشير مجموعة الامراض السائدة فى منطقة حلوان (حسب دراسات ١٩٨١) الى التأثير المدمر للصناعة على أحد المغريات السياحية الطبيعية ممثلا فى التحول الكبير لمناخ حلوان من مناخ علاجى تمتع به وشفى بمقوماته العديد من مرتادى حلوان للسياحة العلاجية ، الى مناخ مرضى أصاب ومازال يصيب الكثير من سكان حلوان ومرتاديها كمنطقة صناعية بأمراض عديدة ومتنوعة منها المزمنة ومنها

٤) حول التلوث الناتج من وسائل النقل والمواصلات وأثره على الصحة فى منطقة القاهرة الكبرى :

أدى النمو السكانى المتزايد لمنطقة القاهرة الكبرى الى تضخم آثار التلوث الناتجة عن استخدام الاعداد الكبيرة من السيارات .

وقد تبين أن تركيز الملوثات الناتجة عن عوادم السيارات ووسائل النقل المختلفة فى شوارع مدينة القاهرة تزيد كثيرا عن مثيلاتها فى الدول الاخرى ، كما أنها تتجاوز الحد الاقصى المسموح به عالميا للحفاظ على الصحة العامة للمواطنين وذلك فى كثير من المناطق المزدحمة بالسيارات والتى تعانى من اختناقات المرور . وعلى سبيل المثال ، فقد وجد ان تركيز غاز اول اكسيد الكربون يزيد عن الحد الاقصى المسموح به فى بعض الدول - وهو ٣٥ جزء فى المليون - حيث يصل تركيزه فى وسط مدينة القاهرة الى اكثر من ١٠٠ جزء فى المليون ، كما وجد أن التغيير اليومى فى تركيز هذا الغاز يعتمد تماما على معدل مرور السيارات وسرعة الرياح .

كذلك وجد ان تركيز غاز أول اكسيد الكربون ينخفض انخفاضا حادا بالارتفاع عن سطح الارض ، مشيرا بذلك الى أن المحور الاساسى لهذا الغاز هو عادم السيارات .

وأيضا وجد ان غازات أكاسيد النيتروجين فى هواء المدينة أعلى بكثير من تلك الموجودة بالمدن الغربية المعروفة بتلوث هوائها مثل لندن ونيويورك ، حيث وصل تركيز غاز ثانى اكسيد النيتروجين الى ٤١٤ جزء فى المليون (متوسط سنوى) فى حين أن الحد الاقصى المسموح به عالميا هو ٠,٠٥ جزء فى المليون (١) .

ومن هنا يتضح أن عادم السيارات يعتبر من أهم مصادر تلوث الهواء بالقاهرة الكبرى ، وان هذا التلوث يزداد حدة بشكل ملحوظ عاما بعد عام ، وذلك للازدياد

---

(١) معمل تلوث الهواء بالمركز القومى للبحوث - يناير ١٩٨٦ .

المستمر فى عدد السيارات بالمدينة مع ضيق الشوارع وما ينتج عنه من صعوبة انسياب حركة المرور ، وما يستتبع ذلك من تشغيل محركات السيارات بدون حركة مستفادة منها فى مواقع الاختناقات .

٦) تحليل واستخلاص الاوضاع البيئية الناجمة عن الصناعة كأسباب ودوافع نحو ضرورة تبنى منهج الرعاية البيئية المتكاملة للعمالة من أجل زيادة الانتاجية :

أوضح العرض السابق الموجز عن المردودات البيئية الناتجة عن الصناعة والتحضر بالنسبة للقاهرة الكبرى كنموذج ، أن التلوث الناتج من الصناعة وانشطة التحضر يمتد ليغطى منطقة القاهرة الكبرى شاملا المناطق الصناعية والسكنية داخل القاهرة الكبرى بل وقد يمتد الى المناطق المجاورة لها .

وتساهم عدة عوامل فى انتشار التلوث فى منطقة القاهرة الكبرى ، منها الاختيار الخاطئ لمواقع الصناعات الملوثة للبيئة فى شمال القاهرة بمنطقة شبرا الخيمة أو فى حلوان فى الجنوب .

والجهود المبذولة حاليا لتقليل التلوث فى منطقة القاهرة الكبرى كما أوضحت الدراسات ، جهود محدودة وتحتاج الى وقت طويل للحد من هذا التلوث والعمل على تقليل اخطاره ، لارتباط هذه الجهود بمحددات مالية بالنسبة لتركيب المرشحات لمداخن المصانع ، أو بالنسبة لكفاءة الشبكة القومية لرصد التلوث ، أو بالنسبة للجدية فى تطبيق القوانين والتشريعات الخاصة بمنع التلوث ، وهى كلها أمور تتسم بالبطء والتراخى (١) .

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، انظر : جلال الدين عثمان " حول تلوث الهواء وصحة الانسان " ، مرجع سابق .

الى جانب الجهود المبذولة فى النظافة والتخلص من القمامة والصرف الصحى وهى أمور يتم الجزء الاكبر منها فى الاحياء الراقية ، أما المناطق الشعبية والتى تسكنها فئة العمال ، فنصيبها ضئيل جدا من هذه الجهود برغم التدهور البيئى السائد فى هذه المناطق الشعبية فى أنحاء القاهرة المختلفة واطرافها .

واذا نظرنا الى البيئة التى يعيش فيها أغلب العمال الذين يقومون بالعملية الانتاجية فى المصانع المختلفة فى منطقة القاهرة الكبرى ، نجد أغلبها بيئات شعبية متدهورة فيزيقيا واجتماعيا ، ينقصها المناخ الصحى والعديد من الخدمات الاساسية للمعيشة ـ الامر الذى يشكل ضغوطا نفسية وامراض جسدية تنعكس بالضرورة على القدرة على الانتاج وتجويده .

والرعاية البيئية المتكاملة للعمال ـ بدءا من داخل بيئة المصنع حتى البيئة التى تعيش فيها العمالة أو العكس ـ أصبحت قضية معاصرة من منظور علاقتها بالانتاجية ، وهى قضية اجتماعية اقتصادية يقع عبؤها فى حقيقة الامر على المسئولين عن الانتاج فى الدولة وأصحاب الصناعات ، باعتبار ان تكلفة هذه الرعاية أصبحت فى ظل المشكلات البيئية والوضع الحضارى المعاصر من المدخلات الاساسية فى العملية الانتاجية ، وان احكام هذه الرعاية كفيل بأن يحقق من عائد الانتاج ما يغطى هذه التكلفة ويحقق فى نفس الوقت هامش ربح كبير ، وذلك من خلال ما تسببه هذه الرعاية من صحة جسدية ورفع لمعنويات الافراد بشكل يدفعهم الى العمل على زيادة الانتاج وجودته .

ولاشك أنه ليس من السهولة بمكان قيام هذه الرعاية للعمالة بالنسبة لاغلب الصناعات القائمة حاليا فى القاهرة الكبرى ، لان هذه الرعاية تحتاج الى تخطيط سليم لها منذ البداية ، والعمل على توفير التسهيلات الخاصة بها واعتبارها كمدخلات فى العملية الانتاجية وذلك بالنسبة للصناعات المختلفة بانواعها واحجامها ومستوياتها .

الا أن الامل معقود حاليا فى تحقيق هذه الرعاية بالنسبة لما يتم انشاؤه من صناعات فى مدن أو مناطق صناعية جديدة مثل مدينة العاشر من رمضان وغيرها .

وقد بدأت بعض الصناعات المتوسطة والصغيرة فى تبنى مفهوم الرعاية البيئية المتكاملة فى مدينة العاشر من رمضان ، وهو ما سيتم تناوله فى الفصل التالى من هذه الورقة ، وذلك كمحاولة لتجسيد هذا النوع من الرعاية من منظور اهمية ومدى امكانية تطبيقه ومعرفة ابعاد ايجابياته بالنسبة للانتاجية .

المحـور الثانـى

الرعاية البيئية المتكاملة بمدينة العاشر من رمضان
دراسة حالة لصناعة السجاد

فى اطار أهمية الرعاية البيئية المتكاملة أخذت بعض الصناعات بمدينة العاشر من رمضان ـ كمدينة صناعية جديدة ـ بمفهوم هذه الرعاية فى بدء انشائها ، من منطلق ايمان اصحابها بأهمية تلك الرعاية للقوى البشرية ، الامر الذى أدى بالفعل الى مؤشرات ايجابية بالنسبة للعملية الانتاجية كما وجودة .

وأهم هذه التجارب فى هذا المجال :

- تجربة النساجون الشرقيون ، والتى لها الريادة .
- تجربة فريد وايلر لصناعة الطلمبات .
- تجربة د . لويس بشارة فى صناعة الملابس .
- وبعض الصناعات الاخرى .

وان اختلفت أساليب التعامل الميدانى فى هذا الصدد .

وتعتبر تجربة " النساجون الشرقيون " من التجارب الاولى الرائدة ذات النصيب الاكبر فى مجال تطبيق الرعاية البيئية المتكاملة فى مدينة العاشر من رمضان بالنسبة لتنوع اساليب هذه الرعاية ـ الامر الذى حفز بعض الصناعات الاخرى لان تحذو حذوها فى هذا المجال ، خاصة بعد انعكاس آثارها على كمية الانتاج وتنوعه وجودته .

وقد تم اجراء استطلاع ميدانى للاساليب التى تم ممارستها فى هذه التجربة من منظور علاقتها بالانتاجية ، وذلك من خلال اتباع المنهج الوصفى التحليلى والذى امكن من خلاله تحقيق أهداف هذه الدراسة والوصول الى النتائج المرجوة منها ، وذلك على النحو التالى :

أ) اهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة ـ كدراسة استطلاعية ـ الى الاتى :

١) التعرف على الاساليب المستخدمة بهدف الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية المستخدمة فى مصنع النساجون الشرقيون لصناعة السجاد بشكل عام .

٢) ابراز أثر الرعاية البيئية المتكاملة بالاساليب التى تم تطبيقها على العملية الانتاجية بجوانبها الكمية والنوعية .

مدة الدراسة :

المدة الاجمالية للدراسة الميدانية ثلاث أشهر تتضمن مرحلتين ، مرحلة جمع البيانات ، ومرحلة تحليل البيانات والتوصل الى النتائج والمؤشرات التى تخدم أهداف الدراسة .

ب) الاساليب المستخدمة فى الدراسة وأدواتها :

اعتمدت الدراسة على اسلوب المقابلات الميدانية ومناقشة موضوعات محددة تتعلق بتغطية موضوع الرعاية البيئية المتكاملة بجوانبه التفصيلية داخل بيئة العمل وخارجها وذلك فى اطار النقاط التى تم عرضها فى الجزء النظرى بالنسبة لهذه النقاط .

وقد تمت المقابلات على النحو التالى :

١) مقابلات منظمة : بالنسبة لبعض المسئولين القائمين على الجوانب الادارية .

٢) مقابلات عشوائية : بالنسبة للمنفذين للعمليات الفنية من المهندسين والعمال داخل (غيرمنظمة) المصنع ، وذلك من خلال اختيار عينات منظمة وعشوائية من أقسام المصنع المختلفة .

وقد تمت المقابلات المنظمة بالنسبة لرؤساء الاقسام ، اما المقابلات العشوائية فقد تم اختيارها من عمال وعاملات المصنع .

وقد استبعد استخدام أسلوب استمارة الاستبيان فى هذه المرحلة نظرا لمحدودية الوقت المتاح لهذه الدراسة ، وامكان وفاء اسلوب المقابلات الشخصية بالبيانات الاساسية لتحقيق اهداف هذه المرحلة الاستطلاعية .

ونعرض فى هذا الفصل لنقاط رئيسية ثلاث :

- دوافع انشاء صناعة السجاد فى تجربة " النساجون الشرقيون " .
- التعرف على اقسام المصنع المشاركة فى العملية الانتاجية للسجاد وطبيعة الرعاية البيئية بها .
- اشارة الى أوجه الرعاية البيئية المتكاملة للعمالة وأساليبها داخل المصنع وخارجه.

اولا : دوافع انشاء صناعة السجاد في تجربة " النساجون الشرقيون " :

قامت صناعة السجاد في " النساجون الشرقيون " على دعامة أساسية وهى فعالية الانسان بما يحيطه من العلاقات الانسانية في العملية الانتاجية ، وذلك لان الرعاية الاقتصادية والاجتماعية للقوى البشرية - والتى تمثل احد عناصر العملية الانتاجية - تعتبر أهم ركائز هذه العلمية ودعائمها .

وقد ساعد في ترسيخ هذه الفلسفة وتثبيت هذا الفكر ما لاحظه مؤسسوا هذه الصناعة (١) من تفوق الانسان المصرى خارج الوطن وارتفاع ما يحققه من اداء وعطاء متميز وقدرة فائقة على العمل والانتاج - الامر الذى تولد عنه ايمان عميق بان الانسان المصرى لديه جذور اصيلة وطاقات كامنة من القدرة على العمل والابداع فيه ، وأكد في نفس الوقت انه يمكن العمل على تفجير هذه الطاقات واستها الاستخدام الامثل داخل الوطن لو هيئت له سبل التعامل الانسانى الكريم ، ووفرت له التسهيلات والرعاية الاقتصادية والاجتماعية الكاملة ، وهى كلها عوامل تخلق مناخا صالحا تحفز هذه الطاقات وتفجرها وتستثيرها وتوجهها الى تحقيق الاهداف المرجوة من العملية الانتاجية .

وعلى ضوء هذه الفلسفة ، بدأت مجموعة " النساجون الشرقيون " في التفكير في استثمار اموالهم في الوطن وذلك باقامة مصنع لصناعة السجاد في مقر الوطن الام .

وقد كانت هناك عدة أسباب ودوافع وراء اختيار هذه الصناعة في الوطن ، أهمها :

١) وجود ثقة كاملة بامكانيات عطاء الانسان المصرى لو توفر له المناخ الملائم للانتاج على المستوى الانسانى والاجتماعى والاقتصادى .

(١) مؤسسوا صناعة " النساجون الشرقيون " لصناعة السجاد هم مجموعة من المصريين كانوا يعملون في دول الخليج حتى عام ١٩٧٩ حيث بدأت المجموعة تفكر في اقامة صناعة السجاد في مدينة العاشر من رمضان وذلك استثمارا لاموالهم في الوطن .

٢) وجود طلب مستمر من قبل المصريين خارج الوطن على السجاد والقيام بانفاق كميات كبيرة من العملة الصعبة للحصول عليه - الامر الذى اخذ كمؤشر بعدم وفاء السوق المصرى المحلى وتغطيته لهذا الطلب بالكم والجودة والتنوع المطلوب والذى ينافس الاسواق العالمية .

٣) تزامن توقيت مولد الفكرة عام ١٩٧٩ مع توقيت انشاء مدينة العاشر من رمضان كمدينة صناعية جديدة وفتح باب الاستثمار بالنسبة لقيام الصناعات بها - الامر الذى حفز على انشاء هذه الصناعة من منظور امكانية وجود التسهيلات فى هذه المدينة كمدينة جديدة بالنسبة للعمل على توفير الرعاية المتكاملة للقوى البشرية المخطط استخدامها فى الانتاج ، باعتبار ان الرعاية للقوى البشرية هى جوهر العملية الانتاجية .

٤) ما أثبتته دراسات الجدوى من امكانية قيام هذه الصناعة كسوق منافسه فى مصر بالنسبة للاسواق العالمية فى صناعة السجاد .

٥) الرغبة فى ايجاد علاقة بين مجتمع المنتجين ومجتمع المستهلكين داخل الوطن حتى يمكن للمنتجين الوفاء بالاحتياجات والرغبات وتوفير الاذواق الخاصة بمجتمع المستهلكين .

٦) حنين المصريين دائما وحبهم للعودة الى بلادهم ، وهو امر اشترك فيه جميع مؤسسى هذه الصناعة ممن كانوا يعملون بالخارج .

انشاء صناعة السجاد والاعتماد على الذات :

فى ضوء ما سبق ، بدأت مجموعة المؤسسين بانشاء مصنع " النساجون الشرقيون "فى بداية الثمانينات برأس مال مصرى كويتى فى ضوء اللوائح المنظمة للاستثمار المشترك .

وقد ساد فكر موحد لدى المجموعة فى التنفيذ ، وهو الاعتماد فى هذا التنفيذ على الذات ، وبذلك اعتمد الخط العام للتنفيذ على انتهاج هذا الاسلوب ، والذى وضحت معالمه جلية فى طبيعة العملية الانشائية للمصنع الاساسى للنسيج وما انبثق منه من صناعات بلغت خمس صناعات للوفاء بمتطلبات العملية الانتاجية وما صاحبها من تطوير مستمر للانتاج وذلك من خلال سياسة الاعتماد على الذات .

المشاركة الجماعية كأسلوب للاعتماد على الذات فى تجربة " النساجون الشرقيون " :

فى اطار الفلسفة العامة التى ارتكز عليها انشاء هذه الصناعة والايمان العميق من قبل مؤسسيها بقدرة الانسان المصرى على التحدى والصمود امام أى عقبات والتغلب على مواجهة اى مشكلات وثقته بالعمل على حلها .

فقد اتخذ مبدأ المشاركة الجماعية منهجا وأسلوبا للمجموعة ، حيث تمت المشاركة من قبل المجموعة كفكر مشترك ودراسة وتخطيط لهذا المشروع ، الى جانب المشاركة فى التمويل . ولقد تعددت صور المشاركة خلال المراحل المختلفة ، فى التنفيذ بدءا من عملية اعداد القوى البشرية اللازمة للانتاج ، وانشاء المصنع وتشغيله وانتاجه ، والمشاركة فى عائد هذا الانتاج .

ثانيا : اقسام المصنع المشاركة فى العملية الانتاجية للسجاد وطبيعة الرعاية البيئية بها :

يوجد بمصنع " النساجون الشرقيون " لصناعة السجاد خمسة أقسام على النحو التالى :

أ) قسم التصميمات

ب) قسم التحضيرات

جـ) قسم النسيج

د) قسم التجهيزات

هـ) قسم مراقبة الجودة

و) اقسام مساعدة وعمالة خدمية

أ) **قسم التصميمات :**

يشكل التصميم واعداد رسومات السجاد أحد العناصر الاساسية فى الصناعة ، ويعتبرها أصحاب هذه الصناعة كركيزة اساسية وركن اساسى فى رأس مال الشركة وعقلها المفكر .

ولم يتم انشاء هذا القسم عند بداية عمل شركة النساجون الشرقيون ، حيث كان الاعتماد الكلى على شراء كارتونات جاهزة مسجلة باهظة التكاليف تشترى من المصانع الاجنبية وبالتصميم والاضرار على التحرر من السيطرة الاجنبية على فكر المصمم المصرى فقد قامت الشركة بشراء احدث الاجهزة المستخدمة فى تنفيذ التصميمات لنماذج مصرية قام بوضعها ابناء مصريون ، وباستيراد تلك الاجهزة تم(١) :

- الغاء استيراد التصميمات من الخارج وتوفير مبالغ باهظة من عملة اجنبية .
- فتح ذلك الباب أمام الابتكار والابداع للنماذج المحلية .
- كما ادى ذلك الى السرعة فى تنفيذ التصميمات واختيار الالوان .

وفى خلال اربعة سنوات من بداية انشاء المصنع ، تم اعداد وتجهيز قسم التصميمات باحدث الاجهزة ذات التكنولوجيا العالية لتحويل التصميمات الى نماذج قابلة للتنفيذ .

وقد سافر المصممون من العاملين فى المصنع من حملة الفنون الجميلة والفنون التطبيقية للتمرين على هذه الاجهزة والتعاقد عليها ، وتم العمل عليها بعد احضارها ، ولم يتم استيراد اى مستوى من الخبراء الاجانب فى هذا المجال حيث قامت الخبرة المصرية بالممارسة والابداع والابتكار .

---

(١) حيث كان يؤخذ التصميم المصرى الى الخارج - الى بلجيكا مثلا - حيث يتم تجهيزها فى الكمبيوتر واعداد الكارتونات الخاصة بتنفيذها حيث تعتبر بلجيا قلعة السجاد العالمى ، أما بعد استيراد التكنولوجيا واستخدامها فى مصر اصبح من السهل اعداد الرسومات لاى مستثمر وتنفيذ متطلباته محليا فى وقت قصير جدا .

ويعمل فى قسم التصميمات ثمانية من المهندسين الذين يقومون بالعمل المتواصل لتحقيق الابداع من حاملى مؤهلات الفنون الجميلة والفنون التطبيقية .

وتدعم خبرة فريق التصميمات من خلال عملهم المستمر واشتراكهم فى اقامة المعارض والندوات والمؤتمرات العالمية ، وهى سنوية ومتعددة المستويات والجهات ، ويقوم هؤلاء الفنيون بالاشتراك فى اربعة معارض دولية سنوية ، منها معرض هانوفر ومعرض طوكيو ومعرض اتلانتا فى امريكا ومعرض يقام سنويا فى احد الدول العربية .

ومن خلال اقامة المعارض السنوية الدولية يزداد الفريق خبرة ، ويتم تعرفهم على الجديد من التكنولوجيا العالمية ، وذلك لمسايرة مستوى الجودة بالنسبة للانتاج العالمى ، فالمعارض والمؤتمرات تتخذها الشركة وسيلة لزيادة الانتاج كما وجودة .

وتجدر الاشارة الى أن الشركة تقوم بتوفير العناية والرعاية الكاملة لابنائها عند سفرهم بالخارج للعمل على تفرغهم للابداع الذاتى على المستوى الدولى والعالمى فالشركة فى هذا الصدد تقوم بدفع نفقات السفر بالكامل واعطاء مصاريف شخصية يومية كافيه لكل عضو، وتوفر له الاقامة الجيدة والتى يتساوى فيها العاملون جميعا لا تفرقة فى ذلك بين العامل ورئيس مجلس الادارة(*) .

(*) عند اقامة معرض المانيا مثلا ، يتم السفر على طائرات اللوفتهانزا للجميع ، ويقيم الجميع فى افخم الفنادق فى اجنحة مجاورة لجناح رئيس مجلس الادارة وذلك لرفع الروح المعنوية وتوثيق العلاقات الانسانية بين العمالة والادارة ، وهو مثل تقدمه القدوة لجميع العاملين .

طبيعة العمل بقسم التصميمات والرعاية البيئية :

نظرا لطبيعة عمل قسم التصميمات ، والذى يتسم بالحاجة الى الدقة والذوق الرفيع والابتكار والتجديد والابداع فى وضع نماذج التصميمات ، والتى تتطلب فوق ذلك موهبة ذاتية من قبل القائمين على هذا العمل ، فان لهذا العمل طبيعة خاصة تتسم بالاتى :

- عدم التقيد بمواعيد او ساعات عمل معينة ، فالعمل قد يمتد الى ساعات متواصلة ليل نهار تصل الى عدة ايام ، من حيث ان التصميم عملية تدخل فيها موهبة الفنان والتى لا تتقيد بمواعيد ، بالاضافة الى كثرة الطلب على التنوع والتجديد فى التصميمات .
- اهمية وجود جو خاص مكيف بمعدل درجات حرارة محددة حتى تعمل الاجهزة بالدقة المطلوبة ، وربما لا تتوافق درجات الحرارة المنخفضة المطلوبة لهذه الاجهزة بشكل مستديم مع صحة العاملين بهذا القسم .

ولدفع انتاجية هذا القسم ، فقد تم توفير وسائل الرعاية البيئية التى تتفق مع طبيعة العمل ومواعيده ،حيث جهز القسم بمطبخ خاص لاعداد وتقديم الوجبات والمشروبات ، وجهز ايضا أماكن للراحة والنوم وحمام خاص ، وروعى فى اعداده الذوق الفنى الرفيع وجمال وتناسق الالوان ، والهدوء التام ، والمقاعد المريحة فى الاستراحة الملحقة ، كما زود بوسائل الاتصال بالاقسام الاخرى وبالادارة .

ب) قسم التحضيرات :

وهو قسم خاص بتحضير الخامات واعدادها للعمل على الانوال وذلك بتفريغ الخيوط الى عبوات البكرات والالوان المطلوبة لكل نول لانتاج النوعيات التى تتطلبها الانوال على اختلاف هذه النوعيات فى كل نول .

والعمل بهذا القسم تشكل الاناث نسبة تبلغ ٩٠٪ من قوة هذه العمالة غير المتزوجات نظرا لانه مطلوب حدود عليا للانتاج ربما لا تساعد ظروف المرأة المتزوجة على تحقيقها .

ويرأس هذا القسم فنى مؤهل دبلوم صنايع قسم النسيج ، أما العمالة - والاغلبية العظمى منها من الفتيات فى سن ما قبل الزواج ، فأغلبهن غير مؤهلات ، كما أن كلهن يقمن فى مدينة العاشر من رمضان - بل يقمن فى مدينة بلبيس - وتقوم الشركة باحضارهن الى المصنع فى الورديات المخصصة بواسطة اتوبيس خاص بالشركة ، كما يتم توصيلهن الى بلدهن بعد انتهاء كل وردية .

والعمل مستمر بهذا القسم لمدة ٢٤ ساعة لعدة ورديات كل وردية مدتها ٦ أو ١٢ ساعة حسب متطلبات العمل .

طبيعة العمل والرعاية البيئية :

- نظرا للتعامل مع تفريغ الخيوط فى هذا القسم ، فقد تم الحرص على وضع الشفاطات الهوائية لطرد اى معلقات هوائية قد تضر بصحة العمالة .
- ويتم فى وقت الراحة تقديم الوجبات التى تتناسب مع مواعيد الوردية ، وكذلك تقديم المشروبات ، وذلك على حساب الشركة .

ج) **قسم النسيج :**

بدأ العمل فى المصنع بقسم واحد للنسيج - الا أن تطور العمل بالمصنع مع زيادة عدد الانوال ادى الى وجود ثلاثة اقسام نسيج هى :

* قسم النسيج الالمانى
* قسم النسيج البلجيكى رقم (١)
* قسم النسيج البلجيكى رقم (٢)

ويبلغ عدد العمالة فى الاقسام الثلاثة (٢٥٠) بكل قسم له رئيس وردية يعمل جنبا الى جنب داخل صالات الانتاج (١) .

والعمالة فى الاقسام الثلاثة من الذكور ، ولا يوجد اناث ، نظرا للقوة الجسمانية التى يتطلبها هذا العمل .

طبيعة العمل والرعاية البيئية :

لا تختلف اساليب الرعاية داخل هذا القسم عن غيره من الاقسام الاخرى للمصنع ، حيث توجد الشفاطات الهوائية وفتحات التهوية الى جانب وجود اجهزة لبث البخار داخل صالات النسيج وذلك لحفظ التوازن فى درجة الرطوبة داخل هذه الصالات وذلك لتجنب ما يتسببه عمل الالات من انخفاض فى نسبة الرطوبة وتجنب أثر الجفاف الضار بالعامل وبالمنتج نفسه .

ونظرا لارتباط الحافز بالانتاج ، فكثير من العمال لا يتركون اماكن عملهم على الانوال وقت راحتهم ويفضلون تناول الوجبات الخفيفة والمشروبات فى مواقع عملهم وتقدم الشركة التسهيلات الخاصة لمن يرغب ذلك من خلال مرور عربة بين الانوال تحمل طلبات العمال .

د) قسم التجهيزات :

ترتبط طبيعة العمل فى هذا القسم بوجود نسبة كبيرة جدا من العاملات من الاناث ، حيث تبلغ نسبتهن حوالى ٩٠٪ من عدد العمالة . وطبيعة العمل فى هذا القسم تتطلب وجود الاناث لما لهن من صبر ودقة مطلوبة لهذا العمل ، والتى لا تحتاج بالتالى الى مجهوسدات عضلية .

والعمل فى هذا القسم هو قيام العاملات بفحص المنتج من الانوال بدقة من الوجهين ، وذلك لاصلاح بعض الخيوط فى السجاد المنتج ، اما بزيادة بعض الخيوط الناقصة ، أو ازالة بعض الخيوط الزائدة ، أو رفى بعض الاخطاء .

ويتم ايضا فى هذا القسم ـ بعد عملية الفحص وعملية وذلك بوضع طبقة لتقوية عقد النسيج ، ثم يعرض السجاد للجفاف ، كما تتم ايضا فى هذا القسم عملية قص وبر السجاد وتسويته .

طبيعة العمل والرعاية البيئية :

يتميز هذا القسم بوجود عدد من الشفاطات الخاصة بشفط الوبر والمعلقات حيث يتم تخزين العادم فى خزانات فى عبوات من الاكياس النايلون لسهولة نقلها خارج المصنع ويتمتع العاملون بهذا القسم بباقى سبل العناية والرعاية البيئية التى يتمتع بها افراد المصنع .

هـ) قسم مراقبة الجودة:

يقوم العاملون بهذا القسم بعمليات مراقبة جودة الانتاج وسلامته ، مع عملية اضافة المواصفات المطلوبة للمنتج النهائى فى العملية الانتاجية للسجاد .

وأغلب القائمون على هذا القسم من الاناث ، لدقة ملاحظة الاناث والصبر فى تنفيذ هذه العملية وذلك من قبل القائمات بالعمل داخل القسم . وعدد العاملين والعاملات بالقسم يبلغ ٩٠٪ اناث ، ١٠٪ ذكور ، وليست هناك شروط محددة أو مؤهلات للعمل بهذا القسم ، حيث أن العمل المكلف به العامل او العاملة فى هذا القسم هو التنبيه للاخطاء واعطاء الملاحظة والمعلومة فالعمل هنا يعتمد على الخبرة المكتسبة أكثر من اعتماده على أى مؤهل .

وطبيعة العمل فى هذا القسم لا تحتاج بالنسبة للرعاية البيئية أكثر من الشفاطات العادية الموجودة داخل المصنع لشفط الاتربة .

والعاملون فى قسم مراقبة الجودة يعطون صلاحيات وسلطة قوية فى اتخاذ القرار واعطاء الاوامر التى تسرى على رئيس مجلس الادارة نفسه وبالتالى لا توجد تبعية لهذا القسم لرئيس مجلس الادارة(١) .

وتنقسم المراقبة على عملية مراقبة جودة للسجاد بعد الخروج من النول ،وعملية مراقبة جودة للسجاد كمنتج نهائى بعد اتمام عملية السرفلة واضافة الشارشيب للسجاد وفى كلتا العمليتين يتم الفحص الدقيق للسجادة بوجهيها ويوضع عليها بيان يحدد اذا كان هناك وجود خطأ ما ، مع تحديد نوعية الخطأ ، وهل هو راجع لعملية التحضيرات للخيوط أو عملية النسيج على النول .

وهذا التحديد يتحدد معه المسئول عن هذا الخطأ ، وفى جميع الحالات يعتبر رئيس الوردية مشتركا فى هذا الخطأ ، وبالتالى مشتركا فى توقيع العقاب عليه هو ورئيس القسم من حيث مسئوليتهم جميعا فى هذا الخطأ ، ويتم تحديد خصم يسمى بالحوافز السلبية .

و) **الاقسام المساعدة والعمالة الخدمية :**

تعتبر اقسام الميكانيكا والكهرباء من الاقسام المساعدة للعملية الانتاجية ، وعدد العمال حوالى ١٧ ميكانيكى ، ٥ كهربائى موزعين على ورديات العمل .

وتلك الاقسام لديها ورشة لاعمال الاصلاح التى يحتاج اصلاحها الى عمل بالورشة

---

(١) يمكن لمراقب او مراقبة الجودة اصدار الامر الفورى بوقف عمل احد الانوال لوجود خطأ ما دون الرجوع لسلطة أعلى وذلك لوقف وتقليل نسبة الخطأ .

ولكن عدا ذلك فان القائمين بالعمل فى هذه الاقسام تتطلب طبيعة عملهم التواجد المستمر فى صالات المصنع ، وبالضرورة صالات النسيج ، حيث يقومون بالمراقبة للانوال والالات المستخدمة ، ويقومون من خلال هذه المراقبة بالتدخل فى الوقت المناسب واصلاح الاعطال باسرع ما يمكن حتى لا يتعطل سير العملية الانتاجية من حيث مشاركتهم فى الحصول على العائد من هذا الانتاج .

واعضاء اقسام الميكانيكا والكهرباء لا يخضعون لرؤساء الاقسام ، حيث أن هؤلاء الفنيين لديهم السلطة فى اصدار الاوامر بوقف الماكينة فورا حسب رؤيتهم الفنية دون الرجوع الى سلطة اعلى لاتخاذ هذا القرار وذلك لصالح العملية الانتاجية . وبالرغم من انه لا يوجد من لديه مؤهل عال بين هؤلاء الفنيين ، الا أن عملهم وخبرتهم يفوق الكثير ممن لديهم مؤهلات عليا .

وعند حدوث أحد الاعطال فى أى ماكينة ، نجد مسارعة الجميع فى المشاركة فى اصلاح هذه الاعطال ، ليس فقط من هؤلاء الفنيين ، ولكن ايضا بمشاركة رئيس الوردية ورئيس القسم ايضا ، حيث ان اى اعطال فى اى قسم تؤثر على الانتاجية وبالتالى على حوافز الجميع دون استثناء .

وبالنسبة للعمالة الخدمية لا يوجد فراشين او سعاة ، ولكن يوجد عمال نظافة فى كل قسم وفى كل وردية واحد فقط ، كما يوجد عدد (٢) عمال احتياطى وعدد (٦) عتالين .

وقد تم مؤخرا استخدام العربات الكهرباء للعمل فى النقل داخل صالات المصنع وكذلك عدد من الروافع (كلارك) كتكنولوجيا خدمية معاونة سهلة وسريعة فى الاستخدام .

ثالثا : اشارة عامة الى الرعاية البيئية المتكاملة للعمالة وأساليبها داخل المصنع وخارجه:

أ) **الرعاية الصحية والبيئية والاجتماعية داخل المصنع:**

من الناحية القانونية ، يوجد اشتراك فى التأمين الصحى لضمان سلامة العمالة ولكن لا يعول عليه فى العلاج ، فالتامين الصحى يعتبر بمثابة تأمين ضد اصابات العمل والعجز او المرض وذلك على حسب القانون ، أما بالنسبة للاشتراك فى التامين بالنسبة للعلاج ،فقد طلب الغاؤه وتمت الموافقة على ذلك حيث أن العلاج الحقيقى يتم كالاتى :

١) يترك الخيار للعامل بالنسبة للجهة التى يريد أن يعالج بها ، ويقوم المصنع بدفع التكلفة كاملة ، ويتم اجراء العمليات الجراحية فى أرقى المستشفيات (كليوباترا على سبيل المثال) والعلاج يشمل العامل وأولاده واسرته .

٢) يوجد طبيب دائم مقيم فى مدينة العاشر من رمضان يعمل ٢٤ ساعة يوميا من أجل افراد المصنع ، ويقوم بزيارة المصنع للاطمئنان على العمال .

٣) يقوم بالمساعدة دكتور مساعد لمدة ساعتين يوميا (غير مقيم ولكنه متردد) ويقوم اطباء بالفحص والعلاج والتحويل الى المستشفيات لاجراء الجراحات اللازمة وعادة ما يتم اجراء العمليات الجراحية فى مستشفيات خاصة كبيرة مثل مستشفى كليوباترا ومستشفى الحرية ، وفى الحالات التى تستدعى العلاج بالخارج يتم ذلك على نفقة المصنع .

٤) يتم اجراء تحليل دورية وعمل أشعة للاطمئنان على سلامة الصدر .

٥) تشمل الرعاية الصحية بهذا الاسلوب جميع الاعضاء العاملين بالمصنع اداريين وفنيين .

سابقة ، تم وضع الاحتياطات الكافية للتهوية وتركيب الشفاطات الهوائية والتى تسحب الغبار ووبر السجاد خارج المصنع حتى لا تؤثر على صحة العاملين .

وقد وضعت ايضا اجهزة لمعادلة الرطوبة داخل المصنع وترطيب الجو بحيث تعمل هذه الرطوبة على اسقاط الاتربة العالقة فى جو المصنع وما قد يتواجد من وبر الصوف .

وفى ضوء تلك الرعاية ، لم يعان أحد العاملين من الامراض التى يسببها التواجد فى المصنع بأقسامة المختلفة .

وبالنسبة للرعاية الاجتماعية داخل المصنع ، فقد تبين حسن العلاقات الانسانية بين العاملين - الامر الذى لا يستدعى وجود اخصائى اجتماعى لعدم الحاجة اليه فالكل يتعاون ويتكاتف كأسرة واحدة فى مواجهة المشكلات التى تعترض اى فرد منهم .

فشيوع روح المحبة والحرص الدائم من المسئولين يعمل على رفع الروح المعنوية للعامل بتذليل اى عقبة تعترضه ومشاركته فى كل مشاكله الخاصة .

ولحفظ هذه العلاقات ، كثيرا ما يتم اقامة لقاءات ترفيهية يتخللها عشاء مع المسئولين بالمصنع للمناقشة والحوار لعرض اى مشاكل تعترضهم سواء خاصة بالعمل أو بمعيشتهم للمشاركة الجماعية فى حلها بحب وسمودة .

الغـذاء

١) يقوم المصنع بصرف وجبات للعمال اثناء الوردية التى يعمل بها ، وهى ثلاث وجبات افطار / غذاء / عشاء ، يتناول فيها العامل ما يتفق مع ورديته بالمجان .
والوجبات مكونة من الفول والجنبنة والحلاوة والبيض وذلك حسب طلب العمال لاستمتاعهم بنوعية هذا الطعام .

٢) يتم توزيع المشروبات اثناء العمل ، وذلك بمرور عربة خاصة توزع هذه المشروبات لمن يريد بالمجان .

ب) **الرعاية البيئية للعمالة خارج المصنع :**

السكـن :

تم اعداد السكن بالنسبة لقوة المصنع على النحو التالى :

- تم شراء مبانى سكنية من جهاز المدينة سميت بالسكن الادارى ، يتضمن السكـــن الادارى شقق للعامل المتزوج ، واستراحات للعزاب .

عدد الوحدات السكنية : ٣٠٠ شقة للمتزوجين بمساحات كافية حوالى ٩٠م^{٢}

نوعيـــة الشقـــق : نوع التشطيب جيد

والسكن متميز بأنه صحى وهادئ ومحاط بالحدائق فى كثير من المجاورات .

وقد بدأ المصنع فى السنين الاخيرة بالاتجاه الى العمل على تسهيل حصول العامل على شقق تمليك (سكن غير ادارى) وذلك بقيام المصنع بدفع مقدم الشقق ويقـــوم العامل فقط بدفع الاقساط على مدى زمنى طويل (١٥ - ٢٠ سنة مثلا) .

ولكن نظرا لاطمئنان العامل وثقته فى ادارة المصنع ، فقد فضل الكثير مـــن العمال الاستمرار فى الاقامة فى السكن الادارى مسادام مطمئنا لرعاية لمصنع لـــه ولاسرته مدى الحياة ، وذلك يدل على قوة الانتماء للمصنع والثقة والاطمئنـــان بالنسبة للحاضر والمستقبل بالنسبة لنفسه ولاسرته .

يتم كنوع من الحوافز سنويا اختيار العامل المثالى (من ١ - ٣ عامل) ويتـــم اعطائهم عقد تمليك للشقق القائمين بها ، ويكون هذا العقد ثلاثى ، موقعا مـــن الشركة (المصنع) وجهاز المدينة ، والعامل نفسه ، وذلك لضمان ســـداد الاقساط الخاصة بالمسكن .

تم فى خلال سنتين توزيع عدد (١٦) عقد شقة تمليك ، والعملية مستمرة .

هذا وتوجد نسبة قليلة جدا من الاداريين مقيمين فى مدينة القاهرة .

المواصـــلات :

بالنسبة للعمالة الغير مقيمة في مدينة العاشر من رمضان :

- توجد مجموعة من العمالة غير مقيمة فى مدينة العاشر من رمضان ، ومعظمها مقيم فـــى بلبيس ، معظم الانسان (لا يوجد سيدات) غير مقيمات) ومعظمهن من مدينـــــة بلبيس .
- يتم نقل هذه العمالة بواسطة اتوبيسات الشركة طبقا لمواعيد الورديات المختلفة كما يتم نقل بعض العاملين من مدينة القاهرة ، وان كان هناك اتجاه لالغاء سيارات القاهـرة خاصة بعد تسكين اغلب العاملين فى مدينة العاشر من رمضان .
- وتقوم سيارات خاصة بالمصنع باحضار العاملين من مساكن مدينة العاشر من رمضا حتـــى مقر عملهم بالمصنع الذى يبعد عن مكان الاقامة دقائق معدودة .
- وتستخدم سيارات الشركة بالمجان ، بالرغم من ان المصنع يصرف للعامل بـــــــدل مواصلات قدره (١٥ جنيه) شهريا ، هذا الى جانب ان معظم العمال بالمصنع أصبح لديهم سيارات خاصة .

توافر الخدمات في مكان الاقامة:

- يتوفر بالمدينة الاسواق ومحلات البقالة ، ولكن تتميز بارتفاع الاسعار نسبيا ، أمـــــا المجمعات الاستهلاكية فهى لا يتوفر فيها القدر الكافى من السلع للجميع .

وبصفة عامة ، تبين أن مشاكل الخدمات التى يعانى منها العاملون بمصنع النساجـــون الشرقيون المقيمون بالمدينة هى مشاكل على مستوى المدينة ، وتحاول ادارة المصنع العمـــل على حل بعض هذه المشاكل ، منها التغلب على مشكلة عدم توفر انابيب البوتاجاز بسهولـــة وذلك بقيام المصنع بتجميع الانابيب الفارغة الخاصة بالعاملين وتقوم سيارة خاصة بالذهـــاب الى مدينة بلبيس او القاهرة لتغييرها .

أما عن الخدمات الاخرى الموجودة بالمدينة مثل التعليم ، فبرغم وجودها بالنسبة للابناء ، الا أن نقص المدرسين وتدنى المستوى العام للخدمة التعليمية وانصراف المدرسين الى الدروس الخصوصية يؤدى الى مشاكل كثيرة .

وتستدخل ادارة المصنع فى هذا الصدد وذلك بعمل مجموعات تقوية لابناء العاملين خاصة فى سنوات الشهادات العامة ، وتتولى تلك المهمة ليتفرغ ذهن الاباء للعمل والانتاج . كما يقدم المصنع للاسرة الخدمات الصحية المتكاملة .

الرعاية الاجتماعية للاسرة

تبذل الشركة جهودا كبيرة فى مجال رعاية اسرة العامل ، وذلك على النحو التالى :

١) رعاية الاسرة مدى الحياة ، وذلك فى حالة مرض العامل أو عجزه أو وفاته بصرف مرتبه بالكامل له ولاسرته ، مضافا اليه متوسط ما كان يتقاضاه من حوافز خلال آخر عمل له .

٢) يتم رعاية اولاد العاملين ، حيث يعمل المصنع على تدريبهم فى فترة الاجازة الصيفية لاكسابهم الخبرة فى مجال صناعة السجاد وتحقيق استفادة مادية حيث يصرف لهم اجر يتراوح بين ٦٠ - ٧٠ جنيها فى الشهر ، ويعتبر اولاد العاملين قابلين للتعيين بالمصنع فى اى وقت .

٣) كذلك يمكن ان يتدخل القائمون بالعمل فى المصنع فى تسوية وحل جميع المشاكل العائلية للعاملين ان وجدت .

٤) تقوم ادارة المصنع بتكريم كبار السن من العمال باختيار عدد (٤) اربعة عمال سنويا لاداء فريضة الحج على نفقة المصنع .

٥) يعطى العامل الاجازات القانونية له ، الا ان معظم العمال لا يستهلكون نصيبهم من الاجازات بسبب حرصهم الشديد على العمل الذى يجزون من خلاله بقدر كبير من الحوافز . وكثيرا ما يتم تنظيم رحلات جماعية يتحمل تكاليفها المصنع ، وذلك

بهدف الترفيه وقضاء اوقات جماعية اسرية ممتعة .

٦) الانشطة الرياضية بالنسبة للعاملين واولادهم يتم من خلال النادى الاجتماعى المقام بالمدينة ، حيث لا يوجد لدى المصنع مساحات خاصة لانشاء الملاعب الا ان ذلك مطروح بالنسبة للتوسعات الجديدة فى مصانع الشركة .

المحـــور الثالـث

تحليل نتائج الاستطلاع الميدانى
للرعاية البيئية المتكاملة وعلاقتها بالانتاجية فى تجربة
" النساجون الشرقيون "

ويمكن تحديد عناصر هذا التحليل فيما يلى من نقاط :

اولا : تحليل حول الرعاية البيئية المتكاملة والجوانب الاجتماعية لهذه الرعاية:

تبين من نتائج التطبيق الميدانى لاساليب الرعاية البيئية المتكاملة فى تجربة النساجون الشرقيون بالنسبة للقوى البشرية بالاوضاع التى تم الاشارة اليها ان هذه الرعاية حققـــــت المستهدف منها ، حيث خلقت مناخا صحيا ونفسيا أدى الى تفجير طاقات القوى البشريـــة العاملة ، فعملت وطورت وابتكرت وأبدعت .

والاساليب التى تم اتباعها فى تجربة النساجون الشرقيون فى مجال الرعاية البيئيـــة المتكاملة تعتبر محاولة جادة لرعاية القوى البشرية فى مجال الانتاج بما يحافظ عليها جسديا ونفسيا وفكريا واجتماعيا وذلك على النحو التالى :

١) حرصت تلك المحاولة على تبنى هذه الرعاية منذ البداية المبكرة لتنفيذ فكرة تأسيـــس هذه الصناعة من خلال منهج المشاركة كأسلوب للوصول الى الاعتماد الخالص علـــى الذات بفضل حسن العلاقات الانسانية والعمل الجماعى الذى يشترك الجميع فـــى مزاياه وفى تحمل اعبائه .

وقد بدأ العمل من أجل هذا الهدف بروح الاسرة وروح المشاركة حيث تـــم تكوين نواة مثلت وحدة انتاجية بشرية بتدريب فى الخارج فجمعتها الغربـــــة ،

فانصهرت فى بوتقة واحدة ، وهى بوتقة العمل ، وبفضل العناية والرعاية الانسانيـــة المستمرة لها شبت ونضجت على حب العمل والانتماء له فعملت بروح الاسرة وروح الفريق على المشاركة فى احضار المصنع الذين سيعملون به من الخارج ، حيث قامـــت بتركيبه فى ارض الوطن مؤكدة حب المشاركة والاعتماد على الذات.

وقد مثلت تلك النواة الاولى فى عمر المصنع حجر الاساس ورأس المال الحقيقـى لهذه الصناعة ، والذى يتسم بالحب والاعزاز والانتماء .

٢) ويعتبر قيام أسرة النواة الاولى بعمليات التدريب فى الداخل بعد تأسيسها للمصنـع بمثابة امتداد للمنهج وترسيخ قيمة وتوسيع دائرة مفاهيم وقيم المشاركة والاعتماد علـى الذات وذلك فى اطار ما يحوط هذه الاسرة وابنائها الوليدة من رعاية بشرية وعلاقات انسانية تدعم الحب والانتماء لهذه الصناعة .

٣) فربط الاجر بالانتاج ، ومستوى الاجور والحوافز بالشكل المعمول به فى تجربـــة النساجون الشرقيون يعتبر احد الاساليب التى تحقق العدالة الاجتماعية والانسانيـة وتحفز وتستثير الجهود لمزيد من العمل والانتاج وتعمل على التقويم الجماعى التلقائـى بين أعضاء الجماعة التى تقع عليها جميعا منح الانجاز وتبعات الاهمال ، وذلك مـن اجل صالح العمل وجودة الانتاج .

٤) وقد تبين أنه فى ظل الرعاية البيئية المتكاملة الموجودة بتجربة النساجون الشرقيـون ان زيادة الانتاج لا يشكل عبئا ملقى على كتف العامل ، ولكنه اصبح متعة فى ظـل ما تحققه هذه الرعاية والتى تعمل على تفرغ ذهن العامل الى مهمة الانتاج فقـط فى مناخ صحى سليم وعلاقات انسانية متينة ، باعتبار ان أى مشكلات اقتصاديـــة أو اجتماعية خاصة بالعامل او باسرته يشارك المصنع فى حلها وستذليل صعوباتها فى اسرع وقت وبأى تكلفة دون ارهاق العامل بها (١) .

---

(١) باعتبار ان اى تكلفة يدفعها المصنع لحل اى مشكلة لرعاية العامل أو اسرته تكون أقل بكثير مما يحققه العامل من انتاج قد يفقده المصنع لو انشغل العامل نفسه بحل تلك المشكلة والتى قد تأخذ وقتا كبيرا من العامل لحلها ثم لاسترجاع قدرته وكفاءته علـى الانتاج بعد ازالة ما سببته له هذه المشكلة من ضغوط نفسية .

٥) وتعتبر الحوافز العينية المعلنة بالنسبة للابداع الذاتى وعدم وجود قيود على مدد الترقى من الامور التى تعمل على مزيد من التقدم المصحوب بالاستقرار النفسى والاحساس بالعدالة الاجتماعية والرعاية للقوى الفكرية والعمل على استثارتها وتنشيطها لدى العاملين فى الاقسام المختلفة مما ينعكس بالضرورة على كم وجودة الانتاج .

٦) كما يعتبر اسلوب الرعاية البيئية والاجتماعية داخل المصنع وخارجه أحد الاساليب التى تعمل على توفير الاستقرار النفسى للعامل مدى الحياة ، فالرعاية الصحية للعامل واسرته ، والتأمين الصحى للعامل فى حالات العجز والمرض او الوفاة ومسئولية المصنع فى دعم هذا التأمين بالنسبة لاستمرار المرتب والحوافز واستمرار الاقامة فى السكن وتولى مسئولية الاولاد وتذليل مشكلاتهم وتدريبهم وتعيينهم اذا أرادوابالمصنع كل ذلك من الامور التى تهيىء الاستقرار النفسى للقوى البشرية العاملة وبذل مزيد من العمل وعقد كثير من الامال والطموحات بالنسبة لدفع الانتاج لتحقيق مزيد من الاستقرار المادى والاجتماعى والاسرى .

٧) والديمقراطية فى العلاقات الانسانية بين العمال والادارة وقوتها وترابطها والتى تنبثق من التقاء الجميع رؤساء ومرؤسين على هدف واحد هو زيادة الانتاج ، حيث الجميع بالنسبة لها مسئولين ، ومنها مستفيدين وبجودتها فخورين ، وهذا يمثل قمة المشاركة العملية والفنية والوجدانية لاسرة الانتاج .

٨) ويعتبر عدم وجود اتحاد او نقابه للعمال داخل مصنع النساجون الشرقيون دليل على ما يلاقيه العامل من رعاية بيئية متكاملة وعناية تكفل له حقوقه المادية والنفسية .

٩) ويعتبر ما تم مؤخرا من اشراك العمال الممتازين ذوى التاريخ العملى المشرف فى ملكية المصنع بمثابة عملية تأمين لنظم الرعاية البيئية المتكاملة للعمالة والتى ترعى العامل داخل المصنع وخارجه .

ويعتبر قيام المصنع بتسديد قيمة اسهم هؤلاء المشاركين نظير ما حققوه من انجاز اسلوبا فريدا فى العلاقات الانسانية فى الصناعة ، وهو تعويض مادى وادبى

للاخلاص والتفانى فى العمل من ناحية ، وهو فى نفس الوقت امان وضمان واستقـــرار للعمالة واستثارة لها لمزيد من الجهد والحب والانتماء للصناعة ، كما أنه أسلـــوب متميز فى المشاركة فى وضع واتخاذ القرار من ذوى خبرة وتجارب تساهم كثيرا فـــى سلامة وموضوعية هذا القرار .

١٠) واخيرا ، فان حرص المصنع على توفير الرعاية المتكاملة للعامل فى ضوء التسهيـــلات المتاحة فى مدينة العاشر من رمضان كمدينة صناعية جديدة كما تم عرض ذلك ، أزال معظم الاعباء الجسدية والنفسية للقوى العاملة مما عمل على استقرارها ذهنيـــا وجسديا واسريا - الامر الذى حفز المسئولين فى هذه الصناعة على اعطاء المزيد من هذه الرعاية حتى وصلت الى توفير اماكن لدفن الموتى للعمال وذلك لتوفير مزيد من الاستقرار لهم ولاسرهم .

ثانيا : تحليل للعلاقة بين الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية وبين العملية الانتاجية من الناحية الاقتصادية :

اتضح وجود نتائج ايجابية للعملية الانتاجية فى شكل زيادة مستمرة فى هذا الانتاج كما ونوعا ، حيث بدأت الشركة عام ١٩٨٠ برأس مال قدره ١,٤ مليون جنيه مصرى ، وصل حاليا عام ١٩٨٩ الى مبلغ ٥٠ مليون جنيه وكانت البداية كما سبق الاشارة الى ذلـــك بتشغيل عدد (١١) نول نسيج وصل حاليا الى عدد (٢٧) نول ، كما زادت العمالـــة من حوالى ١٥٠ عامل وصلت حاليا الى ٦٠٠ عامل .

وبالاضافة الى انه انبثقت من صناعة النسيج خمسة صناعات اخرى كمتواليات لخدمـــة هذه الصناعة برأس مال مستقل لكل صناعة كشركات مساهمة لخدمة صناعة النسيج كما سبـــق توضيح ذلك ، يشارك فيها مؤسسوا صناعة النساجون الشرقيون كصناعة اساسية .

وقد وضح جليا أن تبنى اسلوب الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية بالشكل والظروف التى تم استعراضها كان لها الفضل فى زيادة الانتاج بالقدر الذى اصبح يغطى الاسواق المحلية والاسواق العالمية ، حيث اصبحت توجد معارض مستديمة فى المحافظات للتسويق المحلى ، كما أن التسويق الخارجى يتم لعدة دول منها على سبيل المثال ، الولايات المتحدة الامريكية ، واليابان والعراق ومازالت تفتح اسواق جديدة لمنتج النساجون الشرقيون والذى اثبت تفوقه النسبى على مثيله من انتاج الدول المتقدمة فى هذا المضمار .

ويقتنع المؤسسون لهذه الصناعة بأن ارتفاع الانتاج بهذه المعدلات يرجع أساسا الى المساهمة الجادة الصحية الواعية اليقظة من قبل القوى البشرية العاملة بفضل وجود الرعاية البيئية المتكاملة وأساليبها التى عملت على تفرغ العمالة للعملية الانتاجية وتجنيبها اى مؤثرات قد تعوق هذه العملية .

والايمان بالعلاقة بين الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية وزيادة الانتاج اعتمد فى البداية على فلسفة وفكر ، ولكنه اصبح فى تجربة النساجون الشرقيون واقعا يتحدث عن نفسه ، عمل على تجسيد هذا الفكر فى مجال هذه الرعاية ، حيث وضحت نتائج الاستطلاع الميدانى لتقييم هذه التجربة أن تلك القوى فى ظل الرعاية البيئية المتكاملة ، عندما أخذت فرصتها كاملة من هذه الرعاية ، بدأت تعمل على النحو التالى

- تبتكر وتبدع فى أساليب الانتاج بما يعظم عائد هذا الانتاج .
- تستفيد بكل دقيقة لزيادة الانتاج .
- تعمل على التطوير للقضاء على اى معوقات فى حينها تتعلق بالعملية الانتاجية
- تقوم بوضع واتخاذ القرار للقضاء على اى معوقات خاصة بالعملة الانتاجية .
- تعمل بروح الفريق وتشارك عند الضرورة فى جميع جوانب العملية الانتاجية(١) .

---

(١) كمثال الاشتراك المستمر لفريق العمل فى اى اعمال تتعلق بالمصنع منذ بداية انشائه حيث شارك النساجون مع الفنيين فى تركيب وتشغيل الانوال واستمرارهم فى العمل بروح الفريق حتى اليوم .

والنظام الذى وضعه المؤسسون للرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية ينظر الى هـــذه الرعاية فى النهاية نظرة اقتصادية من منظور علاقة هذه الرعاية بالانتاجية ، تلك العلاقة التى اثبتها التطبيق العملى فى هذه التجربة .

فالنظرة الاقتصادية ترى أن اية قيمة اجتماعية مكتسبة من خلال تطبيق اساليب الرعاية البيئية المتكاملة تمثل قيمة اقتصادية تؤثر على زيادة الانتاج . ويمكن تأكيد ذلك عند تحويل تلك القيم الاجتماعية الى قيم مادية وقياسها منسوبة للعائد المادى للعملية الانتاجية ،ويمثل ذلك جوهر الرؤية الاقتصادى لتبنى اساليب الرعاية البيئية المتكاملة ، والامثلة كثيـــــــــرة ومتعددة .

فاذا نظرنا مثلا الى عنصر الولاء والانتماء للصناعة وحاولنا قياس أحد مظاهـــــره ، فانه سرعان ما يظهر رجحان جانب العائد على جانب تكلفة هذا العائد ، فالولاء والانتماء للصناعة وليد عدة عوامل للرعاية الاجتماعية التى تم تطبيقها فى هذه التجربة .

وأحد هذه العوامل هو استمرار منح أسرة العامل بعد وفاته نفس السكن وبنفـــس المرتب ومتوسط ما كان يـأخذه من حوافز ، وذلك خلال الفترة التى يكبر فيهـــــا الاولاد ويتزوجوا او يعملوا ، وتستمر تلك المزايا للزوجة بقدر نصيبها الشرعى فيها طالما لم تتزوج

وبطبيعة الحال تعتبر تلك الرعاية الفريدة فى شكلها الاجتماعى احد العناصرالتـى تثبت الولاء والانتماء لهذه الصناعة واستمرار العمالة الفنية الماهرة فى البذل والعطـــاء ، وهذا ما أكده الواقع .

فبحساب قيمة تكلفة مسكن ومرتب الاسرة مدى الحياة ، وجد انه يقل كثيرا عن تكلفة تسرب العمالة الماهرة المدربة لافتقادها الرعاية البيئية المتكاملة واهدار قيمة تكلفة التدريب والخبرة وعدم الاستفادة بعائدها والذى يمكن أن يغطى التكلفة الاجتماعية لكثير من بنـــود

هذه الرعاية ، منها تكلفة المسكن ورعاية الاسرة مدى الحياة .

والجوهر الاقتصادى للرعاية البيئية المتكاملة ، وما حققته هذه الرعاية من عائـــــد اقتصادى متمثلا فى زيادة وتنوع الانتاج ، أكد ودعم وحفز وعمق فكر الاعتماد على الـــذات والذى تمثل فى العمل ذاتيا على تصنيع المواد الخام للتحرر من عمليات التبعية فىالحصول عليها من الخارج أو من الداخل وذلك لتوفير العملة الصعبة من جهة ، ولضمان سرعـــة الانتاج والقدرة على تنويعه والابداع فيه من جهة أخرى .

ثالثا : تحليل حول نتائج التطبيق للرعاية البيئية المتكاملة والاعتماد على الذات فى زيادة الانتاجية :

بدأت صناعة السجاد فى النساجون الشرقيون بملكية خاصة مشتركة مع أحد رجـــال الاعمال الكويتيين ، حيث تمت اقامة مصنع النسيج لغزل السجاسد ، ومصنع ماك لتصنيـــع الموكيت ، وذلك فى مدينة العاشر من رمضان .

الا أنه بعد فترة قصيرة ، وفى ضوء الايمان بفكر الاعتماد على الذات ، تم تخارج الشريك الكويتى ليحل محله عدد من الممولين المصريين من زملاء الغربة الذين لديهـــم نفس الفلسفة حول الدور الاساسى للقوى البشرية فى العملية الانتاجية ، وطبيعة الفكر فـى ضرورة انتهاج سياسة الاعتماد على الذات فى العمل .

وقد تم نتيجة انتهاج هذا الفكر فى التطبيق انشاء اربعة مصانع اخرى هى مصنـع " الصفا " لتصنيع الخيوط ، ومصنع " افكو " للنسيج ، ومصنع " العاشر من رمضان لتصنيع الصوف " ، ومصنع " الوان " لتوفير الرسومات والالوان الحديثة المتداخلة للموكيت .

وقد توالى انشاء هذه الصناعات كشركات مساهمة مستقلة تبعا لتوفر الاحتياجـــات

المطلوبة للصناعات الاساسية وهى النساجون الشرقيون لصناعة السجاد ، وماك لصناعة الموكيت .

وبهذا اعتمدت فكرة الانشاء للصناعات الاربعة على اسلوب الاعتماد على الـــــــذات كأسلوب وهدف فى نفس الوقت ، وذلك من أجل التحرر من القيود والمعوقات التى تقابـــــل عملية الاستيراد لمستلزمات اساسية للعملية الانتاجية للصناعات القائمة ، مما يعطل عمليـــــة الانتاج ويحددها ، ويمنعها من الوفاء بالطلب الوفير على المنتج من السجاد والموكيت من قبل عديد من الجهات المحلية وأهمها الفنادق .

وقد كانت اهم دوافع انشاء هذه الصناعات :

- قوانين الاستيراد وتعقدها ، وارتفاع تكلفة المواد الخام المستوردة من الخيـــــوط والالوان .
- عامل الوقت ، من حيث طول المدة اللازمة لعملية الاستيراد .
- عدم امكانية التحكم فى الكميات المستوردة والتى يجب أن تكون بكميات تتناسب مـــع الجهود المبذولة فى استيرادها .

وتشير عملية توالى انشاء الصناعات السابقة الى محاولة مستمرة لتحقيق الاعتماد علـى الذات وبذل الجهود الكبيرة للوصول الى الاستقلالية والتخلص من التبعية فى الاحتياج الى المواد الاساسية التى تقوم عليها صناعة النساجون الشرقيون لصناعة السجاد والموكيت .

ولاشك ان الانتاج المتميز لهذه الصناعات كان وراء الطلب الوفير على المنتـــج - الامر الذى جعل القائمين على هذه الصناعة يسعون الى التحرر من اى قيود تحـــــدد العملية الانتاجية ، خاصة مع وجود قوى بشرية لا تكل ولا تمل من زيادة الانتاج ، بـــل ترغبه وتفتخر به بفضل رعايتها لهذا الانتاج ، ورعاية هذا الانتاج لها اجتماعيـــــــا واقتصاديا كما سبق توضيح ذلك .

والاعتماد على الذات فى توفير تلك الصناعات ادى ـ الى جانب ما حققه من أبعـــاد اقتصادية معروفة ـ ادى ايضا الى تحقيق ابعاد اجتماعية هامة منها :

١) العمل على توفير الاستمرارية بالنسبة للرعاية البيئية المتكاملة ، واعطاء مزيد مـــن التأسيس Institutionalization والتدعيم لمنهجها وذلك باعطاء صلاحيات لذوى الخبرة القدامى من العمالة الفنية المدربة بأن تأخذ مراكز رئاسية فـــى ادارة هذه المصانع بما اكتسبوه من خبرة عملية وممارسة ميدانية للمشاركة فى العمل وسلطات فى وضع واتخاذ القرار وفهمهم العميق لاهمية الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشريـة وعلاقتها بالانتاجية من خلال ممارسة شخصية كمستفيد من هذه الرعاية .

٢) العمل على وجود التقاء بين مجتمع المنتجين ومجتمع المستهلكين وقدرة المنتج علـــى الوفاء بحاجة المستهلك ، وتوفير الذوق المحلىالخاص به مما يزيد من عملية الانتاج ويحدد عمليات الاستيراد ويوفر النقد الاجنبى .

٣) استخدام مزيد من العمالة وتدريبها واعطاء فرص كثيرة للشباب للعمل فى مجـــال الصناعات الجديدة الحالية وما قد يترتب من انشاء صناعات عديدة مستقبلية ينطلـق تأسيسها من استمرارية الاعتماد على الذات لمواجهة الجديد المتطور فى هـــذه الصناعات والصناعات المنبثقة منها .

٤) اخيرا ، فان تجربة النساجون الشرقيون بالشكل الذى نشأت به والاساليب التـــى اتبعتها فىّ مجال الرعاية البيئية للقوى البشرية بالشكل الذى تم طرحه ، يشير الى ان تلك القوى فى ظل تلك الرعاية اصبحت وسيلة لتحقيق اساليب الاعتماد علـــى الذات بالمشاركة فكرا وتخطيطا وتنفيذا واخرجت الى حيز الوجود نماذج حية تجسد الاعتماد على الذات كواقع يزخر بالمعانى والدروس المستفادة ، ولم يعد شعـــارا نسمعه أو نقرأه ـ بل حقيقة حية نحتاج منها المزيد والمزيد .

التوصيات

اتضح من نتائج التقييم الميدانى لتجربة " النساجون الشرقيون " فى مجال الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية العاملة فى صناعة السجاد ، أن هذه التجربة قامت بمحاولة جادة لتحقيق معانى ومضمون هذه الرعاية داخل مواقع الانتاج وخارجه ، ممتدة الى الحيز السكنى والاسرى والاجتماعى الذى تعيش فيه تلك القوى كما أشارت النتائج وذلك من خلال فلسفة واهداف وأساليب اعتمدت بشكل أساسى على التراكيز على القوى البشرية والعلاقات الانسانية فيها والرعاية لها .

فمن خلال الايمان بأهمية الرعاية البيئية المتكاملة لتلك القوى وعلاقتها بالانتاجية قام المصنع بمسئوليته كاملة فى كل ما يتعلق بعناصر هذه الرعاية .

وقد تبين من النتائج ان اى قصور فى بعض جوانب الرعاية خارج المصنع انما هو قصور فيما يتعلق بخدمات المدينة بوجه عام والتى يقوم المصنع بالمسارعة فى توفيرها اذا كان هناك طلبا عاما عليها .

ونظرا لان هذه الصناعة مقامة فى مدينة العاشر من رمضان ، وهى مدينة صناعية جديدة ، فانه من الطبيعى ان المدينة يقع عليها العبء الاكبر فى توفير الخدمات الاجتماعية خارج المصنع للعمال المفروض اقامتهم فى المدينة وذلك فى توقيت سليم يتواءم مع حجم الخدمات المطلوبة بالنسبة لانشاء الصناعات وتوفيرها بالشكل الذى يتوافق مع الطلب على هذه الخدمات .

والوضع بهذا الشكل وضع سليم لا خلاف عليه ، ولكن الخلاف يرجع الى توقيت وجود هذه الخدمات وتكاملها ومستوى تقديم الخدمة واستمراريتها ، وهو أمر يشوبه القصور فى بعضها مثل نقل انابيب البوتاجاز ، وعدم وجود المستوى الجيد من المدرسين فى المدارس وعدم وجود وسائل الترفيه والثقافة .

وفى ضوء التسليم بدور المدينة الاساسى فى توفير الخدمات الاجتماعية وتكاملها ومسئولية عملها بالمستوى المطلوب ، من حيث ان المدينة أساسا قامت لخدمة القوى البشرية العاملة فى الصناعات القائمة بها لجذب هذه القوى والعمل على تخفيف الضغط السكانى على مدينة القاهرة .

فى ضوء ذلك ، فان التوصيات التى تم بناؤها على نتائج هذه الدراسة فيما يتعلق بموضوع الرعاية البيئية المتكاملة ، هى توصيات ركزت معظمها على دور المدينة بالنسبة لضرورة وأهمية العمل على الوفاء بمتطلبات القوى البشرية من الخدمات خارج بيئة العمل هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بالنسبة لحماية بيئة المدينة بشكل عام ودورها الحالى والمستقبلى فى التنسيق بين مجتمع المنتجين فى هذا المضمار باعتبارهم يمثلون المستفيدين من هذه الخدمات وذلك على النحو التالى :

اولا : دور المدينة بالنسبة للوفاء بتكامل متطلبات القوى البشرية العاملة في مجال الصناعة :

١) نظرا للدور الكبير الذى تقوم به الصناعة فى مدينة العاشر من رمضان فى المجالات المختلفة ، وقيام اغلب الصناعات بالمساهمة المادية فى توفير المساكن وذلك بشراء الوحدات السكنية كسكن ادارى لعمالها لسرعة العمل على استقرار العمالة ، فان على جهاز المدينة دور أساسى في سرعة استكمال وتوفير الخدمات المكملة للمسكن بالقدر والمستوى الذى لا يقلق العامل وأسرته أو يضع أعباء اضافية على اصحاب الصناعة فى مسئولية استكمال هذه الخدمات للعامل كما يحدث فى الخدمات الغذائية والتعليمية والترفيهية .

٢) ضرورة التخطيط بالنسبة لتوفير الخدمات فيما يتعلق بتوسعات الصناعة ومتطلباتها من الرعاية البيئية لعمالها ، وذلك بوضع خطة مستقبلية لهذه التوسعات للعمل على توفير الخدمات الاجتماعية المطلوبة لعمالها فى الوقت المناسب لقيام الصناعة ، وهى من الامور التى تعمل على دفعها خاصة فى بداية عملها .

٣) ضرورة العمل على النمو الرأسى لتوعية الخدمات الاجتماعية الموجودة بالمدينة ، مع زيادة الاهتمام بخدمات الجوانب الثقافية والترفيهية والرياضية ، وهو أمر يتطلب وضع برامج بالمشاركة مع المسئولين عن الصناعات لتنشيط هذه الجوانب بالشكل الذى يتوافق مع الاحتياجات الاساسية للعمال نظرا لتعدد البيئات الثقافية لنوعية العمال الذين يتوافدون للعمل فى المدينة من جهات متفرقة من الجمهورية .

ثانيا : بالنسبة لدور المدينة فى حماية البيئة بشكل عام :

فلا جدال فى ان تشكيل مجلس الامناء(١) يعتبر خطوة ايجابية للمشاركة فى رعاية بيئة المدينة من خلال المهام الموكولة اليه بالنسبة لمعاونة جهاز المدينة بشأن الخطط والبرامج اللازمة لتنميتها .

وباستعراض الاطار العام لمجلس الامناء ومهامه ودوره فى توفير الرعاية البيئية المتكاملة لعمال المصانع الذين يشكلون رأس المال الحقيقى للصناعات المقامة بالمدينة ، فانه يمكن الاشارة الى بعض النقاط الهامة وهى :

١) ضرورة استمرارية اعطاء صلاحيات وسلطات لمجلس الامناء بالنسبة لوضع واتخاذ القرارات الخاصة بالرعاية والعناية ببيئة المدينة وحماية الجوانب البيئية الاجتماعية للعمالة بها ، ودفع دوره فى هذا المضمار ، لما لهذا الدور من أهمية كبرى

---

(١) يتكون مجلس الامناء من :
٣ اعضاء من هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة
٩ اعضاء من اتحاد المستثمرين بالمدينة
٣ اعضاء من اجهزة الخدمات
٣ اعضاء من العاملين بالمشروعات الصناعية بالمدينة
٢ اعضاء يختارهم رئيس المجلس
وقد تم تكوين هذا المجلس بموجب قرار وزير التعمير والمجتمعات العمرانية الجديدة رقم ١٠١ لسنة ١٩٨٦ الصادر فى ١٨/٥/١٩٨٦.
المصدر : جهاز مدينة العاشر من رمضان / قرار مجلس أمناء المدينة .

بالنسبة للعملية الانتاجية وذلك بشكل ايجابى ملزم يتعدى حدود المشاركة والمناقشة واقتراح البرامج والحلول ، الى المشاركة فى التنفيذ ، خاصة وأن أصحاب الصناعات يقومون بالمساهمة الفعلية فى عبء استكمال عديد من الخدمات لعمالها كما وضح من تقييم تجربة النساجون الشرقيون ، من حيث أن عامل السرعة فى تنفيذ الخدمات الاجتماعية للعمالة يشكل واحدا من العناصر الرئيسية فى تثبيت العمالة وتشجيع اقبالها وهجرتها الى العمل فى المدينة .

٢) أهمية اشراك اعضاء ممثلين للمنتفعين بخدمات المدينة باختلاف أعمالهم فى مجلس الامناء ، من حيث أن تلك الخدمات يشترك الجميع فى اهمية الحصول عليها بالنسبة لجميع المقيمين بالمدينة .

٣) أهمية تركيز عمل المجلس على تحفيز روح المشاركة الذاتية لحماية البيئة بالنسبة للمقيمين بها على اختلاف نوعياتهم وذلك لايجاد نوع من الترابط الفكرى والاجتماعى داخل المدينة ، واجتماعهم كأسرة واحدة على أهداف جماعية تعمل على تآلفهم واستقرارهم وتبادل الخبرات فيما بينهم .

٤) أهمية الالتزام بالتخطيط الاساسى للمدينة والذى يضمن الرعاية البيئية لها ، وضرورة مطابقة التنفيذ للتخطيط الخاص بالمدينة الذى تم دراسته على أسس بيئية سليمة حالية ومستقبلية ، وهو يمثل أحد الادوار الرئيسية لمهام مجلس الامناء .

٥) ضرورة تنشيط ودفع مجلس الامناء للعمل والتطور السريع المستمر لمهامه ليواكب سرعة التطور والتوسع فى الانشطة الصناعية بالمدينة وتطور احتياجاتها من العمالة والخدمات اللازمة لها .

ويعتبر ما حدث من تطور وتوسع بالنسبة للنساجون الشرقيون لصناعة السجاد أحد الامثلة التى تشير الى ضرورة ذلك .

وأخيرا ، فان مدينة العاشر من رمضان - كمدينة صناعية جديدة - لابد أن تقـــوم بدورها كاملا فى مجال الرعاية البيئية والاجتماعية لقاطنيها من خلال التركيز على المشاركـة ، خاصة وأن هذا الدور يلعب دورا رئيسيا فى استقرار المواطنين بها ، ويتيح مناخا جيـــدا لعمل المنتجين فى دفع وتطوير الانتاج - الامر الذى يجعل المدينة تكتسب شخصية ونمطـــا جديدا غير تقليدى يعتمد على الذات فيعكس القيم الاصيلة للقوى البشرية المصرية خاصة وانـه توجد بدايات فى هذا المضمار .

ثالثا : دور المدينة فى التنسيق بين مجتمع المنتجين بالاستفادة بالتجارب والخبرات فـــى مجال القوى البشرية والانتاج :

يقع على عاتق مدينة العاشر من رمضان كمدينة جديدة صناعية مهام كثيرة تتعدى حدود توفير الخدمات واماكن الصناعات والرعاية البيئية الى آخره من مسئوليات عديدة .

وبتقييم تجربة النساجون الشرقيون فى مجال الرعاية البيئية المتكاملة ، تبيـــن أن هناك دورا هاما يضيف عبئا جديدا على مهام المسئولين عن ادارة المدينة كمدينة صناعيـــة لها ادوار تتناسب مع طبيعة الهدف الذى انشئت من أجله .

فقد اوضح تقييم تجربة النساجون الشرقيون فى مجال صناعة السجاد وهى واحدة من الصناعات العديدة المقامة فى المدينة - أوضح ان هناك ضرورة لتبادل التجارب والخبـــرات بين المنتجين فى المناهج والاساليب المتميزة من منظور علاقتها بدفع العملية الانتاجيـــة ، حيث لا يجب أن تقف وتتحدد الاساليب الناجحة فى محيط صناعة واحدة فقط ، ولكن هناك ضرورة فى العمل على نشر هذه الاساليب فى محيط مجتمع المنتجين للاستفادة بها ، ويجـب على جهاز المدينة ان يضيف الى مهامه الاضطلاع بهذا الدور باعتباره أحد أجهزة الدولـة التى يعنيها فى المقام الاول دفع الانتاج لصالح الاقتصاد القومى . ويحتاج تبـــــادل الخبرات بين المنتجين وجود جهاز خاص بالمعلومات وتخطيط برامج خاصة لهذا الهدف .

ويلعب الاعلام دورا هاما فى هذه البرامج ، حيث يعمل الاعلام على توسيع دائـــرة الاهتمام بالتجارب الايجابية والعمل على نقلها الىّ المراكز الصناعية الاخرى على المستويـــات المختلفة خاصة فيما يختص بالعناية بالقوى البشرية فى الصناعة ، وتوفير الرعاية البيئية المتكاملة لها ، وهى أحد الموضوعات التى لا يتم التركيز عليها فى الغالبية العظمى من الصناعـــات القائمة فى المراكز الصناعية المنتشرة فى أرجاء مصر والتى يعانى أغلبها من التدهور فـــى انتاجيتها بسبب نقص هذه الرعاية .

وفى النهاية يمكن القول ان تجربة " السلجون الشرقيون " بالنظر الى النتائج التـى توصلت اليها هذه الدراسة كدراسة استطلاعية ، لا يجب أن ينظر اليها باعتبارها أحـــد التجارب التى اثبتت نجاحها فى مجال الانتاج ، ولكن يجب ان ينظر الى هذا النجاح نظرة فاحصة متعمقة لاسباب هذا النجاح .

فبالاضافة الى ما ادى اليه هذا النجاح من انجازات فانه ينبغى ان نتعرف علـــى اسباب هذا النجاح وندرس المنهج والاساليب التى استخدمها للتوصل اليه ، مع محاولـــة الاستفادة بها واعادة تقييم النظم المستخدمة فى عديد من الصناعات القائمة على ضوئهـا ، خاصة التى تتدهور انتاجيتها والتى اهملت رعاية عنصر القوى البشرية كواحد من العناصـــر الاساسية لدفع العملية الانتاجية .

واذا كان توفير الرعاية البيئية المتكاملة ، أصبح يواجه بكثير من التحديات والعقبات فى المدن الصناعية الكبيرة المزدحمة ، فان ذلك يؤكد دور المدن والمراكز الصناعية الجديدة فى اضطلاعهم بدور الخدمات الاجتماعية للقوى البشرية والتركيز على تكامل هذه الخدمـــات مع خدمات الرعاية البيئية داخل مواقع الانتاج فى اطار تخطيط متفهم واع بأهمية توفيـــر هذه الرعاية لزيادة الانتاج .

واذا كانت أغلب التوصيات قد ارتبطت بدور المدينة فى توفير الخدمات التى تعمـــل على تكامل الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية القائمة بالعمل فى مجال الصناعة فـــى

المدينة ، فقد تم التركيز على هذا الدور بأعتبار أن طبيعة الهدف الاساسى من انشـــاء مدينة العاشر من رمضان هو الانتاج ، وذلك باقامة الصناعات المختلفة بها ، وذلك الـــى جانب ما يترتب على اقامة هذه الصناعات من خلخلة سكانية للتكدس السكانى خاصة فى منطقـة القاهرة الكبرى ، الامر الذى يجعل جميع أنشطة اجهزة المدينة توضع أساسا لخدمة القـوى البشرية التى ستحقق هذه الاهداف .

والتقييم الميدانى بالنسبة لتجربة " النساجون الشرقيون " والتى اثبتت نجاحهـــا وتحقيق دفعة كبيرة فى الانتاج يرجع الفضل فى جانب كبير منها الى ما تم تقديمه فى هـذه التجربة من رعاية بيئية متكاملة بالنسبة للقوى البشرية العاملة فى هذه التجربة ، وحـــرص مؤسسيها على تكامل هذه الرعاية داخل مواقع الانتاج والعمل على استكمال او سد النقـص فى بعض الخدمات البيئية خارج الانتاج .

هذا التقييم يجعلنا أشد حرصا على استمرارية نجاح هذه التجربة واستمراريـــة نجاحها وتقدمها وتطورها .

وفى هذا الصدد ، فاننا نقدم التوصيات التالية لمؤسسى صناعة النساجون الشرقيون والقائمون على ادارتها :

ان المجهودات التى بذلت فى تحقيق النجاح لهذه الصناعة من خلال الرعايـــة البيئية المتكاملة التى تم تقديمها للقوى البشرية العاملة هى مجهودات كبيرة وشاقة ، ولكن الاكبر منها والاكثر مشقة هو الاستمرارية بنفس السياسات والاساليب لتحقيـــق الاهداف البعيدة المدى لهذا النجاح ، وذلك بالنسبة لارتباط الرعاية البيئيـــة للقوى البشرية بجوانب حسية عميقة متفهمة وواعية للعلاقات انسانية ودورها فـــى الانتاج .

ومن الطبيعى أن يختلف البشر فى تفهم وادراك خطورة هذه الجوانـــب

التى قد تتأثر بعمليات التدريب والممارسة الى حد كبير ، ولكنها لا تخضع لهـــا خضوعا تاما فى تحقيق نتائجها .

لذلك فهناك ضرورة لتدعيم تلك الجوانب بتأسيس وتدعيم النظام القائم فى مجال الرعاية البيئية المتكاملة على أسس أصيلة ـ الامر الذى يضمن استمراريته ولا يخضع لاى تغييرات فردية من جانب القائمين على الادارة بالنسبة لاساليب العلاقات الانسانيـــة وتكامل الرعاية البيئية .

٢) هناك اهمية للتركيز على النظرة المستقبلية بالنسبة لخدمات الرعاية البيئية خارج مواقع الانتاج وذلك فى ضوء التوسعات الحالية والمستقبلية المتوقعة لهذه الصناعة ومـــا يترتب عليها من زيادة فى القوى البشرية ستحتاج مزيدا من التسهيلات والخدمـــات لهذه الرعاية .

وكما بدأت التجربة بفلسفة وفكر وأساليب الاعتماد على الذات ، فان متطلبـــات المستقبل تضع مزيدا من الاعباء والعمق لتنفيذ هذا المنهج بشكل يتواءم مع الاعبـــاء المتزايدة الملقاه على عاتق المدينة فى هذا الصدد ، والذى يتوقع مع زيادتها القصـــور أو التأخير فى تحقيق المستلزمات للقوى البشرية المتزايدة فى هذه الصناعة وغيرها مـــن الصناعات الاخرى .

ولمزيد من الحرص على تحقيق الرعاية البيئية المتكاملة للقوى البشرية من منظـــور علاقتها بزيادة الانتاج ، فان على القائمين على هذه الصناعة التخطيط حاليا لتوفير بعـض خدمات الرعاية البيئية خارج مواقع الصناعة بشكل خاص لهذه الصناعة ، مثل اقامة نـــادى خاص " بالنساجون الشرقيون " يضم عديدا من الانشطة الرياضية والثقافية والترويحية والدينية بالكم والنوع الذى يدعم ويعمق فلسفة وفكر هذه الرعاية ويؤمن صحة الفرد العامل الجسديـة والنفسية وعلاقاته الاجتماعية بأسرة الانتاج من جهة ، وبين أسرة المنتجين فى الصناعـــات الاخرى ، وذلك من خلال برامج تخطط وتعد ذاتيا لهذا الهدف .

الفصـــل الخامـــس*

العوامل الاجتماعية المسببة للادمان على تعاطى المخدرات وتأثيرها على الانتاجيـة

* قام باعداد هذا الفصل الدكتورة نادرة وهدان الخبير الاول بمركزالتخطيط الاجتماعى والثقافى

مقدمـــة

منذ أوائل الثمانينات تحولت ظاهرة انتشار المخدرات من مجرد ظاهرة محدودة النطاق الى مشكلة قومية معقده ذات تكلفه اقتصادية واجتماعية باهظة تضيف اعباءا اضافية الى الاقتصاد المصرى الذى يعانى أصلا من مشكلات متعددة مما ينعكس سلبيا على خطط وبرامج التنميـــة الافتصادية والاجتماعية . ذلك أن عدد المدمنين يزداد يوما بعد يوم ويرجع ذلك الـــى محصلة أسباب وعوامل مركبة بعضها اجتماعى ، والاخر اقتصادى ، والثالث ثقافى .

ولم تعد المشكلات تنحصر فقط فى حجم الاموال الهائلة من الذهب والعملات الصعبة التى تنفق على شراء كافة أنواع المخدرات بل أيضا فى انخفاض انتاجية الافراد المدمنين فـى شتى الصناعات وكافة مجالات الانتاج والخدمات .

وبذلك يصبح تصورنا مبتورا لو اقتصرنا فى حساب التكفة الاقتصادية والاجتماعيـــة للمخدرات على تكلفة العرض والطلب وانما ينبغى أن يشمل الحساب فاقد الانتاجية لمن تعاطى المخدرات وهو الجانب الخاص فى هـــذه المشكلة .

واذا كنا هنا بصدد طرح هذه القضية للمناقشة ، فان ذلك يقتضى تناولها فـــى سياقها الاجتماعى الذى مهد لانتشارها ، فالمجتمع المصرى شهد تحولات اجتماعية حـــادة أعقبت حروبا ثلاثة وأيدلوجيات اقتصادية وسياسية متنوعه ، كما شهد المجتمع المصرى موجـات متلاحقة من الهجرات ترك فيها الاباء أسرهم فى رقابة الامهات ، وكثيرا ما يترك الاشنـــان أبناءهم فى رعاية الاقارب . وفى غضون تلك التحولات اختلت القيم الاجتماعية وتصدعـــت العلاقات وفقدت الاسرة دورها الاساسى كرافد هام للتنشئة وكدعامة لارساء قواعد القيـــم الاجتماعية . واقتحم الاعلام غير الموجه ستار الجدران ليقدم صورا مشوهة للحياة وجهـــت سلوك النشىء ، وتتابعت موجات الغزو الثقافى لتقوض ما تبقى من قيم داخل المجتمـــع ، وتهاوت المدرسة كمؤسسة للتعليم وترسيخ المبادىء ، واختل دورها كمحصلة للاختلالات التـى حدثت بالمجتمع الكبير .

وانفتح المجتمع المصرى على العالم الخارجى ليستوعب الى جانب تناقضاته الداخلية تناقضات أخرى هى وليدة لمتغيرات متنوعة لا مجال هنا لطرحها ، وتسربت من نوافذ لانفتاح رياح السموم التى تنفسها الانسان المصرى ، بل وتسابقت معامل تصنيع هذه السموم فى تصنيفها وتنويعها . ولقد استهوت هذه السموم كثيرا من الافراد فى ظل الاحباطات التى يواجهها المجتمع المصرى والضغوط التى انعكست عليهم ، فانتشرت بالنوادى والمدارس والجامعات وغيرها من الاماكن فى ظل ضياع الحلم وفقدان الامل الذى دمرته التناقضات الاجتماعية الجارفة وقد تزامن ذلك كله مع غياب " مشروع قومى " يمارس الافراد والجماعات من خلاله أدوارهم الطبيعية ، ويثبتون ذواتهم ويحققونها .

ان الامر ينبغى أن يتجاوز حدود المناقشات الرسمية ليتطرق الى كافة المؤسسات الاجتماعية التى يمكن أن تلعب دورا اساسيا فى هذا الصدد كالاسرة والمدرسة والاعلام ومؤسسات البحث العلمى التى من الممكن أن تسهم فى تحديد العوامل التى دفعت الى الادمان من خلال وسائل التشخيص التى تتوفر للبحث العلمى .

وتهدف الدراسة الى :

- تحديد مدى تأثر الصحة العامة للفرد المدمن بنوع المخدر وطريقة تعاطيه له .
- أثر ادمان الفرد على الانتاجية ومدى التزامه بقواعد العمل .

منهج الدراسة وأدواتها والصعوبات التى واجهتها

تعد دراسة هذا الموضوع من الامور الصعبة والشاقة فى تناولها وبشكل خاص فى جانبها التطبيقى الذى يتطلب العديد من المقابلات المتعمقة مع المدمنين وذويهم ، وتكمن الصعوبة فى أن المدمن عندما يصاب بهذا الداء فانه يحيطه بالكتمان حتى عن أقرب الناس اليه ، واذا حاول أن يواجهه أحد به فانه ينكر ذلك تماما حتى يبعد الشبهه عن نفسه ، فكيف يتأتى للباحث اذن أن يتعرف على المدمن ويحصل منه على بيانات صادقة تخدم غرض البحث . وبما أن الموضوع يتعلق بالادمان والانتاجية كان التفكير فى الاتصال بعدد من

المؤسسات الانتاجية ، ومن خلال الادارات الصحية فيها يمكن تحديد بعض الافراد المدمنين وذلك بهدف التعرف على فترات الانقطاع ومدى تأثر عمل المدمن وامكانية تقدمه فى العمل بعد أن أصبح مدمنا . كما يمكن فى ذلك الاطار المؤسسى أن تتاح فرصة المقارنة بين العامل المدمن وأدائه والعامل غير المدمن . الا أن هذا المدخل لم يتيسر لنا بسبب انكار هذه المؤسسات لوجود مدمنين بها وأيضا جاء ذلك الرد بهدف ابعاد الشبهه عنها كمؤسسة انتاجية . وامام ذلك لم يكن هناك مفر من اللجوء الى احدى المؤسسات العلاجية التى تضم مجموعة من المدمنين ، وبالفعل وقع الاختيار على مستشفى الدكتور ماضى أبو العزايم بمدينة نصر ، وتم مقابلة عدد من الحالات يتم عرضها فى الجزء الثانى من البحث والخاص بالدراسة الميدانية المتعمقه والذى يحاول القاء الضوء على الاثار التى تركها الادمان على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

وقد استخدمت المقابلة كاحدى الوسائل المنهجية الفعالة فى هذا البحث ذى الطبيعة الخاصة ، والذى قد تعجز الوسائل التقليدية للقياس كالاستبيان فى كشف بعض الحقائق حول هذه المشكلة هذا من جانب ، ومن جانب آخر أعد دليل للمقابلة المتعمقه لتوجيهها ولجمع البيانات على أساسه ولقد تضمن الدليل الجوانب التالية :

- بيانات أساسية عن المبحوث .
- ظروف النشأة وعلاقة ذلك بالادمان .
- كيف بدأ المدمن قصته مع هذه المواد .
- الاثار التى ترتبت على الادمان فى حياة المدمن فى العمل والصحة والانتاج .

وتتكون الدراسة من جزئين :

الجزء الاول : أثر المخدرات على الصحة العامة للفرد ،وتضم

أولا : الادمان ومصطلحات أخرى .

ثانيا : العقاقير التى تسبب الادمان وأثرها على صحة الفرد .

الجزء الثاني : الدراسة الميدانية المتعمقه على عدد من الحالات

ثم أخيرا التحليل العام ثم الملاحق والمراجع .

الجـــزء الاول

أثر المخدرات على الصحة العامة للفرد

أولا : الادمان ومصطلحات أخرى

المخدر قد يكون مادة مخدرة وقد يكون نباتا من النباتات المنتجه للمواد المخدرة أو بذورها فمفهوم المخدر يتسع ليشمل المادة المخدرة والنبات الذى يثمره والبذور التى نبتت هذه النباتات .

وقد حدد القانون رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل على سبيل الحصر المواد المخدرة وأدرجها على الجدول الاول المرفق بالقانون ولم يعن القانون بتقسيم المخدرات حسب أى معيار من معايير التقسيم (الاصل - التأثير - خصائص ادمان - اللون - النظام الدولى للرقابة) وهذا الحصر يتفق مع خاصية التحديد والوضوح التى يقسم بها القانون الجنائى ، كما حدد القانون على سبيل الحصر النباتات المنتجة للمخدرات والمحظور زراعتها وأدرجها فى الجدول رقم ٥ المرفق بالقانون ولم يغفل الشارع المصرى ما قد يكشف عنه المستقبل من مواد أو نباتات لها نفس تأثير المواد المخدره والنباتات المخدره فأعطى المسئولين عن وزارة الصحة حق اضافة هذه المواد أو النباتات الى الجدول الاول (جدول المواد المخدره) أو الجدول الخامس (جدول النباتات المخدره) .

وتعاطى المخدر يضر بسلامه جسم المتعاطى وعقله وهذا الضرر يختلف درجة خطورته تبعا لخصائص العقار المستعمل ووسيلة تعاطيه وتبعا لشخصية المتعاطى وتبعا للبيئة التى يجرى فيها التعاطى اجتماعيا وثقافيا وقد يتصاعد الضرر لكى يصل الى الموت أو الجنون .

وتعتبر " الماريوانا " أضعف انواع المخدرات تأثيرا و " الهيروين النقى " أكثرها تدميرا ، فالماريوانا أحد أصناف مجموعة الحشيش وهى أصناف تتوقف كل منها على كمية المادة الفعالة الموجوده (تتراهيدروكابيتول) والماريوانا تحضر من لباب أغصان صغيرة برية لنبات القنب ويأتي بعد الماريوانا الحشيش ثم راتنج الحشيش وأخيرا الحشيش السائل الذى يحتوى على نسبة عالية من المادة الفعالة .

والهيروبين أكثر العقاقير المسببه للموت فى العالم وان كان عدد الوفيات الناتج عن تعاطى الكوكايين قد تضاعف فى الولايات المتحدة الامريكية حتى فاق الهيروبين . والهيروبين هو المخدر الذى يورث الادمان بسهوله أكثر فالغبطه والنشوة التى يثيرها تجعله فى نظر المدمنين أثمن مشتقات الافيون .

والمعروف أن المخدر يؤثر على تصرفات الانسان بتأثيره على الدماغ والجذع . . كذلك ما يطرأ على تصرفات المرء من تغيرات نتيجة تناول المخدرات بما فى ذلك العجز على السيطره على العواطف وانحسار الذاكره وضعف القدرة على صنع القرار ويمكن القول أنه كلما ازدادت سرعة دخول المخدر الى مجرى الدم ازدادت سرعة الشعور بآثاره فتعاطى المخدر عن طريق الاستنشاق أو التدخين فيدخل مجرى الدم بسرعة أقل حيث يتطلب ذلك دخوله فى الشعيرات الدموية للرئتين ويأتى بعد ذلك المخدر الذى يؤخذ عن طريق البلع فيحتاج الى وقت أطول اذ يجب أن يتحلل المخدر أولا ثم تمتصه الامعاء وتنقله الى الدم الذي يغذى الجهاز الهضمى .

ويتطلب الامر منا الوقوف على تعريفات لبعض المصطلحات الواردة فى مجال تعاطى المخدرات :

١) المخدر :

المخدر هو مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعى المصحوب بتسكين الالم ، وكلمة مخدر ترجمة لكلمة Narcotic المشتقة من الاغريقية Narcosis التى تعنى يخدر أو يجعل مخدرا . لذلك لا نعتبر المنشطات ولا عقاقير الهلوسة مخدرة وفق التعريف العلمى ، بينما يمكننا اعتبار الخمر من المخدرات(١) .

---

(١) د . سعد المغربى ـ تعاطى المخدرات ـ المشكلة والحل ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦ - ص ٥ .

٢) العقـار :

كل مادة تغير وظيفة أو أكثر من وظائف الكائن الحى عند تعاطيها .

٣) سوء الاستعمال (١) :

هو الافراط فى الاستعمال بصورة متصلة أو دورية بمحض اختيار المتعاطـــى ، دون ارتباط بالاستعمال الطبى المطلوب والموصوف بواسطة الطبيب بهدف الشعـــور بالراحة أو بما يخيل للمتعاطى بأنه شعور بالراحة أو بدافع الفضول أو لاستشعـــار خبرة معينة .

وسوء الاستعمال لا يصل الى درجة الادمان ، وان كان التفريق بينهمـــا أحيانا صعب للغاية . وذلك لان سوء الاستعمال مثل سوء الاستعمال يتخذ طابعا من اثنين :

أ - الاستعمال المتواصل الذى يقارب الادمان مثل سوء استعمال الافيـــون أو الخمر أو المنومات .

ب - سوء الاستعمال العرضى أو غير المتصل لاستشعار خبرة معينة مثل تعاطـى حامض الليسيرجيك أو الحشيش أو المستنشقات ويعتبر استعمال المسكنـــات والادوية الاخرى بدون وصفه طبية وبصورة متصله أو عرضية نوعا من أنـــواع سوء الاستعمال .

٤) الاعتماد (الادمان) (٢) :

عرفت هيئة الصحة العالمية عام (١٩٧٣) الاعتاد بأنه حالة نفسية وأحيانا عضوية تنتج عن تفاعل الكائن الحى مع العقار . ومن خصائصها استجابات وانمـــاط سلوك مختلفة تشمل دائما الرغبة الملحة فى تعاطى العقار بصورة متصلة أو دوريـــة

---

(١) الامم المتحدة ومراقبة العقاقير ، الامم المتحدة - نيويورك ١٩٨٢ ، ص١٥ .
(٢) الامم المتحدة ومراقبة العقاقير ، سبق ذكره ص ١٠ .

للشعور بآثاره النفسية أو لتجنب الاثار المزعجه التى تنتج من عدم توفره . وقد يدمن المتعاطى على أكثر من مادة واحدة . وقد أضيف للتعريف السابق الخصائص التاليـــة للادمان :

- الرغبة الملحة فى الاستمرار على تعاطى العقار والحصول عليه بأية وسيلة
- زيادة الجرعه بصورة متزايدة لتعود الجسم على العقار ، وان كان بعـــض المدمنين يظل على جرعة ثابته .
- الاعتماد النفسى والعضوى على العقار .
- ظهور أعراض نفسيه وجسمية مميزه لكل عقار عند الامتناع عنه فجأة .
- الاثار الضارة على الفرد المدمن والمجتمع .

٥) التعـــود :

ومن خصائصه :

- الرغبة فى الاستمرار فى تناول العقار لما يسببه من شعور بالراحة .
- عدم زيادة الجرعه .
- تكون قدر معين من الاعتماد النفسى وعدم حدوث الاعتماد العضوى .
- أضرار العقار تنعكس على المتعاطى فقط ولا تمتد الى المجتمع .

٦) الاعتماد النفسى (١) :

حالة تنتج من تعاطى المـادة وتسبب الشعور بالارتياح والاشباع وتولـــد الدافع النفسى لتناول العقار بصورة متصله أو دورية لتحقيق اللذه أو لتجنب الشعـــور بالقلق .

---

(١) دكتور ملاك جرجس : السموم البيضاء والسلوك البشرى ـ الهيئة المصرية العامـــة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ١٢٠ .

٧) الاعتماد العضوى (١) :

حالة تكيف وتعود الجسم على المسادة بحيث تظهر على المتعاطى اضطرابات نفسيه وعضوية شديدة ، عند امتناعه عن تناول العقار فجأة وهذه الاضطرابات أو حالة الامتناع تظهر على صورة أنماط من الظواهر والاعراض النفسية والجسمية المميزه لكل فئة من العقاقير .

وتسبب بعض العقاقير الاعتاد النفسى فقط مثل :
المنشطات ، الكوكايين ، القنب ، عقاقير الهلوسة ، القات ، التبغ ، القهـــــوة ، المسكنات ، المستنشقات .

أما العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى والعضوى فهى :
الخمر ، المنومات ، المهدئات ، الافيون ومشتقاته ، وجدير بالذكر أنه لا توجـــــد عقاقير تسبب الاعتماد العضوى فقط بدون أن يسبقه الاعتماد النفسى .

٨) الادمان على أكثر من مادة :

تنتشر هذه الظاهرة خاصة بين الشباب عموما وبخاصة الحرفيين ، فالشبـاب قد يتعاطى اكثر من مادة واحدة اما ليزيد مفعول مادة تعود عليها ولم يعد مفعولها قويا كالسابق ، أو لعدم توفرها ، أو بدافع التجريب والفضول ومجاراة الرفـاق ، أو لتخفيف تأثير مادة بتناول مادة ذات تأثير مضاد مثل مدمن المنومات الذى يستخـدم المنومات ليلا ثم المنشطات فى الصباح ليزيل الشعور بالكسل والنعاس ، ومن أنمـاط مزج العقاقير الموجودة بين فئات الشباب ما يلى :

- الخمر مع المنومات والمهدئات .
- المنومات والهيروبين والحشيش .
- الخمر والهيروبين والحشيس .

---

(١) الامم المتحدة ومراقبة العقاقير - سبق ذكره ، ص ١٥ .

- استنشاق الصموغ والحشيش وأدوية السعال والدولوكسين .
- الدولوكسين والسومادريل وهو دواء يحتوى على مادة تسبب ارتخاء العضلات.

ثانيا : العقاقير التي تسبب الادمان وأثرها على صحة الفرد

ان تعاطى المخدر يضعف من القوة الانتاجية للفرد وذلك أمر بديهى فان البدن المعتل والعقل المختل والنفسيه المريضة لا يمكن أن يؤدى صاحبها عمله على أكمل وجه. وأى عمل يحتاج الى جهد وجهد عقلى وتتفاوت نسبة الحاجة الى أى من الجهدين باختلاف نوع العمل فالعمل الادبى مثلا يحتاج الى جهد عقلى أكبر من الجهد العضلى بينما أعمال البناء تحتاج الى جهد عضلى أكبر من الجهد العقلى .

واذا كانت الابحاث والمشاهدات الاولية تؤكد أن استعمال الماريجوانا يقلل من ثبات اليد واتزانها ويزيد من تمايل الجسم وترنحه عند انتصابه ويؤدى الى اختلال طارئ في الوظائف العقلية تواكبه حالة قلق وهلع وخوف وتشويش الادراك الحسى للزمان والمكان وقدرة التحكم على الاشياء . واذا كان هذا حال الماريجوانا فما بال لمخدرات الاخرى .

العقاقير التي تسبب الادمان وأثرها على الفرد

العقار المسبب للادمان هو عقار ذو قابلية للتفاعل مع الكائن الحى ، بحيث يؤدى ذلك التفاعل الى الاعتماد النفسى أو العضوى أو لكليهما . وقد تستعمل مثل هذه العقاقير لاغراض طبيه أو غير طبيه دون أن تؤدى الى حدوث هذا التفاعل بالضرورة ، وخواص حالة الاعتماد على العقار عند حدوثها تختلف حسب العقار المستعمل ، فبعض العقاقير مثل التى تحتوى عليها الشاى والقهوة قد تؤدى الى الاعتماد بشكل عام ومثل هذه الحالة ليست ضارة بالتبعية فى حد ذاتها ولكن هناك من العقاقير ما يسبب التنبه الشديد للجهاز العصبى

أو الهبوط أو اختلال الادراك ، والانفعال والتفكير والسلوك والوظائف الحركية بحيث تـــؤدى تحت ظروف معينه من التعاطى الى المشاكل التى تضر بحالة الفرد والمجتمع الصحية .

وهذه المجموعة هى التى يعنيها التعريف فى المقام الاول . وتصنف هذه العقاقيـــر على النحو التالى :

- النمط الكحولى : ويشمل الخمر ، الباربيتورات وعقاقير أخرى مهدئة مثل : الكلـــورال والباربيتورات والماندراكى والليبريوم والفاليوم والميروبامات .
- النمط الامفيتامين : الامفيتامين ، ديكسامفيتامين ، ميثامفيتامين ، رتاليـــــــن ، تيمنيترازين .
- النمط القنابى : الحشيش والماريوانا .
- النمط الكوكاكيينى : الكوكايين وأوراق نبات الكوكا .
- النمط القاتى : نبات القات .
- النمط الافيونى : الافيون ، المورفين ، البيثيدين ، الهيروبين ، الكودابيـــــن ، الميثادون .
- نمط المذيبات المتطايره : التولوين ، الاسيتون ، رابع كلوريد الكربون .

ولكل نمط من هذه الانماط تأثيرات معينة وان تشابهت فى بعض الاحيان واختلطـــت مع غيرها أحيانا أخرى ، غير أنها جميعا لها تأثيرات سالبة وضارة بالصحة العامة للمتعاطى .

الجـــزء الثانـــى

الدراسة الميدانية المتعمقة على عدد من الحالات

حاولنا أن نجرى الدراسة على عينة من المتعاطين متنوعين من حيث الخصائص الاجتماعية والاقتصادية حتى تصبح ذات دلالة واضحه فى التحليل ، ولكن ذلك لم يكن متاحا اذ أن قسم الادمان بمستشفى جمال ماضى أبو العزايم كان يضم حوالى عشر حالات امكن مقابله سبعة منهم والحالات الثلاثة كانت فى غيبوبه بسبب ما ترتب على الادمان أو بالاحرى كانت حالتهم سيئة ، وبذلك فلم يكن أمامنا فرصة لاختيار الحالات وفقا لاسس ومعايير يمكن من خلالها أن تمثل ذلك التنوع الذى يزخر به الواقع . بالاضافة الى حالة " ممثل " قام بدراستها اللواء دكتور فتحى عيد مدير الادارة العامة لمكافحة المخدرات .

والجدول التالى يوضح بعض الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لافراد عينة الدراسة المتعمقه ، وبعد عرضه سوف نتولى تباعا التعرف بشكل متعمق على كل حالة من الحالات الواردة .

جدول يوضح البيانات المتعلقة بحالات الدراسة

رقم الحالة	السن	الحالة الاجتماعية	التعليم	المهنة	الدخل	المنفق فى الادمان
الحالة الاولى	٢٩	مطلق	ثانوية عامة وفصل من كلية التجاره	اعمال حرة	٥٠٠	٥٠٠
الحالة الثانية	٢٦	اعزب	ابتدائية وفصل من الاعدادى	جرسون	٣٠٠	٢٠٠
االحالة الثالثة	٣٣	متزوج	جامعى	طبيب	٢٥٠	٤٠٠
الحالة الرابعة	٢٥	متزوج	اعداديه وفصل من الدبلوم	كهربائى	٣٠٠	١٠٠
الحالة الخامسة	٣٥	مطلق	اعدادية	تاجرفاكهة	١٠٠٠	١٠٠٠
الحالة السادسة	٢٨	متزوج	ابتدائية	تاجر قطع غيار	٧٠٠	٧٠٠
الحالة السابعة	٢٣	متزوج	اعدادية	فى ورشة صياغه	٣٠٠	١٥٠
الحالة الثامنة	٢٨	مطلقة	ابتدائية	لا تعمل	—	٦٠٠
الحالة التاسعة	٤٢	مطلق	معهد عالى	ممثل	اكثر من ١٠ آلاف جنيه	١٨٠٠٠

الحالـة الاولـى

ظروف النشأة والاغتراب بين انماط التنشئة في الاسرة والمجتمع الكبير :

هذه الحالة هى لشاب يقترب من الثلاثين شاحب الوجه زائغ العينين أجهده الادمان واثقل نطق لسانه ، وقد نشأ فى اسرة يعمل الاب فيها موجها للتعليم والام ربه بيت قطعت شوطا فى التعليم . ووسط خمسه من الاخوة (اثنين من الذكور وثلاث من الاناث) نشأ بحى الحلمية الجديدة بالسيدة زينب . واحيط بينهم بالرعاية تعمدت فيها الاب عزله عن الشارع والاقران فى بداية حياته حرصا على تفوقه فى الدراسة وخوفا عليه من انحراف ومن غضون ذلك صاغت له نمطا مثاليا لجوانب السلوك المختلفة متصوره بذلك أن هذا النمط يمكن أن يحميه من الانحراف .

يبدو أنه حينما تجاوز العشرين من عمره لم يجد فى زحام الحياة من تلك الانماط شيئا ، وبدأ غريبا عن الواقع الزاخر بالتفاعلات ولم يستطع مقاومة تياراته :لجارفه فى أول لقاء لها .

قصته مع الادمان :

وبعد حصوله على الثانوية العامة التحق بالجامعة وبكلية التجارة وتعرف فيها على مجموعة من الرفاق تصادف أن كان بعضهم أعضاء بنادى الجزيرة الذى تشترك اسرته فيه . وبهره ما يتمتعون به من جرأة وحريه وتحرك دون مبالاة . وبدا امامهم وكانه طفل يحبو أولى خطواته فى مضمار الحياة فجذبوه اليهم فى لقاءات كانت تبدو جميعها خبرات جديدة جذابه له اسعدته فى أول الامر ، وكانت لقاءات تدخين ثم مخدرات (الحشيش)ثم تطرقت الى امور اخرى (كالعلاقة برفيقات السوء) ، ثم تطورت الى البحث عن انماط جديدة للتسلية واللهو . وكان لبعض هؤلاء الرفاق السبق فى الحصول عليها وتقديمها للمجموعة كلها . ودفعة الفضول وضغوط جماعة الرفاق واهتزاز ثقته بنفسه الى تجربة هذه الاشياء جميعها ومجاراتهم فيها .

ولم تكن تعلم اسرته ما يحيط بابنها ، فقد تصورت تصورا خاطئا فى انها بذلت جهدا كبيرا فى تنشئته واعداده ، وان بينه وبين الانحراف مسافة طويلة . وما لبث الابن أن اصبح مدمنا يتناول كافة انواع السموم ويتعامل معها كمدمن محترف .

الادمان والفاقد الاجتاعي والاقتصادى :

ثم تعثر فى التعليم الجامعى كمحصلة لهذا الضياع وتكررت مرات رسوبه ، اذ فقد تركيزه وقدرته على تحصيل الدروس واضطرت الجامعة الى فصله بعد أن قد مضى فيها سبعة أعوام دون أن يكون قد أنجز شيئا وفى هذه الاونه فكرت الاسرة فى البحث عن سبيل للعيش يرتزق منه الابن فاشترت له سيارة لاستثمارها وبالفعل قام بتأجيرها وعاش على عائد هذا الايجار ، ثم تزوج من احدى بنات الجيران واستمر زواجه منها أربعة أعوام انجب منها طفلا . ولم يكتشف أمره الا زوجته التى بدأت تلاحظ عليه أعراض غريبه كغيبته عن الوعى وغيرها من الاعراض التى تنتاب المدمن فى مراحل متأخره وحاولت جاهدة أن توقفه عن هذا الداء اللعين ، ولكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل ، وامام ذلك طلبت الطلاق فى ظروف ابتلع فيها الادمان دخل السيارة ومساعدات الاهل وقوته الجسدية والنفسية والعقلية .ولم يجد الزوج بدا من بيع السيارة لسداد الديون التى تراكمت عليه حيث يقول (المخدرات دى عايزه فلوس كتير ، صحيح أنا كنت باشتريها سنة ١٩٨٠ لما بدأت بـ ٧٥ قرشا ، ولكن المدمن محتاج فى اليوم لمبلغ كبير جدا ١٠٠ - ٣٠٠ جنيها يوميا) .

وببيعه السيارة التى هى مصدر رزقه يكون قد فقد آخر موردا اقتصاديا له ، وبطلاقه لزوجته يكون قد دمر أسرته وباستمراره فى الادمان يكون قد فقد صحته وتوازنه النفسى والعقلى وانقطعت علاقاته السويه بكثير من الاهل والاقرباء وانهارت حياته ، ولجأ أمام ذلك الى اسرته (الام والاب) طالبا العون منهم والمساعدة ومعترفا لهم بأنه قد فقد كل شئ ويحتاج الى الخلاص من ذلك فأودعوه هذه المصحه .

الحالـة الثانيـة

ابن أسوان يفقد فوق بواخـر النيـل

أ - **ظروف النشـأة :**

هذه الحالة هى لشاب عمره (٢٦ سنه) اعزب ولد فى اسوان وقضى فيهـا هذه السنوات من عمره ، فى اسرة مكونه من أب وأم وسته من الابناء الذكور والانـاث وترتيبه الاخير فى المجيء الى الحياة ، توفى والده وهو فى سنوات عمره الاولـى ، وتولى رعايته الاخ الاكبر الذى حاول أن يعوضه عن حنان الاب فأسرف فى تدليله .

ب - **التعليم والمهنـه :**

استمر فى التعليم حتى السنه الثانية اعدادية وتعلم بجانب القراءة والكتابـة تعلم من رفاق السوء شرب السجائر والحشيش ، واظهر عدم رضاه عن المدرسـة أو التعليم لاسرته فحاول أفرادها اقناعه بالاستمرار الا أنه بدأ يتغيب كثيرا الـى أن فصل من المدرسة بعدها عمل فى البواخر النيليه فى أعمال الخدمه ، وتعلم فيهـا شرب الخمور الى جانب ما كان يعتاده من المكيفات الاخرى . وبلغ مرتبه من هـذا العمل ٢٠٠ جنيها بجانب البقشيش كان ينفقهم جميعا وفوقهم مثلهم فى مواجهـة احتياجاته من المواد المخدره .

جـ - **قصته مع الادمـان :**

يقول : دعيت الى أحد افراح أسوان التى تشهد كافة أنواع الميكفات حيث يقدمها اصحاب الافراح تحيه للمدعوين ، وبعد أن دخنا الحشيش الذى كنت قـد اعتدته منذ أن كنت بالمدرسة ، دعانى صديق لى كان موجودا بالفرح دعانى الـى تجربه صنف جديد قائلا (معايا حاجه آخر تمام ومفعولها اكيد واحسن من كـل الحاجات اللى احنا شربناها النهارده واخرج من جيبه " برشام ابو صليبه" واعطانـى واحده ولقيته كويس ومفعوله اكيد وعدل دماغى تمام) .

د - **الادمان وأثره على الانتاجية بالنسبة للمدمن :**

تنفق هذه الحالة على الادمان ما بين ٣٠ - ٥٠ جنيها يوميا ويمثل ذلك استنزاف للدخل مضافا اليه ما يحصل عليه من مصادر أخرى لمساعدة الاهل والاستدانة ، كما ادى الادمان الى تكرار انقطاعه عن العمل وحدوث مشاكل متنوعة بينه وبين رؤسائه فى العمل حيث يقول (بعد أن وصلت لمرحلة وحشه فى الادمان كان " المتر " بتاعى فى الشغل حاسس انى مش فى وعيى وبخسر حاجات كثير وأتلف أشياء لانى مش قادر أشيلها ومفيش تركيز وكان يقولى بلاش توهان يابنى وخلى بالك من نفسك وشغلك . ولكن لما ملقاش فايده فمشونى من الشغل ، وجربت اربع أو خمس اماكن وكل مكان كان بيكتشف امرى كان يطلب منى ترك العمل) وبهذه الطريقة يكون قد فقد عنصرا هاما من عناصر التقدم فى العمل وهو اخبره بسبب العمل المتقطع فى اماكن متفرقه .

هـ - **الادمان والصحة :**

وضح من المقابلة أن هذه الحالة قد أثر فيها الادمان بشكل ملحوظ ، فكانت تبدو فى لحظات كثيره فاقده للتركيز ويهزى بكلمات غير مفهومه ، ويبدو الخلط واضحا فى تفكيره ، حيث اتلف الادمان بعض خلايا المخ . كما أن شفاءه اصبح من الامور الصعبة حيث تكررت مرات علاجه ، فقد الحق بمستشفى الدكتور الرخاوى ٤٠ يوم وبعد الخروج مباشرة عاد الى التعاطى لانه كما يقول (مقدرش استغنى عن الحاجات دى) وهو الان يعالج بمستشفى د. جمال ماضى أبو العزايم منذ ١٢ يوم ومع ذلك فالتحسن غير واضح ومازال يترنح وكانه قد تعاطى من هذه المواد ما يكفيه مدى الحياة .

الحالـــة الثالثـــة

طبيب يدمن

أ - ظروف النشأة :

هو شاب فى الثالثة والثلاثين من عمره نشأ فى اسرة محافظة تتكون من الاب والام وسته من الابناء والبنات ، ولدان هو احدهما وأربعة بنات ، وكـــان الاب يعمل بالتدريس الذى ظل فيه حتى منتصف السبعينات ثم سافر الي السعوديـــة للعمل ومازال بها حتى الان ولم تكن للاسرة كما يقول هذا الشاب لها علاقـــات بل كانت اسرة منغلقه على نفسها ، تفوق الابناء فيها حيث انكبوا على المذاكـــرة فقط والتى كان يحاسبهم عليها الاب حسابا عسيرا يصل الى حد الضرب المبـــرح اذا حدث تقصير فيها . وبعد حصوله على الثانوية العامة بمجموع كبير التحـــق بكلية الطب واستمرت حياته كما هى تسير وفق ذلك النظام الذى رسمه الاب فهـــى للدروس فقط ، وخلت من الصداقات أو اشكال الترفيه أو اللعب ، ثم تخرج مـــن كلية الطب متفوقا ايضا ولكنه لا يعرف من الحياة شيئا ، والتحق بالعمل فـــى احدى المراكز الطبيه بالقاهرة . واملا فى زيادة دخله عل بعيادة خاصة فـــى المساء وقدم أوراقه للجامعة لاستكمال دراسته العليا .

وحرصا من الاب على الابن اقترح عليه الزواج وزوجه بالفعل وجهز له مسكنا فى نفس البيت الذى كان قد بناه من عائد العمل بالخارج .

ب - قصته مع الادمان :

فرضت الظروف الجديده عليه الاتصال بالناس ويقول (وجدتنى خجـــولا منطويا ورغم تفوقى فقد كنت فاقدا لثقتى فى نفسى امام خبراتى المحدوده فـــى الحياة ، وتعرفت على مجموعة من الشباب بعضا منهم لم يكمل تعليمه ولكن كانـوا يسافرون الى اوروبا والبلاد العربية ومنهم من يبدو عليه علامات الثراء الفاحش ،

وشعرت أمام هؤلاء بآلام نفسيه بعدم قدرتى على مجاراتهم ، وكنت اصاب دائما بنوع من الصداع الذى بدا مزمنا بالنسبة لى ولكنه كان وسيله لخروجى من أى مأزق أجد نفسى عاجزا عن الخلاص منه ، ولاحظ بعض هؤلاء الاصدقاء مواطن ضعفى فقال لى أحدهم " عندى حاجة للصداع وكمان تجمد قلبك وتخليه زى الحديد وتخليك مبسوط على طول وتزيل عنك الاكتئاب صحيح انت دكتور لكن سيب علينا الحكايه دى وخليك مع العيانين بتوعك وخلى بالك منهم ". وقدم لى هيروين نقى كان قد احضره من ايطاليا ، قائلا لى : " الحاجة دى ثمنها غالي لكن معزتك كبيره عندى ومتغلاش عليك حاجة " . وبالفعل تغلب على بعض مشاكله النفسية فى البداية وشعر بالصداع فى اليوم التالى وطلب منه الهيروين وقدمه له هذه المره بثمنه واستمرت العلاقة واصبح احد الزبائن الدائمين للهيروين والكوكاين . ودعاه بعض الاصدقاء ذات يوم الى رحلة الى شرم الشيخ وقضوا فيها عشرة ايام كانت كلها هيروين وكوكاين وعاد بعدها لا يستطيع التحرك دون تعاطى الكوكايين .

جـ - **الادمان والانتاجية :**

تأثر اداء هذه الحالة بشكل واضح بعد أن أصبح مدمنا وبدلا من العمل بالمركز الطبى صباحا وتركالعيادة الخاصة لفقده القدره على بذل هذا الجهد المزدوج ، ثم ما لبث ان انقطع عن العمل الصباحى أيضا وابلغ المركز بمرضه وعدم قدرته على مغادرة الفراش . كما انقطع عن مواصلة الدراسات العليا التى كان قد التحق بها .

د - **الادمان والفاقد الاجتماعي والاقتصادى من خلال المدمن :**

ارتفع معدل الانفاق على الكوكايين وبشكل خاص فى السنوات الاخيرة كما ارتفع سعر الهيروين وهناك بعض الاصناف ارتفع ثمن الجرام فيها من ٨٠ جنيها الى ٤٠٠ جنيه ، واستنفذ الادمان دخلى ومدخراتى وما كان يقدمه لى والدى

من مساعدات وهو بالخارج . واضطربت علاقتى بزوجتى وخاصة بعد أن حملت مرتين وحدث لها اجهاض بسبب تأثير الكوكايين بشكل خاص كما أكدت البحوث الطبية ذلك ولم تكن تعرف الزوجه هذه الامور وكذلك الاسرة تعرف ان ابنها طبيب ويعرف ما يضره وما ينفعه ولكن امام وطأة الاثر الذى تركه الادمان واختلال توازنه المستمر وعصبيته وانقطاعه عن العمل أوضح أمره وعلمت الام وعلم الاب والزوجه وفزعوا أشد الفزع وابلغلوا المستشفى دون علمه واثناء وجوده فى حاله من الغيبوبه من اثر المخدر تم نقله الى المستشفى ليعالج فيها .

هـ - **الادمان والصحة** :

رغم أن هذه الحالة هى من الحالات التى تعى ظروفها تماما والذى مازال الامل قائما لعلاجها ، الا أن الاثار واضحة عليه حيث فقد قدرته على التركيز الذى يعتبر من الامور الهامه لمهنته ، كما اقعده الادمان فى الايام الاخيرة عن العمل ، وافقده التوازن كما افقده الرغبة فى الطعام ونقص وزنه حوالى ١٢ كجم.

الحالة الرابعة

" سارق الافاعي ! "

أ - ظروف النشأة :

هو شاب يبلغ من العمر ٢٥ سنه نشأ فى اسرة كان الاب فيها يعمل موظفا فى احدى الوزارات والام ربة بيت وله ثلاث أخوه من الذكور هو آخرهم فى الترتيب العمرى ، وقد قضى طفولته بين هذه الاسرة دون عنف أو مشاحنات ، وكانت الاسرة تسكن فى بيتها الذى تمتلكه بحى المطرية . واكمل التعليم الابتدائى والاعدادى والتحق بالثانوى الفنى واستمر فيه حتى السنه الثالثه الذى تعثر فيها ورسب عدة سنوات الى أن فصل منها .

ب- قصته مع الادمان :

كانت المدرسة الثانوية الصناعية التى التحق بها بعد الاعدادية وبالا عليه كما يقول ، ففيها تعلم اشياء كثيره ، فشرب السجائر ودخن الحشيش مع زملاء السوء ، وحتى بعد فصله منها ظل هؤلاء الرفاق يترددون عليه ويقدمون له هذه الاشياء ، ويقول (زارنى احدهم ذات يوم ودعانى لتعاطى بعض الانواع التى كانت معه وسألته من أين ؟ فقال بس جرب واذا عجبتك سيب الباقى علىّ) ، وجربت بدافع الفضول وعندما طلبت منه تذكره ثانية قال لي : " لا انت محتاج تيجى معايا عند الصيدلى الكبير بتاعنا " وكان فى سوق الخضار بالعتبه ورحت معاه وعرفنى بالموزع الرئيسى وقال له ده صديقى خللى بالك منه ، واخذت اتردد عليه مره مع صديقى ومره وحدى ، وحدث خلاف بينه وبين صديقى طلب منى بعدها أن اقوم بدور هذا الصديق فى التوزيع وترددت بعض الشئ ثم قبلت واعطانى دفعه كبيره حوالى ٢٢ جرام من الهيروين لتوزيعهم ، وما كان منى الا أن أخذت هذه السموم وشعرت انها غنيمة كبرى وقررت بينى وبين نفسى

أن هذه الجرامات سوف تكون لى وحدى ولن يأخذ منها أى واحد حاجة ،حافظت عليهم فى مكان أمين بالبيت وبدأت استعملهم براحتى وظل صديقى المدمن يحسوم حولى بعد أن أخبره البائع بهذه القصة ، وحاول اقناعى ان اساعده باعطائه أية كمية منها لتوزيعها على اصدقاء الدراسة ولكنى رفضت حتى لا يأخذهم غيرى .

جـ - **الادمان والانتظام فى العمل :**

كان يعمل كهربائيا قبل دخوله المستشفى ويتقاضى عن عمله اليومى اجرا مقداره ما بين ١٠ - ١٥ جنيها يوميا ، الا أن الادمان قد افقده القدره على الاستمرار بسبب ما اصاب الاطراف من اهتزاز واختلال تتطلبها مهنته ككهربائى ، كما تسبب الادمان فى عدم قدرته بالوفاء بالالتزامات المطلوبه منه فى حينها اذا كان كثيرا ما يستيقظ الساعة الواحدة ظهرا ، وهى اسباب غضبت منه المقاول الذى كان يعمل من خلاله ، وقلل فرص العمل بالنسبة له .

د - **الادمان والفاقد الاجتماعي والاقتصادى فى حياة المدمن :**

صاحب هذه الحالة متزوج وله طفل عمره سنه ، ومنذ بدأ الادمان والمشاكل تزداد حده مع زوجته التى حاولت مرارا أن تثنيه عن هذا السلوك ولكن صعب عليها ذلك ، وكثيرا ما تركت الزوجه البيت لايام طويلة لتقيم مع اهلها ، وتدخل الاهل لحل هذه المشكلة واتفقت اسرتيهما على ايداع الزوج بالمستشفى حتى يشفى من ادمانه .

هـ - **الادمان والصحة :**

فى البداية كان استنشاق هذه المواد يعطيه نشاطا وقدره على مواصلة العمل لساعات طويله من النهار والليل ، ولكن ما لبث أن خارت قواه ولم يعد يمتلك القدرة على الذهاب الى العمل وانهارت صحته وبدأ يثور لاتفه الاسباب ويعتدى بالضرب على زوجته ، لدرجة ان افراد الاسرة اتهموه بالاختلال العقلى .

الحالـــة الخامســـة

تاجـــر الفاكهـــة المدمـــن

أ - ظروف النشأة :

هو شاب فى سن الخامسة والثلاثين من عمره من اسرة وفدت من محافظـــــة سوهاج لتقيم بالقاهرة ، عمل الاب فيها تاجرا للفاكهة بسوق روض الفرج واحتل مكانـا مرموقا بين تجار السوق واستقر بالقاهرة فى شبرا ، وانجب سبع بنات وابنا وحيـــدا هو هذا الشاب . وقد عاش طفوله مدلله باعتباره الذكر الوحيد من هذه الاســـرة التى تقيم وزنا كبيرا للذكور وفقا للاطار الثقافى الذى شكل جذور النشأة لهـــذه الاسرة .

ب - التعليم والمهنـــه :

واتساقا مع ذلك الاطار الثقافى الذى يشكل سلوك هذه الاسر تجاه الابنـاء الذكور اشترى الاب لابنه الوحيد محلا بسوق الفاكهه وكتبه باسمه ، وطلب منـــه ادارته بعد أن تعثر فى التعليم وتوقف عند الاعدادية ، ونجح المحل نجاحـــا كبيرا وأصبح يدر دخلا كبيرا عليه تركه له الاب يتصرف فيه كيف يشاء ، ثم حـــدث أن توفى الاب وكان ذلك فى عام ١٩٨٣ تاركا الابن فى محله ومحلات اخرى يعمل فيها افراد آخرين .

جـ - قصتـه مع الادمـان :

اقتضت طبيعة العمل فى سوق الفاكهة عقد الكثير من اللقاءات والاتفاقـات بين التجار ، وعادة ما تتخلل هذه اللقاءات بعض انواع المكيفات كنوع منالتحيـــة والحفاوة التى تيسر عقد هذه الصفقات وتبدأ بالسجائر والمعسل وكثيرا ما تقـــدم فيها المخدرات للتعبير عن درجات اعلى من الكرم ، كما تقتضى طبيعة العمـــل الاستمرار بالمحل طوال اليوم وجزء كبير من الليل يتجمع اصحاب المحلات المجاورة

فى فترات الهدوء من العمل للتسامر وشرب الشيشة . وفى احدى هذه اللقاءات فى صيف عام ١٩٨٦ قدم أحد الاصدقاء الذين اعتادوا الجلوس معه ، قدم لـــــه الهيروين باعتباره نوعا جديدا من المكيفات له آثاره المباشرة على حالته المزاجيـــة وعلى النشاط فى العمل ويقول (استنشقت بعضا منه وشعرت انه قد ترك أثره على قواى العقلية والنفسية فذهبت اليه فى اليوم التالى وسألته عن مصدر هذا الكيـف المنعش ودلنى عليه وبدأت بشراء التذكرة بـ ٨ جنيهات ووصل الثمن الان الـــى ١٢٠ جنيها ، وعندما لا يكون متاحا ويشعر التاجر بحاجة المدمن الماسه اليـــه فيبالغ فى السعر حتى يدفع المدمـــن اضعاف الاضعاف)

د - الادمان والقدره على مواصلة العمل :

كان الهيروين يعطيه فى البداية نشاطا وقدره على الاستمرار فى العمـــل ولكن سرعان ما أحس بتعب شديد فى جسمه واذا لم يحصل على الجرعة التـــى اعتادها الجسم يحدث له ما يحدث وينقلب الى شخص آخر ، ومع استمرار الادمان فقد القدرة على العمل واهمل نشاط المحل واستعان فى ادارته بعمال يساعدونه وبعد أن كان المحل يدر عائدا يوميا ما بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ جنيه انخفـــض الايراد بسبب ضعف النشاط والاداء .

هـ - الفاقد الاجتماعي والاقتصادى فى حياة المدمن

كان ينفق دخل المحل كله على الادمان معنى ذلك أنه كان ينفق أكثـــر من ٥٠٠ جنيها واستدان فوق هذا المبلغ آلاف الجنيهات بعد انهيار العمـــل بالمحل ، وشعرت زوجته بذلك وطلبت منه أن يكف عن هذا الداء اللعين ولكنـه فشل فى ذلك ، فطلبت منه الطلاق ، وبالفعل تم الطلاق بعد ان استحالـــت الحياة بينهما .

و - **الادمان وصحة العدمن :**

حول الادمان هذه الحالة الى شخص مريض فاقد القدره على اداء العمـــل مضطرب العلاقة مع زوجته ، وامام ذلك لم يكن هناك مفر من دخول المستشفـــــى للعلاج والخلاص من هذا الداء .

الحالـــة السادســـة

الادمان أهلك حرثه ونسله

أ - ظروف النشأة :

هو شاب فى سن الثامنه والعشرين عاش فى اسرة مكونه من أب وأم وسته من الابناء ثلاثة أناث وثلاثة من الذكور ويعد ترتيبه بينهم جميعا الاخير ، وكان الاب يعمل فى التجارة التى كانت تدر عليه دخلا كبيرا ، وكان ينفق منه ببذخ على ابنائه ، وكان حظ هذا الابن من التدليل يفوق الجميع حيثكان يحصل على مصروف يصل الى جنيهان وثلاثه فى اليوم أيام كان طالبا بالمرحلة الابتدائية التى انهاها بصعوبة بالغة ، والتحق بعدها باحدى المدارس الاعدادية الخاصة والتى تعلم فيها شرب السجائر والحشيش ولم لا وكافة الظروف مهيأه لذلك ، فالاب لا يعرف عن ابنه شيئا ويعطيه مصروفا كبيرا ، والمدرسه تضم رفاق السوء . ولم يحصل على الاعدادية منها رغم أن الاب أنفق عليه اموالا طائله واستحضر له مدرسين خصوصيين لجميع المواد ، ولما لم تجد هذه المحاولات طلب الاب من الابن أن يعمل بأحدى المحلات التى يمتلكها الاب والخاصة بتجارة قطع غيار السيارات ، وتعلم فيها الابن واجب عمله وارتبط به ، وامام ذلك كتب الاب المحل باسمه وتركه يتصرف فى عائده وكان يدر عليه دخلا كبيرا ، ولم تتجاوز المكيفات فى حياته حدود الحشيش والسجائر مع بعض الرفاق فى نفس ظروف العمل ، وكان يلجأ اليه للترويج عن نفسه بعد عناء عمل شاق كان يستنفذ منه قرابة ١٢ ساعة يوميا ، وتزوج من قريبه له من مسقط رأسه بالمنوفيه ، وانجب منها طفلتين واجهضت فى حمل ثالث بسبب الادمان .

ب- قصته مع الادمان :

فى احدى الليالى بعد أن أغلق المحل ومر عليه أحد اصدقائه من هؤلاء

الذين كانوا يشاركونه شرب الحشيش وقضاء بعض الليالى فى اللهو ، وقال له (يبدو عليك التعب والهموم اليوم اكثر من أى يوم آخر ، ولا يكفى لازاله هذه الهموم أن تشرب الحشيش فعندى لك حاجه احسن منه سوف تعيد اليك النشاط ويجعلك لا تشعر بأى مشاكل لا فى البيت ولا فى الشغل وأخرج من جيبه " بودرة " وقال لى شم شمه واحده فهذا هيروين نقى ١٠٠٪ وأنت نفسك حتجرب وتقولى هات لى منها تانى وحتبطل الحشيش ، واخذت شمه حسيت بعدها بانتعاش فى البداية واعطتنى نشاط غير عادى وفىْ اليوم الثانى احضر لى وايحدة ثانية ، المهم أنه فى المرتين لم يأخذ منى ثمن للهيروين . وبعد ذلك وجدتنى أبحث عنه لكى احصل منه على هذه البودره اللعينه وادفع له أى ثمن يطلبه) .

جـ - **الادمان والانتاجية والقدرة على مواصلة العمل :**

أهلك الادمان حياة هذه الحالة حيث كانت تمتلك بجانب محل قطع الغيار ثلاثة سيارات ميكروباس يحصل على ايرادها كل يوم وكان يبلغ حوالى ٢٠٠ جنيها بخلاف عائد العمل بالمحل الا أن الادمان قد استنفد هذا المبلغ حيث بدأ ينفق حوالى ١٠٠ جنيه كل يوم وارتفع هذا المبلغ الى ٣٠٠ جنيه ثم الى ٥٠٠ جنيه واحيانا كنت اعطى ضعف هذا المبلغ للتاجر الذى يوزع الهيروين عندما كان يخفى هذه السموم فكنت اعرض عليه أن يأخذ أى شىء ويعطينى الهيروين .وأهمل الاشراف على السيارات التى يمتلكها مضطرا الى بيعها ، كما احتاج الى مبلغ كبير اقترضه من أحد التجار الذين يعملون فى سوق قطع الغيار ، وكان عشرة آلاف من الجنيهات وعندما تعثر فى سداده اعطى ه به بضاعه من المحل ، واهتز موقفه فى السوق .

د - **الادمان والصحة :**

هذه الحاله أجرى معها المقابلة فور دخولها المستشفى وبالتحديد بعد ثلاثة أيام من الدخول وكان فى حالة من عدم التوازن متعثرا فى نطقه ترتعش

أطرافه ، وتدمع عيناه وفى حاله من الانهيار الكامل ومن الواضح أن الهيروين الذى تعاطاه قد أثر فى عقله وجسمه وافقده ذلك القدرة على العمل واليقظة فى الصباح بل كان يستيقظ ظهرا تاركا المحل مغلقا .

هـ - **الادمان وتأثيره على علاقات المدمن الاجتماعية :**

قضى هذا الشخص السنتين الاخيرتين فى عراك دائم وشجار مع زوجته التى تكررت شكواها منه لاهله ولاهلها ، وتركت البيت عدة مرات بسبب ما وصل اليه الزوج الذى كان يثور لاتفه الاسباب ويعتدى بالضرب على اطفاله الصغار وزوجته ، وقاطعه ابوه كما فقد ثقة العملاء بالعمل وفقد ثروته ، واجهضت زوجته فى حملها الثالث بسبب الاسدمان ، وبعد عجزه عن الحياه تماما نقلوه الى المستشفى للعلاج املا فى انه يتخلص من هذا الداء اللعين .

الحالـــة السابعـــة

أب قاسى وأم مفرطة فى الحنان !

أ - ظروف النشأة :

هذه الحالة لشا فى سن الثالثة والعشرين من عمره نشأ فى حى الجمالية بين اسرة مكونه من أب وأم وأربعة من الاخوه كلهم من الذكور ، وكان ترتيبه بينهم الاول (أى الاكبر) ، ويعمل الأب فى تصنيع وتجارة الاكسسوار الحريمى ، وقضى الابن سنوات عمره الاولى فى احدى المدارس الابتدائية ثم انتقل الى المرحلة الاعدادية ، ولم يكن الاب مقتنعا بتعليمه ، حيث كان يود أن يلحقه معه فى المحل ويعلمه نفس المهنه التى يعمل فيها الاب ، وكان الاب يقسو دائما على ابنه ويضربه ويحرمه من المصروف ، وكان الابن يلجأ الى الام التى تسغدق عليه من مالها وحنانها وتعوضه بافراط عما فقده منه من الاب ، وبعد انتهاء المرحلة الاعدادية التحق باحدى المدارس الثانوية الخاصة ولم يتخط السنه الاولى حيث تكررت مرات رسوبه فيها وفصل منها . ولم يكن امامه الا أن يحقق رغبة الاب القديمة فى ان يلتحق بمحل تصنيع الاكسسوار الحريمى ، وتزوج من احدى الفتيات من الجيران وانجب منها طفلا .

ب - قصته مع الادمان :

عندما كان بالمدرسة الاعدادية انضم الى مجموعة من الرفاق يدخنون معا السجائر والحشيش ، وفى احدى المرات قدم له احد هؤلاء الرفاق بعض الحبوب " أبو صليبه " ودفعه الفضول الى تناولها وتجربتها وتكرر ذلك الموقف ، وظل يتناول انواعا مختلفة من هذه السموم وكان يأخذ من أمه مصروفات الشراء فىالبداية وعندما فصل من المدرسة وعمل بورشة ابيه كان يعطيه عشرة جنيهات تنفق على الادمان ، وبعد فترة من الوقت لم تعد تكفى العشره جنيها وبدأ يسرق من المحل مما اضطر الاب الى تخفيض الاجر الى خمسة جنيهات وخاصة بعد أن عجز

عن اداء العمل الذى كان يؤديه .

جـ - **الادمان والفاقد الاقتصادى والاجتماعى للمدمن :**

بعد فترة من الادمان ضعفت اطرافه وأصبح عاجزا عن أداء العمل تماما وطرده الاب من الورشة وأصبحت الام هى التى تنفق عليه دون علم الاب حيث كانت تقدم له مصروفا خاصا به وتعطى الزوجه مصروف خاص بها لاستمرار الحياة ، وانقطع عن العمل بعد ان تملك منه الادمان ، واضطربت العلاقة بينه وبين زوجته التى طلبت الانفصال عنه أو أن يقلع عن الادمان ، ولما عجز عن تحقيق ذلك طلبت من والده التدخل فأودعه مستشفى الدكتور الرخاوى ورغم أن العلاج استمر اسبوعين الا أنه عاد الى الادمان مرة ثانية .

د - **الادمان وتأثيره على الصحة :**

من الواضح أن الادمان قد افقده الكثير من الخواص التى يمكن أن تؤهله للعمل فى مجال يحتاج الى الدقة وهو مجال تصنيع ادوات الزينه للنساء وذلك ما احدثه الادمان وافقده التآزر العصبى والحركى والعضلى ومن جانب آخر أفقده الادمان القدرة على الاستمرار فى العمل حيث ظهرت عليه علامات الضعف والهزال ويقول (كنت اترنح داخل البيت كالطير الذبيح وانتقل من سرير الى سرير من شدة الاجهاد والتعب وبعد أن كنت عاملا ماهرا فى صناعة أدوات الزينه وبعد أن كان والدى يعتمد على ويتحرك هو للسوق - اصبحت غير قادر على صنع أى شئ وفقدت صحتى وثقة زوجتى فىّ وثقة أمى وأبى) وامام ذلك اجتمع الاب والام وزوجتى وقرروا ايداعى مستشفى ابو العزايم للعلاج .

الحالـــة الثامنـــة

المستجيرة من الرمضاء بالنـار !

ظروف النشأة :

هذه الحالة هى لامرأة فى الثامنه والعشرين من عمرها ولدت فى اسرة فقيرة ، مـات الاب عندما كانت لاتزال جنينا فى بطن امها ثم خرجت الى الدنيا لتقضى ثلاث سنـــوات عجافا مع أم حانيه وأخ ألهته الحياة عن أمه وأخته برغم صغر سنه ، ولم تحتمـــــل الام الاستمرار فى الحياة بغير زوج ، فتزوجت بعد وفاة زوجها بثلاث سنوات ، وتركت هـــذه الابنه وأخوها ليعيشا مع عمتهما التى تولت رعايتهما وألحقتهما بالمدرسة الابتدائية بيـــد أن الاخ ما لبث أن هرب من المدرسة ، ومن الحياة مع عمته للبحث عن مصدر للعيـش ، وظلت هى مع عمتها فأكملت من التعليم مرحلته الابتدائية ، ثم داعبتها آمالها فـــى أن تلحق بأخيها فتركت المدرسة وهربت هى الاخرى من عمتها لتسلك طريقا وعرا فى الحيـاة ملىء بالاشواك لتحصل منه على عائد مادى يسعدها كما تصورت ، فقد اسلمت نفسهـــا للرذيلة وفى سبيل ذلك تصادقت مع رفيقات السوء اللاتى مهدن لها الطريق وذللن لهـــا الكثير من العقبات لكى تشق طريقها بينهن .

قصتها مع الادمان :

لم تمض الحياة سهلة كما تصورت فى ذلك الطريق الموحش بل أثقلت كاهلها وزادت من أحزانها وهمومها وارتادت أقسام البوليس وخرجت منها بين الحين والحين ، وفى يـــوم ما كانت تسير فى أحد الشوارع فاذا بسيارة مسرعه تجنح ناحيتها فتوهمت انها تقصدهـا الا أن ظنها فى هذه المرة لم يتحقق واذا بالسيارة تدهمها وتطرحها أرضا لتحـــدث بها كسورا وجروحا نقلت على أثرها الى المستشفى لتفيق على هذه الحقائق المريـــرة ، فوجدت ساقاها فى الجبس ، وأجزاء من وجهها تغطيها الاربطة الطبية والضمـــادات وأصابها الفزع فقد ضاع منها كل شىء فى هذه الدنيا ولم يعد لها بعد فقدهـــا

لابيها وزواج أمها وهروبها من عمتها وانحرافها فى الرذيلة شيئا تبقى عليه . وخرجت الى الحياة مشوهة فاقدة آخر مقومات عملها بالرذيلة الذى كانت تؤديه ، وقررت التخلص من حياتها واصيبت بالاكتئاب النفسى ونقلت الى مستشفى الامراض العقلية أملا فى الشفاء ، وبعد عام كامل قضته فيها خرجت بآلامها بعد أن زادت حدتها . وحاولت أن تتلمس طريقها فى الحياة مرة أخرى وانصرف من حولها بعض الرفاق وانظم اليها بعض آخر حاولوا مساعدتها فى تجاوز أزمتها فقدموا اليها ما يزيل الاكتئاب عنها ، فأعطوها بعض جرعات الهيروين التى تناولتها وفرحت لما شعرت به من سعادة غامرة فى البداية الا أن الاكتئاب ما لبث أن عاد ثانية ، فأعطوها رفاق السوء جرعات أخرى بالمجان ليؤكدوا اخلاصهم لها وتكرر الموقف فلم تجدهم من حولها ، كما لم تستطع التخلى عن الهروبين لتبدأ رحلتها الجديدة فى البحث عن السموم لكى ينسيها آلامها وكانما أرادت بذلك أن " تسجير من الرمضاء بالنار " . وأصبحت جرعات الهروبين بالنسبه لها بمثابة الهواء الذى تستنشقه فاذا انقطع عنها اختنقت ، الا ان ذلك تطلب مبالغ طائلة حاولت تدبيرها بوسائل مختلفة مشروعه وغير مشروعه أودت بها الى أقسام الشرطة ، وفى احدى هذه المرات التقت بشاب عرض عليها الزواج فقبلت على الفور وعاشت فى بيت زوجها كزوجه وهمية ، حيث انصرف عنها عندما اكتشف فيها هذه الاشياء فهى المعوقة والمدمنه والمنحرفة وامضى ليله خارج بيتها فى سهراته الخاصة فزاد هذا الزواج من أعبائها النفسية وحرك طاقاتها المدمرة والهدافة وأخرج العدوانية التى ترسبت عبر حياتها من وجدانها وفكرت فى أن تسلك مسلكا آخر للحصول على الهروبين فبدأت تخرج الى الطريق العام بعكازيها وتستجدى ركاب السيارات ، وعند توقفهم تهددهم ببعض الادوات الحاة وتسرق ما يحملون معهم من نقود وغيرها لتنفق على شراء السموم . وانتهى بها الامر الى ايداعها فى السجن لتفقد كل ما تبقى لديها .

الحالـة التاسعـــة

ممثل أصبـح عبدا للمخـدر

الاعتـراف بالادمـان :

ممثل مشهور فاجأ العالم العربى فى أواخر عام ١٩٨٧ باعترافه بتعاطى المخدرات وأن المخدر قد ملك عليه نفسه ولم يعد ينظر الى الدنيا الا من خلاله . لقد انساه المخـدر كل شئ حتى اشباع غريزتى الجوع والجنس فموعد الجرعه مقدس وكثيرا ما كان يسارع الـى غرفته فى المسرح أثناء تمثيله لمسرحية " شباب امرأة " لكى يأخذ الجرعة التى تعيد لجسده اتزانه ولذهنه صفائه .

كان ممثلا ناجحا :

ومازال الكثير منا يتذكر الادوار المتميزة التى أداها النجم المشهور سواء فى التليفزيون (مسلسل ليلة القبض على فاطمة وقام فيه بدور مماثل لدور ج ـ آر فى المسلسل الامريكـى دالاس ، ومسلسل على الزيبق وقد قام فى هذا المسلسل بتمثيل اكثر من خمس شخصيـات أو فى السينما (الباطنيه ـ المشبوه ـ الذئاب ـ درب الهوى ـ مرزوقه ـ الارمله والشيطان جبروت امرأة ـ عندما يبكى الرجال) وقام فى هذه الافلام بأدوار متنوعه تاجر المخـدرات ضابط الشرطة ـ الصحفى ـ الانتهازى ـ النشال والشرير . . . وهى اسدوار لمع فيهـا واثبت وجوده أمام عمالقة فى التمثيل سبقوه فى الظهور على الشاشه .

كفاءة الممثـل :

والامر الذى لاشك فيه أن تعاطى المخدرات قد أثر على انتاجيته وقل عـدد المشاهدين لمسرحيته شباب امرأة فلقد كان وجهه يحاكى الاموات فى اصفراره ومثل هـذا الوجه لا يستطيع أن يعبر عن احاسيس وكيف يعبر عن أحاسيس ليست موجوده أصلا فكـل كيان الممثل كان متعلقا بالمخدر . وعندما شاهدت زوجته السيدة / سمية الالفى ذبوله

ونحوله سارعت بالاتفاق مع احدى المستشفيات الخاصة لعلاج المدمنين حيث تم تخديـــــره اثناء وجوده فى منزله ونقله الى المستشفى لعلاجه .

بداية الادمان والعمل :

ثم جاء عام ١٩٨٥ وهو بداية رحلة الفنان فاروق الفيشاوى مع الادمان وفى هـــــذا العام قدم ١٣ فيلما منها دور متميز فى فيلم الاستاذ يعرف اكثر وأدوار اقل امتيازا فـــى الطاغية ، واستغاثة من العالم الاخر ، أما ادواره فى افلام : الطوفان ، صراع الايـــــام جبابرة الميناء ،الكف ، المنتقمون ، النشالات الفاتنات ، قضية عم احمد ، العايقه والدريسه غضب الحليم ، الاوغاد . فكان أقلها عاديا واكثرها دون المستوى .

وفى عام ١٩٨٦ مع تفاقم حالة الادمان لديه مثل ١١ فيلما منها فيلمان متميـــــزان (السكاكينى ومشوار عمر) وفيلمان عاديان (الحناكيش والانثى) والباقى دون المستوى.

وفى عام ١٩٨٧ وصل الادمان ذروته فكانت افلامه دون المستوى لم يلفت النظر منهـــا فيلم واحد وهى (القرداتى ـ الرجل الصعيدى ـ مهمه صعبة جدا ـ ورجل فى فخ النساء لعبة الكبار ـ المرأة الحديدية ـ العبقرى والحب ـ الزوجه تعرف اكثر واخيرا ياصديقى كـــم تساوى) ... وهى افلام قام بتمثيلها فى عامى ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ولكنها عرضت عام١٩٨٧

واذا ما رجعنا لاعترافات الفنان فاروق الفيشاوى التى نشرها الاستاذ صلاح منتصـــر رئيس تحرير مجلة اكتوبر فى عسددها رقم ٦٣٣ الصادر بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٨٨ أى بعد عام كامل من أعترافه بأنه كان عبدا للهيروبين فى العدد رقم ٥٨١ الصادر بتاريـــخ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٨٧ تجدها توضح ما يلى :

١- أن زوجته أمضت عاما كاملا تقرأ عن المخدرات قبل أن تقرر ادخال زوجها مستشفـــى للعلاج الامر الذى يقطع أن رحلة الفنان فاروق الفيشاوى مع الادمان قد بـــــدأت قبل عام ١٩٨٦ .

٢- أن فاروق الفيشاوى لم يكن يواجه مشكلة نفسيه أو اجتماعية حتى يهرب منها باللجوء الى المخدر ولكنه كان فضوليا أراد التجربة فأصبح عبدا للهيروبين بعد الشمه الاولى ووصل به الحال الى انه كان يتعاطى جرامين من الهيروبين فى اليوم الواحد .

٣- فى عام ١٩٨٧ كان يخاف من الالتزام بأى عمل خوفا من أن يتعارض ذلك مع متطلبات مزاجه الخاص كما أن شحوب وجهه واصفراره وكثرة عرقه كشفت بعلانية فاضحة حالة الادمان التى كان يحاول اخفاءها .

٤- ان الذين شاهدوه وهو يمثل مسرحية شباب امرأة عام ١٩٨٧ وجدوا ادائه مصطنعا والاحساس فيه شاحب أو مفقود على خلاف من شاهدوه بعد شفائه من الادمان حيث الابداع والتألق فى الاداء .

٥- فى شهر رمضان عام ١٤٠٨هـ عرض له فيلم مثله وهو فى حالة الادمان وكان واضحا فى هذا الفيلم شحوبه وعدم تألقه .

٦- ابتعد عنه المخرجون والمنتجون عام ١٩٨٧ فلم يمثل فيلما واحدا بل أن مخرجا صديقا عرض عليه تمثيل فيلم ثم هرب منه بعد ان شاهد ما فعله الهيروبين به .

٧- الاعتراف بالادمان لم يهدمه ولم يؤثر على سمعته ومشاعر الناس نحوه فالجماهير قدرت فيه هذا الاعتراف لانه الخطوة الاولى للخروج من دائرة الادمان اللعينة .

تحليـــل ومناقشـــة

الادمان .. المشكلة ذات الابعاد المتعددة :

١- المجتمع والاسرة ومؤسسات التنشئة والغزو الثقافي :

أفصحت الدراسة المتعمقه لعدد من الحالات أن ظاهرة الادمان اكثر انتشارا بين الشباب ، وانعكس ذلك بوضوح فى أعمار هذه الحالات والتى انحصرت فيما بيـن سن العشرين ومنتصف الثلاثين ، ولقد وجدت هذه الظاهرة طريقها الى نفوس هؤلاء الشباب وعقولهم بعد أن اجهدتها الضغوط الاجتماعية والاقتصادية وأثقلت كاهلها ، وبعد أن مزقتها التناقضات الاجتماعية ، وهزتها تفاعلات الواقع المحيط بهـــا . فالتغير جارف وسريع ، وعمليات الغزو الثقافى مستمرة عبر قنوات الاعلام غير الواعى ، والتطلعات التى خلقت عزيزة المنال ، وفى هذا السياق الاجتماعى البالغ التعقيـــد تعثرت الاسرة كوعاء للتنشئه الاجتماعية ، ولم تعد قادرة على استيعاب التفاعـــلات التى تحفظها ، فانفصمت عرى الروابط فيها ، وتصدعت العلاقات بين أفرادهـــا ، واصبح لكل منهم تطلعاته ونسى افرادها فى زحام هذه التطلعات المهمة الاساسيـة للاسرة كنواة للمجتمع فأغفلت رعاية ابنائها ، ولم تقدم لهم من القيم أو الدعامات مـا يمكن أن يقاوم طوفان الانحراف بالمجتمع . ومن الجدير بالذكر أن الظروف الاسريـة لحالات الدراسة تعكس بوضوح غياب الدور الاسرى فى المراحل المبكرة للتنشئة ، فلـم تعلم الاسر فى هذه الحالات بسلوك الابناء الا بعد أن ساءت أحوالهم وتقدموا بهم الى ذويهم طالبين العون منهم . وقد كان بالامكان أن تلعب المدرسة دورا فـــى تدعيم بعض القيم التى تهاوت فى الاسرة ، بيد أن الذى حدث أن المدرسة هـــى الاخرى لم تكن أحسن حالا فى هذا السياق الاجتماعى المتغير من الاسرة حيـــث فقدت دورها وأصبحت مسرحا للانشطة الهدامة فى ظل اغتراب اطراف التعليم داخـل هذه المؤسسة عن مهامهم ، فتلاقى رفاق السوء فى فصول الدراسة ، وتتأكد تلـــك المعانى عندما نجد أن معظم الحالات السابق دراستها قد بدأت بتدخيـــــن

السجائر فى المدرسة الاعدادية ، ثم دفعها الفضول وحب استطلاع المراهقة الى شرب الحشيش ، ولاشك أن بدايات الانحراف ما كانت لتحدث لو أن هناك قدرا كافيا من التوجيه والوعى عرفته هاتين المؤسستين (الاسرة والمدرسة) . وعلى الجانب الاخر فقد تسلط على المجتمع الكبير مجموعة من المهربين الذين لا يهمهم الا الكسب السريع ولو على حساب تدمير ابناء المجتمع ، ورغم الجهود الكثيفة لوقف عملياتهم ، الا أن منافذ التهريب تحتاج الى مزيد من الاحكام لوقف غزو هذه السموم والتى تفنن المهربين فى نقلها واستقطاب الكثير من الرواد لادمانها ، ونشرها بأماكن تجمعات المراهقين والشباب بالنوادى والمدارس . واذا كان تجار المخدرات التقليدية كالحشيش والافيون معروفون لرجال الامن وبالامكان القبض عليهم ،الا أن عصابات تهريب السموم البيضاء من الهيروين والكوكايين وغير ذلك غير معروفه لما تستخدمه من وسائل متنوعه فى التهريب ولتجنيدها لافراد ليسوا موضعا للشبهات ومن مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة . عندئذ تبدو مشقة ملاحقتهم ومحاصرتهم.

٢- الادمان وتدمير الطاقات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع :

تشير بعض الاحصاءات الى أن المدمنين قد انفقوا خلال عام ١٩٨٧ حوالى ٢ مليار و ٢٩٥ مليونا من الجنيهات ، كما تشير بعض التقديرات أن عدد المدمنين فى مصر يربو على ٢٠٠ الف شاب بين متعاطى ومدمن وتعكس هذه الارقام حجم الطاقة المادية والبشرية التى يهدرها الادمان ، فى وقت تستدين فيه مصر لتمويل مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . والمدمن بعد فترة من الادمان يفقد كافة مدخراته المادية للانفاق على شراء هذه السموم ، وكثيرا ما يستدين عندما يزداد احتياجه للجرعات ، ففى حالات الدراسة التى نحن بصددها قد توقف الجميع ممن شملهن البحث اى بنسبة ١٠٠٪ عن أداء العمل فقد ترك العمل من يعملون بمؤسسات وانقطعوا عنها ، كما أغلق اصحاب المحالات تجارتهم بعد أن عجزوا تماما عن الاستمرار فى اداء هذه الانشطة . يضاف الى ذلك الفاقد ، ما يحدثه

الادمان من تصدع فى العلاقات الاسرية فقد انفصلت الزوجات فى حالتين بنسبة ٢٥٪ بعد أن فقدتا الامل فى علاقات طبيعية مع زوج مدمن كما أن النسبة الباقيـــة اى حوالى ٧٥٪ من الحالات تعانى زوجاتهم من مشكلات نفسيه ومادية ويعشن فـــى خلافات مستمرة بشكل يوشك بحدوث انفصال يهدم كيان اسر المدمنين ، كما تعانـــى الزوجات فى هذه الاسر من اليأس فى عودة هؤلاء الازواج الى الحياة الطبيعيـــة ، معنى ذلك أنه من المتوقع أن يحدث الانفصال لدى باقى الاسر ، ولا يخفى علينـــا ما تتركه التصدع الاسرى من عواقب وخيمة اذ تظل رافدا هاما فى تغذية الانحـــراف بشكل مستمر .

٣- الادمان والصحة :

يلتهم الادمان فى كل يوم الكثير من الطاقات البشرية وتكمن خطورته فى سرعة انتشاره وسريانه بشكل يبدو كالوباء الفيروسى ، ولقد أوضحت الدراسة التى نحـــن بصددها أن بعض الحالات قد تشوهت عقليا وعصبيا بسبب كمية لسموم التى تناولوهـا رغم صغر سنهم ، وكمحصلة لذلك فقد فقدوا القدرة على التركيز ، كما يشترك الجميع فى المعاناه من الالام الجسدية والنفسية بسبب توقف المخدر أثناء فترة العلاج ، كما أكد الجميع انهم يعانون من صداع وقلق وآلام حادة فى العظام . وهى اعـــراض يحدثها المخدر فى الجسم وبشكل خاص اذا نقص تأثير الجرعات التى يتناولهـــا المدمن كما حدثت بعض حالات الاجهاض لزوجات المدمنين وبشكل خاص لمن يتعاطون الكوكايين . وتؤكد بعض البحوث الطبية مخاطر ذلك على الجنين كما ظهر مـــن دراسة الحالات فقدانهم جميعا لمقومات التفاعل وعزلتهم عن الواقع المحيط ســـواء الاسرى أو الاجتماعى ، وجدير بالذكر ان حوالى ٥٠٪ من أفراد العينه قد حاولوا التخلص من هذا الداء الا أن هذه المحاولات قد فشلت أو ما لبثوا أن عادوا مـن جديد الى الادمان بعد فترة من الانقطاع فى المصحات الخاصة بذلك . معنـــى ذلك أن هؤلاء اصبحوا فى حكم المقضى عليهم ، أو برغم صغر عمرهم فقد صـــاروا

كهولا يحتاجون الى رعاية اجتماعية وصحية شأنهم فى ذلك شأن المعاقين ليضيفوا بذلك المزيد من الاعباء على المجتمع . وتؤكد معظم الحالات التى شملتها الدراسة انهم بعد فترة من الادمان كانوا يثورون لاتفه الاسباب ويعتدون على ابنائهم الصغار وزوجاتهم ، كما انهم فقدوا القدرة على التوازن العصبى والعضلى .

اذن فهذا الخطر يتطلب مواجهة حاسمة تأخذ فى حسبانها كافة ابعاد المشكلة حتى لا يأتى ذلك اليوم الذى يلتهم فيه الادمان جزءا كبيرا من محصلة القوى الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى وبشكل خاص اذا علمنا أن احصاءات ١٩٨٨ تشير الى عدد من القضايا التى تم ضبطها ١٠٧٢٥ قضية لحوالى ١٢٣٨٤ متهما ، كما تم ضبط ١٤٥٠٣ كيلو جرام من الحشيش و ٣٨٦٢ كيلو جرام من الافيون ، ٣٣٥ كيلو جرام من الهيروين و ٦١٦ جراما من الكوكايين هذا عدا الكميات التى قد صعب ضبطها (١) . ولابد من مواجهة حاسمة توقف زحف هذه السموم .

دليـل المقابلـة المتعمقـة

أ - **بيانات أساسية عن المبحوث:**

وتتضمن السن - وظروف المنشئة الاجتماعية - ومحل الميلاد - والتعليم والاصدقـاء والرفاق - والترتيب بين الاخوة - ونمط العلاقة بين الاب والام والابناء والمهنـه وعلاقته بزملاء العمل - والعلاقة بالرؤساء والمرؤسين - والدخل ومصادره - الحالـة الاجتماعية وعدد الابناء وعلاقته بالزوجه - وتأثير الادمان عليها .

ب - كيف بدأ الادمان - وما هي العوامل التي دفعته الى ذلك - وهل هي بسبـب اختلال العلاقات الاسرية في سنوات النشأة - أم بسبب ضعف الرقابة الاسرية علـى الابناء ومن ثم قيام أصدقاء السوء بدورهم في استقطاب المدمن - أم هي بسبـب اختلالات نفسيه في تكوين المدمن جعلته عرضه للوقوع في براثن الادمان - أو لهذه الاسباب مجتمعة حيث تضافرت لكي تطوق عنق المدمن .

جـ - الاثار التي نجمت عن الادمان في الجوانب الصحية بالنسبة للمدمن - والاقتصادية من حيث قدرته على الاستمرار في أداء عمله والتقدم فيه أو الغياب المستمر عنه - ثم أوجه الانفاق الدخله وكيف يتلف الادمان الجانب الاكبر فيه .

د - ما هي الاثار التي ترتبت على الادمان في حياة الشخص وكيف انعكس ذلك علـى اسرته الصغيرة (الزوجه والابناء) ثم الحلقات الاكثر اتساعا في العلاقات .

هـ - محاولة القاء الضوء على جوانب التناقض التي تحدث بين وحدات البناء الاجتماعي ممثله في الاسرة التي تنشأ فيها المدمن والقيم والمعايير المطروحه بداخلها - مع المجتمع الاكبر - والى اى مدى تستوعب الاسرة هذه الانماط وهل هناك علاقـة بين ذلك التناقض وبين ما يحدث لابنائها من انحرافات .

و - محاولة القاء الضوء على شخصية المدمن من حيث الطموح والتطلعات التي كـان يصبوا اليها وهل هناك علاقة بين اخفاقه في تحقيق هذه الطموحات والضغـوط الاجتماعية وبين انسحابه من الواقع من خلال الادمان .

سلسلة من القضايا صدر منها :

(١) دراسة الهيكل الاقليمى للعماله فى القطاع العام فى جمهورية مصر العربية (ديسمبر ١٩٧٧)

(٢) Adverse Economic Effects Resulting from Israeli Aggressions and Continuad Occupation of Egyptian Territories April 1978

(٣) الدراسات التفصيلية لمقومات التنمية الاقليمية بمنطقة جنوب مصر (ابريل ١٩٧٨)

(٤) دراسة تحليلية لمقومات التنمية الاقليمية بمنطقة جنوب مصر (يونيو ١٩٧٨)

(٥) دراسة اقتصادية فنيه لافاق صناعة الأسمده والتنمية الزراعية فى جمهورية مصر العربيه حتى عام ١٩٨٥ • (ابريل ١٩٧٨)

(٦) التغذيه والغذاء والتنمية الزراعيه فى البلاد العربيه • (اكتوبر ١٩٧٨)

(٧) تطور التجاره الخارجية وميزان المدفوعات ومشكلة تفاقم العجز الخارجى وسياسات مواجهته (٦٩ / ١٩٧٠ ــ ١٩٧٥)• (اكتوبر ١٩٧٨)

(٨) Improving the Position of Third World Countries in the International Cotton Economy, June 1979

(٩) دراسة تحليلية لتفسير التضخم فى مصر (١٩٧٠ ــ ١٩٧٦)• (اغسطس ١٩٧٩)

(١٠) حوار حول مصر فى مواجهة القرن الحادى والعشرين• (فبراير ١٩٨٠)

(١١) تطوير أساليب وضع الخطط الخمسيه باستخدام نماذج البرمجه الرياضية فى جمهورية مصر العربيه • (مارس ١٩٨٠)

(١٢) دراسة تحليلية للنظام الضريبى فى مصر (١٩٧٠ / ٧١ ــ ١٩٧٨)• (مارس ١٩٨٠)

(١٣) تقييم سياسات التجاره الخارجيه والنقد الأجنبى وسبل ترشيدها • (يوليو ١٩٨٠)

(١٤) التنمية الزراعية فى مصر ماضيها وحاضرها (ثلاثه أجزاء)• (يوليو ١٩٨٠)

(١٥) A Study on Development of Egyptian National Fleet June 1980

(١٦) الانفاق العام والاستقرار الاقتصادى فى مصر ١٩٧٠ ــ ١٩٧٩• (ابريل ١٩٨١)

(١٧) الابعاد الرئيسية لتطوير وتنمية القرية المصرية • (يونيو ١٩٨١)

(١٨) الصناعات الصغيرة والتنمية الصناعيه •
(التطبيق على صناعة الغزل والنسيج فى مصر)• (يوليو ١٩٨١)

(١٩) ترشيد الادارة الاقتصادية للتجارة الخارجية والنقد الأجنبى (ديسمبر ١٩٨١)

(٢٠) الصناعات التحويلية فى الاقتصاد المصرى (ثلاثة أجزاء) • (ابريل ١٩٨٢)

(٢١) التنمية الزراعيه فى مصر (جزئين) • (سبتمبر ١٩٨٢)

(٢٢) مشاكل انتاج اللحوم والسياسات المقترحه للتغلب عليها (أكتوبر ١٩٨٣)

(٢٣) دور القطاع الخاص فى التنمية • (نوفمبر ١٩٨٣)

(٢٤) تطور معدلات الاستهلاك من السلع الغذائية واثارها على السياسات الزراعيه فى مصر • (مارس ١٩٨٥)

(٢٥) البحيرات الشماليه بين الاستغلال النباتى والاستغلال السمكى • (اكتوبر ١٩٨٥)

(٢٦) تقييم لاتفاقية التوسع التجارى والتعاون الاقتصادى بين مصر والهند ويوغوسلافيا • (اكتوبر ١٩٨٥)

(٢٧) سياسات وامكانات تخطيط الصادرات من السلع الزراعيه • (نوفمبر ١٩٨٥)

(٢٨) الافاق المستقبليه فى صناعة الغزل والنسيج فى مصر • (نوفمبر ١٩٨٥)

(٢٩) دراسة تمهيدية لاستكشاف افاق الاستثمار الصناعى فى اطار التكامل بين مصر والسودان • (نوفمبر ١٩٨٥)

(٣٠) دراسة تحليلية عن تطور الاستثمار فى ج • م • ع مع الاشارة للطاقه الاستيعابيه للاقتصاد القومى • (ديسمبر ١٩٨٥)

(٣١) دور المؤسسات الوطنيه فى تنمية الاساليب الفنيه للانتاج فى مصر (جزئين) • (ديسمبر ١٩٨٥)

(٣٢) حدود وامكانات مساهمة ضريبه على الدخل الزراعى فى مواجهة مشكلة العجز فى الموازنه العامه للدوله واصلاح هيكل توزيع الدخل القومى • (يوليو ١٩٨٦)

(٣٣) التفاوتات الاقليمية للنمو الاقتصادى والاجتماعى وطرق قياسها فى جمهورية مصر العربية • (يوليو ١٩٨٦)

(٣٤) مدى امكانية تحقيق الكفاءة فى توزيع الموارد بين القطاعات الانتاجية فى مصر • (يوليو ١٩٨٦)

(٣٥) Integratud Muthodology For Energy Planning In Egypt. Sept.1986 .

(٣٦) الملامح الرئيسيه للطلب على تملك الأراضى الزراعيه الجديده والسياسات المتصله باستصلاحها واستزراعها (نوفمبر ١٩٨٦)

(٣٧) دراسة بعنوان مشكلات صناعة الالبان فى مصر (مارس ١٩٨٨)

(٣٨) دراسة بعنوان آفاق الاستثمارات العربية ودورها فى خطط التنمية المصريه • (مارس ١٩٨٨)

(٣٩) تقدير الايجار الاقتصادى للاراضى الزراعيه لزراعة المحاصيل الزراعيه الحقلية على المستوى الاقليمى لجمهورية مصر العربية عامى ٨٠ ، ١٩٨٥ • (مارس ١٩٨٨)

(٤٠) السياسات التسويقية لبعض السلع الزراعيه وآثارها الاقتصادية (يونية ١٩٨٨)

٤٤ـ بحث الاستزراع السمكى فى مصر ومعدلات نمية	اكتوبر ١٩٨٨
٤٥ـ نظم توزيع الغذاء فى مصر بين الترشيد والالغاء .	اكتوبر ١٩٨٨
٤٦ـ دور الصادرات الصغيرة فى التنميه دراسة استطلاعيه لدورها فى الاستيعاب العمالى	أكتوبر ١٩٨٨
٤٧ـ دراسة تحليلية لبعض المؤشرات الماليه للقطاع العام الصناعى التابع لوزارة الصناعه	أكتوبر ١٩٨٨
٤٨ـ الجوانب التكاملية وتحليل القطاع الزراعى فى خطط التنميه الاقتصاديه والاجتماعيه	فبراير ١٩٨٩
٤٩ـ امكانيات تطوير الضرائب العقاريه لزيادة مساهمتها فى الايرادات العامه للدوله فى مصر .	فبراير ١٩٨٩
٥٠ـ امكانية تحقيق اكتفاء ذاتى من السكر .	سبتمبر ١٩٨٩
٥١ـ دراسة تحليلية لاثر السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية على تطوير التنمية القطاع الزراعى	فبراير ١٩٩٠
٥٢ـ الانتاجية والاجور والاسعار ـ الوضع الراهن للمعرفه النظرية والتطبيقية مع اشاره خاصة للدراسات السابقة عن مصر	مارس ١٩٩٠
٥٣ـ البعد الاقتصادى والاجتماعى والعمرانى لمحافظة البحر الاحمر وفرص الاستثمار المتاحه للتنمية	مارس ١٩٩٠
٥٤ـ سياسات اصلاح ميزان المدفوعات المصرى المرحلة الاولى	مايو ١٩٩٠
٥٥ـ بحث صناعة السكر وامكانيات تصنيع المعدات الراسمالية فى مصر	سبتمبر ١٩٩٠
٥٦ـ بحث الاعتماد على الذات فى مجال الطاقه من منظور تنموى وتكنولوجى	سبتمبر ١٩٩٠